الإسلام في مواجهة التحديات

د. محمد عمارة

نهضة مصر

الإسلام

في مواجهة التحديات

د. محمد عمارة

اسم الكتاب: الإسلام في مواجهة التحديات

المؤلف: د. محمد عمارة

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

تاريخ النشر: الطبعة الأولى - يناير 2007م

رقم الإيداع: 2006 / 22721

الترقيم الدولي: ISBN 977-14-3785-2

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: (02)3462576 (02)3472864-(02)3466434 فاكس: (02)3462576 ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 8B المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: (02) 8330239 - (02) 8330283 فاكس: (02) 8330236
البريد الإلكتروني للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي: 18 ش كامل صدقي - الفجالة - القاهرة - ص.ب: 96 الفجالة - القاهرة
ت: (02) 5908827 - (02) 5908895 فاكس: (02) 5903395

مركز خدمة العملاء الرقم المجاني: 08002226222
البريد الإلكتروني لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 8B طريق الحرية (رشدي)
ت: (03) 5462090

مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: (050) 2259675

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com

احصل على أي من إصدارات شركة نهضة مصر (كتاب/CD)
وتمتع بأفضل الخدمات عبر موقع البيع www.enahda.com

جميع الحقوق محفوظة © لشركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

لا يجوز طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح من الناشر.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

عندما صدر كتابنا عن «الإسلام والتحديات المعاصرة»: رأى فيه الكثيرون «ديوانًا لخلاصات الأفكار» الجامعة للرؤية الإسلامية إزاء العديد من التحديات الشرسة التى تواجه الإسلام وأمته وعالمه فى هذه السنوات.. سواء أكانت هذه التحديات:

١- خارجية.. غربية.. وذلك من مثل:

- الغزو الفكرى والقيمى الذى يجتاح مقومات الهوية الإسلامية عاملاً على نسخها ومسخها وتشويهها.
- والغزو العسكرى الذى يتجلى فى عشرات القواعد العسكرية - لأمريكا وحلف الأطلنطى - ومئات الألوف من جنود الجيوش الغربية الجرارة التى غزت وتغزو العديد من ديار الإسلام والأساطيل الحربية التى تنتشر فى بحارنا ومحيطاتنا؛ لتنزع السيادة والاستقلال عن أوطان عالم الإسلام..
- والنهب الاقتصادى لمئات من الشركات متعددة الجنسيات ومتعدية القارات التى تستنزف ثروات المسلمين، وتكرس الفقر والبؤس والتبعية فى ديار الإسلام.. إلى آخر هذه التحديات الخارجية، إن كان لها آخر!

٢- أم داخلية التى تندرج تحت آفة «التخلف الموروث» عن عصور التراجع الحضارى فى تاريخنا الإسلامى، وذلك من مثل:

- القمع والاستبداد.
- وغيبة الشورى والحرية.
- والضيق بالآخر، النابع من ضيق الأفق، وآفة التعميم والإطلاق.
- و«الحرفية - الظاهرية» فى التعامل مع النصوص..

- والهجرة من «الحاضر» إلى «التاريخ»، دون وعى بسنن هذا التاريخ.
- والانقسام الفكرى الحاد بين علمانيين، يمثلون «خبراء لا قلوب لهم» وبين إسلاميين يمثلون «فقهاء لا عقول لهم!» يحاصرون جميعًا تيار الإحياء والاجتهاد والتجديد.
- والأمية الثقافية والأبجدية التى تشل أغلب طاقات الأمة.
- والتشرذم القطرى، الذى يقطع أوصال الإسلام.. فى عصر تتجه فيه القارات والحضارات إلى التضامن والتكامل والاتحاد.
- وتحويل الكثير من النظم والحكومات بأسها إلى المنازعات الداخلية - مع شعوبها.. ومع جيرانها - بدلاً من توجيهه إلى الأعداء الحقيقيين للإسلام والمسلمين.. حتى لكأن هذه النظم والحكومات لم تسمع ولم تقرأ الوصف الإلهى لأمة محمد ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

★ ★ ★

وإذا كان واقعنا الحديث والمعاصر يشهد على ترابط التحديات الخارجية بالتحديات الداخلية، بل وحرص الغرب الاستعمارى - السياسى والدينى - والذى هو مصدر التحديات الخارجية - على «حراسة أمراضنا الداخلية»، كى لا يصح جسد الأمة وعقلها، فتنتفض محطمة أغلالها، ومنتصرة على سائر هذه التحديات، حتى لكأن هذا الغرب الاستعمارى يكرر مع حاضرنا صنيعه التاريخى مع الدولة العثمانية [٦٦٩ - ١٣٤٢ هـ = ١٢٩٩ - ١٩٢٢م]، يوم حرس أمراضها حتى جاءت ساعة الإسقاط واقتسام التركة والأسلاب!

★ ★ ★

وإذا كانت الصحوة الإسلامية التى تعاظم مدها فى طول عالم الإسلام وعرضه - وخاصة فى العقود الأربعة الأخيرة - قد مثلت تحديًا أعظم فى مواجهة هذه التحديات الغربية.. فلقد أصبحت المواجهة بينها وبين الهيمنة الغربية تحديًا جديدًا أضيف إلى ما سبقت الإشارة إليه من تحديات.. الأمر الذى جعل عالمنا الإسلامى أشبه ما يكون بساحة حرب عالمية ضروس بين الغرب وأمة الإسلام.

ولهذه الحقائق جميعًا، تصبح «الكتابة الواعية» عن هذه التحديات.. وتقديم الرؤية الإسلامية لجذورها.. وتسليط الأضواء الإسلامية على معالم المواجهة لها.. ومناهج النظر في فقه واقعنا واستشراف مستقبلنا - يصبح ذلك أحد أهم «الفرائض الفكرية» التي يتوجب على العقل المسلم أن يؤديها للإنسان المسلم في هذه اللحظات.. ولذلك - وأداءً لبعض هذه الفريضة - يصدر هذا الكتاب [الإسلام في مواجهة التحديات] لمواصلة السير على درب إيقاظ العقل المسلم على ما يواجهه من التحديات. والله نرجو أن يتقبله، وينفع به.

إنه - سبحانه - خير مسئول.. وأكرم مجيب.

القاهرة في ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٤٢٧ هـ
١٩ يولية سنة ٢٠٠٦م

د. محمد عمارة

١ الاستراتيجية الغربية لتنصير المسلمين ودور الكنائس المحلية فى التنصير

■ لقد عاشت الكنائس النصرانية فى الشرق الإسلامى قرونًا طويلة وهى تدرك أن الإسلام هو الذى أنقذها وأنقذ نصرانيتها من الإبادة الرومانية التى امتدت منذ ظهور المسيحية وحتى الفتوحات الإسلامية؛ ففى تلك القرون الستة عاشت النصرانية الشرقية – تحت نير الاستعمار الرومانى – ديانة سرية مضطهدة ومطاردة ومتهمة بالهرطقة، حتى لقد اغتصب الرومان كنائسها وأديرتها بعد تدينهم بالنصرانية، منذ الانشقاق الذى حدث فى «مجمع خلقدونية» سنة ٤٥١م، وتكون «المذهب الملكانى» الرومانى، المعادى للنصرانية الشرقية.. فتواصل الاضطهاد الرومانى للنصرانية الشرقية بعد اعتناق روما للنصرانية، كما كان الحال فى عصر وثنية الرومان!

ولقد استمر هذا الاضطهاد الذى هربت منه قيادات النصرانية الشرقية إلى الصحارى والجبال والمغارات، والذى تؤرخ الكنائس الشرقية حتى الآن بمجازره ضد أنصارها، فتسميه «عصر الشهداء».

عاشت النصرانية الشرقية هذا التاريخ حتى جاء الفتح الإسلامى فحرر أوطانها من القهر السياسى والحضارى والثقافى والاقتصادى.. وحرر ضمير رعاياها من القهر الدينى.

وظلت هذه النصرانية الشرقية وكنائسها واعية بذكريات هذا التاريخ الدموى.. وعارفة ومعلنة عن فضل الإسلام وفتوحاته التحريرية فى إنقاذها من الهلاك والانقراض.

■ فشاهد العيان على الفتح الإسلامى لمصر، الأسقف «يوحنا النقيوسى» هو القائل:

«إن الله الذى يصون الحق لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلى يد الإسماعيليين – «العرب المسلمين» – ثم نهض

المسلمون وحازوا كل مصر.. وكان هرقل (٦١٠ – ٦٤١م) حزينًا.. وبسبب هزيمة الروم الذين كانوا في مصر – وبأمر الله الذى يأخذ أرواح حكامهم – مرض هرقل ومات.. وكان عمرو بن العاص [٥٠ ق.هـ – ٤٣هـ = ٥٧٤ – ٦٦٤م] يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئًا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئًا ما، سلبًا أو نهبًا، وحافظ على الكنائس طوال الأيام»[١].

■ كما تحدث هذا الأسقف عن الأمان الذى أعطاه عمرو بن العاص للبطريرك «بنيامين» (٣٩ هـ – ٦٥٩م) – لبطريرك المصريين – الذى كان هاربًا من مطاردة الرومان ثلاثة عشر عامًا ، وعن عودته إلى رعيته واستقبال عمرو بن العاص له، وزيارة البطريرك للكنائس التي حررها له الإسلام، والسعادة التي عبر عنها وأعلنها بما صنع الفتح الإسلامي للنصرانية المصرية.. فقال الأسقف يوحنا النقيوسي:

«ودخل الأنبا «بنيامين» بطريرك المصريين، مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الروم ثلاثة عشر عامًا.. وسار إلى كنائسه، وزارها كلها، وكان كل الناس يقولون: هذا التقي، وانتصار الإسلام كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين.. وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر.. وخطب الأنبا «بنيامين» – في دير «مقاريوس» – فقال: لقد وجدتُ في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أنشدهما بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون..»[٢].

■ ويعد الأسقف «يوحنا النقيوسي» بعدة قرون يشهد الأسقف «ميخائيل السرياني» على ذات الحقيقة فيقول عن تحرير الإسلام للنصرانية المصرية والشرقية، وعن سماحة الإسلام مع نصارى مصر:

«لم يسمح الإمبراطور الروماني لكنيستنا الصونوفيزتية – «القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح» – بالظهور، ولم يصغ إلى شكاوى الأساقفة فيما يتعلق بالكنائس التي نهبت، ولهذا فقد انتقم الرب منه.

لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا أبناء إسماعيل من الجنوب لينقذونا من أيدى الرومان، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية، وعشنا في سلام»[٣].

(١) [تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي، رؤية قبطية للفتح الإسلامي] ص ٢٠١، ٢٢٠. ترجمة ودراسة د.عمر صابر عبدالجليل. طبعة القاهرة – دار عين سنة ٢٠٠٠م.

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٣) د. صبرى أبو الخير سليم [تاريخ مصر في العصر البيزنطي] ص ٦٢ . طبعة القاهرة دار عين سنة ٢٠٠١م

■ ولما حرر عمرو بن العاص كنائس مصر وأديرتها من الاغتصاب الرومانى، وردها إلى أهلها «خرج للقائه من أديرة وادى النطرون سبعون ألف راهب، بيد كل واحد عكاز، فسلموا عليه، وكتب لهم كتابًا «بالأمان» هو عندهم»[1] – فى أديرتهم.

■ وحتى القرن العشرين، ظل المؤرخون النصارى الوطنيون يشهدون على هذه الحقيقة – حقيقة إنقاذ الإسلام للنصرانية الشرقية من الإبادة الرومانية – فكتب صاحب كتاب «تاريخ الأمة القبطية» – يعقوب نخلة روفيله – (١٨٤٧ – ١٩٠٥م) يقول:

«ولما ثبت تقدم العرب فى مصر شرع عمرو بن العاص فى تطمين خواطر الأهلين واستمالة قلوبهم إليه، واكتساب ثقتهم به، وتقريب سراة القوم وعقلائهم منه، وإجابة طلباتهم.

وأول شىء فعله من هذا القبيل: استدعاء «بنيامين» البطريرك، الذى اختفى من أيام هرقل ملك الروم، فكتب أمانا أرسله إلى جميع الجهات يدعو فيه البطريرك للحضور، ولا خوف عليه ولا تثريب، ولما حضر وذهب لمقابلته ليشكره على هذا الصنيع أكرمه، وأظهر له الولاء، وأقسم له بالأمان على نفسه وعلى رعيته، وعزل البطريرك الذى كان أقامه هرقل، ورد «بنيامين» إلى مركزه الأصلى معززا مكرمًا. وكان «بنيامين» موصوفًا بالعقل والمعرفة والحكمة، حتى سماه بعضهم (بالحكيم).. وقيل إن عمرًا لما تحقق ذلك منه، قربه إليه، وصار يدعوه فى بعض الأوقات ويستشيره فى الأحوال المهمة المتعلقة بالبلاد وخيرها، وقد حسب الأقباط هذا الالتفات منّة عظيمة وفضلاً جزيلاً لعمرو.

واستعان عمرو فى تنظيم البلاد بفضلاء القبط وعقلائهم على تنظيم حكومة عادلة تضمن راحة الأهالى، فقسم البلاد إلى أقسام يرأس كلاً منها حاكم قبطى ينظر فى قضايا الناس ويحكم بينهم، ورتب مجالس ابتدائية واستئنافية مؤلفة من أعضاء ذوى نزاهة واستقامة، وعين نوابا من القبط ومنحهم حق التدخل فى القضايا المختصة بالأقباط والحكم فيها بمقتضى شرائعهم الدينية والأهلية.

(١) المرجع السابق، ص ١٩٤.

وكانوا بذلك فى نوع من الحرية والاستقلال المدنى، وهى ميزة كانوا قد جردوا منها فى أيام الدولة الرومانية.

وضرب عمرو بن العاص الخراج على البلاد بطريقة عادلة، وجعله على أقساط، فى آجال معينة حتى لا يتضايق أهل البلاد.

وبالجملة، فإن القبط نالوا فى أيام عمرو بن العاص راحة لم يروها من أزمان[1].

■ نعم.. ظلت الكنائس المحلية فى الشرق الإسلامى طوال قرون عيشها المشترك مع الإسلام واعية بهذه الحقائق، وذاكرة لها، ومتذكرة لآثارها؛ ولذلك، انخرطت مع رعيتها – طوال هذه القرون – فاندمجت فى الأمة الواحدة، وأسهمت فى بناء الحضارة الإسلامية الواحدة.. وانتمت إلى مكونات الهوية الواحدة التى جمعت بين الجميع – هوية: اللغة .. والتاريخ .. ومنظومة القيم والأخلاق – مع التنوع والتمايز فى عقائد الدين.

■ وفى ضوء هذه الحقائق التاريخية التى شهد عليها وبها الأساقفة والمؤرخون، والتى أثمرت قدرًا من الاندماج القومى والحضارى والثقافى، ونماذج من العيش والتعايش المشترك، صار مضربًا للأمثال ونموذجًا للاحتذاء – فى ضوء ذلك يأتى السؤال – الذى يحيِّر البعض – عن السر الذى جعل قطاعات عديدة.. ومتنفذة.. وأحيانًا قائدة – فى هذه الكنائس – تتحول عن حذرها التاريخى من العمل على تنصير المسلمين لتنخرط فى عملية التنصير.. وبالاشتراك مع من؟! مع الغربيين: أحفاد الذين اضطهدوا الأسلاف! وضد من؟! ضد المسلمين، أحفاد الأسلاف الذين حرروا أولئك الأسلاف؟!

★ ★ ★

لقد بدأ التنصير – الذى يسمونه تبشيرًا – كجزء من الغزوة الاستعمارية الغربية للشرق، مارسته مذاهب النصرانية الغربية – البروتستانت والكاثوليك – .. وكانت سهام هذا التنصير – فى مراحله الأولى – موجهة ضد أبناء الكنائس الشرقية؛ لأنهم الأقرب فى الاستجابة لمذاهب نصرانية بينها وبينهم وجوه شبه كثيرة.. ولما كانت عليه كنائسهم الشرقية من جمود وتخلف وجهل وتقليد.. ولما كان فى موالاة مذاهب المستعمرين من امتيازات.

(١) يعقوب نخلة روفيلة، «تاريخ الأمة القبطية»، ص٥٤ – ٥٧ – تقديم د.جودت جبرة. الطبعة الثانية – القاهرة، مؤسسة مار مرقس لدراسة التاريخ – سنة ٢٠٠٠م.

وبعد ... الكنيسة هذا التبشير الغربي لهذه المنطقة هو في قمة من التبشيرية سرعة ... ا بتوجه نحو تنصير المسلمين لكنه ... رغم طول زمن وكثرة الجهود ومضاعفة الجهود ... لم يحصد ... لا خيبة الأمل في مشاريع تنصير المسلمين

■ وبهذه الحقيقة تداعت الكنائس الغربية ... والأمريكية لمشجبه صفها على وجه الخصوص ... دراسة تاريخ التبشير وتجربته وأساليبه ... والدروس المستفادة من هذه الجهود لاكتشاف وتدارسه لأسباب المتجددة لتبشير المسيحي في المؤتمر التاريخي الذي عقد في منتصف شهر يونيو سنة ١٩٧٨م في كورنيليا» بولاية «كاليفورنيا» بالولايات المتحدة الأمريكية ... ولدى بعض المؤتمرين ... فيه أربعين بحثا، ثم نشرت وثائقه ... الأعمال جلساته بمدينة ... الأمريكية سنة ١٩٧٨م ثم ترجمت إلى العربية تحت عنوان ... التبشير خطة لغزو العالم الإسلامي» فيما يقرب من ألف صفحة

ففي وثائق هذا المؤتمر ... وأبانته التي تعتبر بمثابة الكلام الفاصل ... التبشير بعد الإشارة عن هذا السؤ

... ر حرص الكنائس بشرقها ... أو بغربها على ... على هذا ... التاريخي ... تحرص في هذا ... التبشير فيما بعد ... كانت تتطلع إلى ... ما ... تحقيقه وعيشه ... التبشر به الإسلام و ... المسلمين

★ ★ ★

... في البحوث ... التي في الموقف الكنسي الغربي من هذه المسألة ... ... حرص الباحث الغربي ... يوسف الكنائس الغربية ... التبشير المسيحي التي هي حرب ... الحملة الصليبية ضد ... الإسلامية ... المعاصرة ... البعث الإسلامي الحديث

... أحد ... أكثر من ... في ... الاستعمار الغربي ... بعد ... الإسلام ... ... الغرب الاستعماري، وقف ... الكنائس التبشيرية ... بعد ... ... الحملات ... في ركاب المستعمرين الغربيين ... أزاحت الإسلام عن مكانته ... في ... وأصوله ... وأحكامه ... وقيمه ... وبدأت تبشر من هذا الإسلام ... العقائد والشعائر والعبادات ... والتصنيع بحسب ... والعلوم الطبيعية ... وبعد ... وبغربتها ... قد صبغت بالإسلام ... صبغة ... التبشيرية الغربية ... قد ... وعزلتها ... عن التأثير في ... الحياة

بكل وضوح فوحدة العرب السياسي والديني في الإسلام لم تتزحزح عن أي من قواعده الراسخة في مبادئ الدولة والسياسة والاجتماع والقانون ولم تتم أي عملية حقيقية في عالم الإسلام ولقد نشرت مجلة نيوزويك الصادرة في ديسمبر من العام الماضي عددها بتاريخ ١٩٩١م تقريرا عن موقف الإسلام هذا فقالت

إن النظرية التي يعتنقها علماء الاجتماع والتي تقول إن المجتمع الصناعي والعلمي الحديث يقوض الأمور الدينية معللة العلمنة صحيحة على العموم في الغرب المسيحي واليهودي ولكن المجتمعات الإسلامية تتحدى هذه النظرية وإنكار مجتمعات عالم الإسلام استقلت عن هذا الاتجاه من هنا فلم يحدث أي علمنة في عالم الإسلام سيطرة الإسلام على المجتمع هي سيطرة قوية وهي نظرية قوية لأن عدد الكتب عن ١٠٠ سنة مضت في الإسلام تقود بعضهم في صراع بعض السياسية والاجتماعية والتي تعتقد أن وجود نظام علمنة في الإسلام قد حقق علمنة لأصلا - الذي سيحدث وأعني حدوثه بمعنى أن الأمر على مكن عالم الإسلامي من الانفصال عن المجتمعات الأخرى بعض صفات التصنيع المتأخر في الغرب وتحركاته بعيدة عن الدين وهذا هو التفسير الأساسي لعدم وجود الإسلام المرموقة لأحد العلمنة

■ وهذا الاستعصاء الإسلامي على التحديث والتجديد والتطوير في الغرب السياسي تحدى الإسلام عدو واعلان صريحة في دين المجتمعات التي تهدد الخطر الشيوعي داخل الحضارة الغربية

وعن هذه الحقيقة تحدثت مجلة نيوزويك قائلة

لقد شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف التهديد الخطير من التهديد الشيوعي والسبب في هذا التعرض من الإسلام ظهر في السنوات الأخيرة من التغيرات الموجودة في الجنوب هو الهدف المباشر للمجتمعات الغربية الجديدة ليس بسبب قدرته الوحيدة للسيطرة على نوعية الحياة وحقيقي للمجتمعات بسبب ظهور الإسلام كدين وكأيديولوجية وهي أقرب من سابقاتها لتوحي إلى هلال تلك المجتمعات مدينا فصلا عن هلاكها المحتوى "

ا... هو الحرب السياسي قد أعلن الحرب على الإسلام واتخذه عدوا لدد محور الخطر الشيوعي الذي يهدد ويتربص لاستعباد الإسلام على عالمه والهيمنة وتخذه منهجا شاملا للدين والدولة والدنيا والآخرة والسياسة والقانون والعمران، وعلى المحاولات العربية المحصورة في المحاربة والشعائر والطقوس والعبادات، وترك دنيا المسلمين وثرواتها وموانعهم للمبشر الغربي

لقد اتخذوه عدوا، واعلنوا عليه الحرب بصموده مثلا ومركب ثقافة مخزومة وروح الجهاد لتحرير أمة الإسلام وعالمه وحصنه من الهيمنة الغربية وهو نموذج ذاتي للتجدد والتحديث متميز عن النموذج الغربي في حداثته ولتقدم وانتهوض

★ ★ ★

■ وعلى جبهة «الغزو الديني» كان سواء مع الغرب السياسي في الوقوف ضد الإسلام وكان يسعى ... فإن النصرانية بغربتها محاصرة بصمود الإسلام وتحاصره وتتحصر المسلمين ... الاعتقاد بتحيز هذه الحرب مع الكتاب المقدس الشريف

لقد تحدث البروتوكولات فسوسة تتحصر في صدر الكونجرس ... عن الصمود الإسلامي قد سعى سلام تتبعه بعده قرون متصلة وعلى تجاوز مشاهير هذا الصمود فرض تمثيل شريعة الإسلامية في مصر وتحصيه بدستور الإسلامي في دستور

كما تحدث هذه البروتوكولات عن الإسلام ... صيود في القرن السابع قد مثل تحديا لكنيسة يسوع المصلح»[2] وعن ... الإسلام هو ... الوحيد الذي يناقض مصادره الأصلية سس النصرانية وإن الصمم الإسلامي هو كثر الصمم الدينية السياسية احتشدت وساست إنه حركة ... تتحدى تتحصر في مجموعة تتطلب يقود قدرة عسكر ويجب تحدته أي جيش عسكري توسس حول العالم ... سيطرة النصراني لتركيز على الإسلام بنفس فصل قصر للإسلام وسعده النصراني مع الإسلام وإنه تتحصر ... قيم أو المتحضر من أجل حرب الإسلام في صدمة وهدم[3]

(١) «التنصير خطة لغزو العالم» بالإنجليزية ص ٨ طبعة عام سنة ١٩٩١ م.

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٩ (٣) المصدر السابق ص ٣٣

■ كيف تحدث هذه «البروتوكولات» عن معالم هذا الصراع في الحياة الإسلامية والتي تتمثل أصدق ما تتمثل في التعبير من خلال الثقافة الإسلامية والمصطلحات الإسلامية واستغلال الموروث الإسلامي عن طريق التحريف والتأويل فعلت هذه البروتوكولات»

«إنه من الممكن في بعض الأحوال الذهاب أبعد فيما يتعلق باستعمال المصطلحات القرآنية، مع إعطاء اهتمام خاص لثقافة الإسلامية وتكييف هذه الحروف خاصة واسعة على نحو لإملاء قراءة الأسماء الإنجليزية المعروفة واستعمال الألقاب المتحللة والتعبيرات الغريبة في ترجمة الأخبار[1] وصولا إلى المسلمين من أجل تعبئتهم على أساس دلالات قرآنية[2] وبهذه الطريقة تصبح عملية تنصير الشعوب المحمدية التي تعمل أجهزتنا الكبرى على الروح بصورة أسهل وبالتالي من خلال التعبير الصحيح[3]

■ ولم يقف هذا الزحف من صميم الإسلام ومن العقيدة والعبادة بل تعرض صحوته وبعد أن لم يقف الأمر عند الزحف الثقافي بل تعدى ذلك إلى الأمريكيين أن يشاركهم في هذا الزحف والغزو لكي يمكنهم من تحقيق أكبر قدر ممكن من السيطرة على صحوة الإسلامية التي بدأت تهدد مصالحهم وعلى رأسها المخطط الإسلامي وعلى رأس المستشرين الذين تقدمهم الأوساط الفكرية والثقافية الأمريكية وبصفة خاصة المجلس الأمريكي للثقافة

إن الإسلام يشكل تحديا حقيقيا لأوربا والغرب عموما وهذا التحدي إلى أن يكون أكبر وأخطر مما تتوقعه بعض العقول النمو السكاني في البلاد الإسلامية من العالم فقد أصبح نسبة تضخم النمو السكاني تتزايد بشكل يبعث على القلق في البلاد الإسلامية لدرجة وصل فيها المسلمون بقدر ما يستهلكونه بعد أن كانوا يصدرون ما يفيض عن حاجتهم بشكل ما

التحدي الذي يشكله الإسلام يكمن في أنه دين وثقافة مجتمع ونظام حكم وتفكير وتصرف، في حين أن المسيحيين في أوربا يعيشون في

[1] المصدر السابق ص ٥٩٥

[2] المصدر السابق ص ٥٩٦

[3] المصدر السابق ص ٥٩٥ ٥٩٦

الكنيسة أمام المحكمة وبعد سويعات يصدم الذي يفرضه عليهم، بعضهم، وفي حالة نفسه يشرع بتصدم المسلمين في شهر رمضان.[1]

كما يتحدث «جوستينو» الجوهري البرتغالي - بحسرة بابا الفاتيكان سنة ١٩٩٩م عن هذا «التوسع الإسلامي الجديد» لأوربا قائلاً:

«التوسع الإسلامي سوف يستمر بسرعة بمعدل ثلاثة أضعاف معدل النمو السكاني في كل قارة أوربا، حيث تبني المساجد والمراكز الثقافية للمسلمين الذين جرى في الآونة الأخيرة في تلك القارة عملية استيطانية فكيف يمكن الآن في ظل هذه الظروف وضد التوسع وفتح الأبواب؟»[2]

إنه الانزعاج والفزع من الإسلام وصموده أمام العلمنة والاستعمار وصحوته وتمدده - الذي سموه «فتحاً جديداً لأوربا والغرب».

وإنها لمعركة العرب لهذه الصحوة الإسلامية بإعلان حرب مسعورة على الإسلام والمسلمين وعلامة من علامات هذا الحصار الذي سموه في البداية «الحصار الأصولي» ثم بدلوا اسمه إلى «منع» عنه سماه آخرون منهم «الأصولية» وسماها آخرون «الأصولية».

★ ★ ★

■ وفي إطار هذا المخطط الغربي على الجبهة الداخلية «التبشير المسيحي» للمسلمين» جاء الحديث عن «المتغير الجوهري» والحديث الذي يتردد عن «المتغير الجوهري» يتعلق بالسياسة الغربية تجاه الكنائس الشرقية، في عملية «التبشير المسيحي» مخطط التبشير بالمسيحية بالاعتماد الجديد على الكنائس الشرقية والتركيز على الشرقية في إخراج الكنائس الشرقية من وصايتها ومن تبعيتها وفي الوقت نفسه تجنيد هذه الكنائس الشرقية في عملية التبشير الجديدة.

وعن هذا «المتغير - الجوهري» والحديث الذي يتردد كثيراً في أروقة التبشير الأمريكان في مؤتمر «كولورادو».

«... على مندوبي رسالات أمريكا شمالية والعالم لتبشير أن يتعلموا يكتشفوا ويوطدوا أسالب جديدة لتعاون ومشاركة مع كنائس لم تعد ...

(١) من جديد إلى صحيفة «... الصادرة عن ... في ... ١٩٩٩م

(٢) صحيفة «الشرق الأوسط» الصادرة في ١٣/١٠/١٩٩٩م

وعملها المنظم للوصول إلى المسلمين، لقد وطدنا العزم على العمل بالاعتماد المتبادل مع كل النصارى والكنائس الموجودة في العالم الإسلامي [illegible] نصارى البروتستانت – في الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا – منهمكون بصورة عميقة في تنصير المسلمين [illegible] تخرج الكنائس القومية من عزلتها وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذين تسعى إلى تنصيرهم. وعلى المواطنين النصارى في البلدان الإسلامية وإرساليات التنصير الأجنبية العمل معها بروح تامة من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك لتنصير المسلمين [illegible] يجب أن يتم كسب المسلمين عن طريق منصرين مقبولين داخل مجتمعاتهم [illegible] النصارى العرب في عملية التنصير [illegible] تنصير هذه البلاد سوف يتم من خلال النصارى المنتمين إلى الكنيسة المحلية.

■ هكذا تم التخطيط النصراني العربي لغواية الكنائس الشرقية وتوظيفها في المخطط العربي لتنصير المسلمين. كما سبق وخطط العرب السياسي لغواية العلمانيين الشرقيين وتوظيفهم في عملية تعريب الأمة الإسلامية بهدف كسر شوكة الإسلام وتحقيق التبعية الحضارية في عالم الإسلام للمركز الحضاري العربي.

وفي إطار هذا المخطط المكتوب والمعلن يجب أن نرى «ظاهرة قمص زكريا بطرس» قمص الكنيسة الأرثوذكسية المصرية، وجهوده الساعية إلى تنصير المسلمين من خلال حفاوة [illegible] وجهود غيره من المنصرين.

وأن نسأل أنفسنا:

– ماذا نحن فاعلون؟

تنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ص ٧٩، ٥٣، ٥٦ ٤ ٥ ٦٢٧، ٦٣٠، ٣٨٣ ٨٤٥

٢ لماذا دستور الأسرة المسلمة؟

قبل الغزو الفكري الذي جاء إلى الشرق الإسلامي في ركاب الغزوة الغربية الحديثة التي قادها نوبليون (١٧٦٩ - ١٨٢١م على مصر والشرق ١٢١٣هـ - ١٧٩٨م) - لم تكن هناك حاجة إلى وضع المواثيق التي تحدد المفاهيم والفلسفات لسلوك المسلمين في مختلف ميادين الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية، لأن المرجعية الإسلامية كانت هي الوحيدة الحاكمة، التي تحدد كل المفاهيم والفلسفات في سائر هذه الميادين.

ولقد كانت المشكلات التي تعاني منها الحياة الإسلامية المعاصرة على التطبيق لهذه المفاهيم الإسلامية الواحدة والتي تحكم حتى الاختلافات الفرعية التي تثمرها الاجتهاد في إطار وحدة هذه المرجعية ومفاهيمها وفلسفاتها ومدى اقتراب الواقع والتطبيق من المثل التي حددها الإسلام.

لكن الغزو الفكري الغربي قد حدث متغير أساسي وبدأ عندما زرع في المجتمعات الشرقية الإسلامية مرجعية حضارية أخرى، وضعت علمانية لادينية - عدت منافسا شرسا للمرجعية الإسلامية، الأمر الذي استدعى واستوجب تمييز المفاهيم الإسلامية عن نظيرتها الوضعية العلمانية اللادينية في مختلف ميادين الحياة.

- فبدأ الحديث عن ضرورة وأهمية تقنين الفقه الإسلامي كمادة متميزة عن القانون الوضعي العلماني.
- وبدأت بلورة الرؤية الإسلامية للكون والحياة، وبداية الخلق والمسيرة والمصير، ومكانة الإنسان في الكون، كمادة متميزة عن الرؤية الوضعية والمادية للكون والحياة.

■ وبدأت لجنوده عهد الإسلام في الثروة والأسواق والعمل الاجتماعي هذه الاستخلاف كما في التيسيرة الرأسمالية، والشيوعية شيوعية في الاقتصاد والاجتماع

★ ★ ★

ولم تعرف الفكرة العربية في تاريخها الطويل بعد الحضارة الإسلامية بعد عمومه واحتفاظ على استحداث جديد وبراعته بعض ولد نفس في خلط اتجاهاتهم ومصادر المصطلحات وبيئة كي لا يستقر العلم الإسلامي فيستقر لأنه معرفته ولا يتوافر في تخطيطها العرب كما على عهد تمكنه الأمة في منظومة القيم الإسلامية مكانة حرم والعرض والشرف فقد جاء العرب بعد الإسلام عهد حر وفي مرحلة عموم يتوافق مع كل مبادئ الجديد جاء في الوقت الذي أصبحت فيه الأسرة المسلمة «محاصرة» بهد العرب الفكرة من جميع الجهات والاتجاهات

لقد بدأ تسلل القانون الوضعي أولا إلى ميادين المنازعات التجارية في حوالي عام ١٨٥٠م حيث عرفي هذه المنازعات المختلطة في سنة ١٨٥٥م في عهد السعيد سعيد [١٢٣٧ - ١٢٧٩هـ / ١٨٢٢ - ١٨٦٣م] ثم امتد اختصاص محاكم القنصليات المختلطة سنة ١٨٦١م التي تقضي بتطبيق القانون الوضعي بين الأجانب والمصريين حتى خارج المواد التجارية

ثم حدث تعميم هذا التسلل إلى مطلق ميادين المنازعات المدنية والتجارية التي يكون أحد طرفيها أجنبيًا وذلك عندما أنشئت «المحاكم المختلطة» في عهد الخديو إسماعيل [١٢٤٥ - ١٣١٢هـ / ١٨٣٠ - ١٨٩٥م] ورئيس وزرائه الأرمني نوبار باشا «١٨٢٥ - ١٨٩٩م» وذلك في سنة ١٨٧٥م وهي المحاكم التي يقضي فيها القضاة الأجانب بالقانون الفرنسي والقضاء الفرنسية

فلما وقع الاحتلال الإنجليزي لمصر سنة ١٨٨٢م، عممت سلطات الاحتلال هذا الاختصاص الأجنبي في المحاكم الأهلية المصرية مع تعديل بسيط ثم بقي خارجًا عن ولاية القانون الوضعي وحده كميته سوى الأسرة وأحوالها الشخصية

ومع بدء عهد موجات التغريب وريادة هيمنة الغرب على حياة الشعوب وحتى العواصم العربية بالخصوصيات المتفاوتة، فهمنة غير الغرب في

العقدين الأخيرين من القرن العشرين [illegible] الاقتحام الغربي لحرمات الأسرة المسلمة، والانتهاك لمقدسات منظومة قيمها التي حددها الإسلام وصاغتها المرجعية الإسلامية، الأمر الذي فرض وتفرض على مؤسسات العلم والفكر والعمل الإسلامي صياغة البديل الإسلامي في هذا الميدان.

★ ★ ★

لقد شرع الغزو الفكري الغربي منذ العقدين الأخيرين للقرن العشرين في صياغة منظومة قيمة في الحداثة وما بعد الحداثة، صياغتها في مواثيق ومعاهدات أخذ في عولمتها تحت ستار الأمم المتحدة [illegible] وذلك لإحلال هذه المنظومة [illegible] القيم [illegible] منظومة القيم الإسلامية وفي [illegible] الأسرة على وجه التحديد.

وإذا كانت قوى الهيمنة الغربية المعاصرة ترفع في [illegible] شعار الفوضى الخلاقة التي تبعث من ورائها تفكيك المجتمعات الإسلامية وتغيره مكونا [illegible] وفق معايير عرقية ولغوية ومذهبية [illegible] [illegible] هذه المجتمعات [illegible] الإسلامية من [illegible] التحرير [illegible] فقد عدت [illegible] الغربية على [illegible] الأسرة [illegible] المعركة [illegible] في هذه الغزوة [illegible] أحداث الفوضى في عالم الأسرة [illegible] تفكيك الأمة المكونة من الأسر [illegible]

★ ★ ★

وإذ نحن أخذنا نموذجًا واحدًا من «الوثائق» التي تصوغها الغرب [illegible] منظومة قيمة في الحداثة وما بعد الحداثة ثم تسعى [illegible] على الحضارات غير الغربية تحت ستار الأمم المتحدة وإعلانها [illegible] فصولها ومواد [illegible] من معالم الهدم [illegible] الأسرة [illegible] القيم والأخلاق [illegible] في [illegible] «للسكان والتنمية» الذي عقد بالقاهرة من ٥ حتى ١٥ سبتمبر سنة ١٩٩٤م نموذجًا «لإعلان الحرب» على الأسرة المسلمة ومنظومة القيم والأخلاق التي حددها لها الإسلام.

■ و ذكر الإسلام [illegible] نطلاق من فطرة الإنسان السوية [illegible] في بناء الأسرة على العلاقات الشرعية والمشروعة بين ذكر وأنثى يستحقون بها [illegible] ر والتكامل سعادة الإنسان، وليتحقق بالتوالد والتناسل بقاء النوع الإنساني، ولتكون هذه الأسرة هي البيئة الأولى في تأسيس بناء الأمة [illegible] وتحرص [illegible] على هذا المعنى الإنساني للأسرة، وتدعو إلى تغيير الهيكل الأسري المتغير هو الحد الحتمي لعمر الحكومات والمنظمات الحكومية الدولية والمنظمات غير الحكومية المعنية، ووكالات التنمية والمؤسسات البحثية فكل هذه المؤسسات تدعو إلى إجراء «الإعطاء الأولوية للتنمية البشرية بتحقيق تغيير فيما يتعلق بالأسرة» وذلك حتى لا تكون [illegible] فقط أسرة شرعية مؤسسة على علاقة مشروعة بين ذكر وأنثى وتحت تصنيفهم كل أنواع العلاقات غير الشرعية وغير الإنسانية مداخل مدخلة بذلك لإعطاء كل أنواع العلاقات الشاذة والمحرمة شرعاً في «مفهوم الأسرة» التي يعترف بها القانون ويحميها وترتب لها الحقوق

■ وإذا كان الإسلام قد ضبط [illegible] الجنسية بكونها سلالاً شرعياً [illegible] والإحصان والإحصان فجعل الجنس المشروع في وثيقة مؤتمر بكين [illegible] فقط [illegible] بكون الجنس مباحاً [illegible] لا يتعدى الأعراض ويتضمن [illegible] من صور [illegible] أسرع بكثير [illegible] الجنس كالتحرش والاغتصاب [illegible] بجميع الأعمار [illegible] وليس فقط [illegible] وفي كل الأعمار [illegible] في [illegible] المراهقون والمراهقات

فالصحة الجنسية والصحة الجنسية [illegible] في [illegible] مصطلحها الأكثر شيوعاً وذكراً في هذه الوثيقة هي [illegible] [illegible] والإحصائية كما [illegible] التي تجعل الأمر [illegible] وليس فقط الأمر [illegible] في [illegible] ابتغاء بحياة جنسية مرضية وتناسلية[1] والصحة الجنسية والصحة الإنسانية والجنسية هي [illegible] كالإحصان الجنسي المشروع هو حق من حقوق الإنسان والمنتشر بين المراهقين[2]

(1) [illegible] الدولي للسكان والتنمية [illegible] في عام [illegible] الوثيقة الختامية للمؤتمر صفحة ١٩٩٤م

(2) المصدر السابق، الفقرة [illegible] ٥

(3) المصدر نفسه، الفصل الرابع – الفقرة ٢

■ وبذلك الإسلام عد صفة على عقد الزواج ... في عدد من الآيات لأسرة وصف بعضها لعقد المؤسس على قيم المودة والرحمة والسكن والسكينة فجاء في القرآن الكريم: وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا [النساء ٢١] ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون [الروم ٢١] فالزواج ميثاق غليظ، مؤسس على علاقة، التي تسمى سرة على عكس الأشياء الأخرى المؤسس على الإباحة والإباحة والإباحة فهي سرع عن هذه العلاقة المقدسة لسرعة حتى بعد خلق كل قصير هذه المؤسسة وقد فك الله من كتابه الله والله

■ وبذلك الإسلام يحض على الزواج ويشكل لإحصان المجتمع من الشذوذ والسلبيات وأعدائهم في وحدته ويعتبر السكون والحرم والزواج والسكن والمستقبل عبارات متى ما توفر الشكل فيها يحكم على الزواج بالإسلامي عند توفر جميعا فيما قصى الأمر ولا تستطيع أن تعطي عن الزواج الباطل

في سبيل دعوة إلى تقييد الحلال وفي طلاق يحرم الذي يخلق حقوق الحسد بالنسبة لجميع المشتغلين جنسيا من كل الأعمار وبين جنسية الأفراد وعلى اختلاف الولاء هذه العلاقات

■ وفي الوقت الذي يقيم فيه الإسلام العلاقة بين الزوجين والمرأة وخاصة في إطار الأسرة على قواعد المودة والرحمة والسكن والسكينة ويجعل «النساء شقائق الرجال» كما جاء في الحديث النبوي الشريف ويقرر لهما من الحقوق ما لهن عليهن من الواجبات بالمعروف الذي يليق بالمعروف [البقرة ٢٢٨] ويوصي بالمعاشرة والمعاملة بالمعروف ويجعل من السكن والسكينة صلاة ويؤكد ويشجع على المودة والرحمة وثبت بالقرآن الكريم حكمة [سورة ٧١] تدعو المسلم إلى انطلاقا من الصنع المادي لتحصاره بقوله: إن الزواج هذه العلاقة هي علاقة تجارية مدنية بسيطة كما تقوم وتنفك ولا أخلاقية فيتحدث عن «تمكين المرء من التلاعب بالزوجات» وهو ما يدعو

المصدر: سيد القمني، الربا، القرآن، ٢٠٠٢

الى دمجها بشكل تام في الحياة المجتمعية وفي نفس الوقت الكفالة لها حرية تربية الأطفال وتعليمهم بحرية [1] . فقد تم بذلك تقسيم العمل الفعلي داخل الحياة الإنسانية على مر الزمن

- والأكثر إمعانا في الحرية والسلام أن العرب الذي يتفاخر بالحديث عن الحرية والليبرالية وحقوق الإنسان ينكر على الأمم والحضارات الأخرى حقوقها في أن تختار منهجها لفهم الدين وتسعى لنشر مفاهيمه وأيديولوجيته على فرض مفاهيمه وفلسفته على العالمين حتى ليعلن في وثيقة مؤتمر السكان توجيه المعونات التي يقدمها لتنفيذ ما صاغه في هذه الوثيقة من قيود وشروط تعسفية في هذه الوثيقة – عبارات الالتزام والالزام التي تعبر بجلاء عن تحكم الدين الإسلامي وسيطرته على أي مسعى سياسي واجتماعي واقتصادي والأهداف التي وردت في الوثيقة [2] وتعبر عن حضارة وثقافة الوثيقة تكفل احترام [3] ويتبغي على المجتمعة العالمية بالأمم المتحدة أن تتخذ من هذه الوثيقة أساسا لتنفيذ برنامج العمل هذا [4]

وعندما طلبت بعض الوفود في الوثيقة على أن يكون التعبير الأساسي الذي يتكرر في جميع أنحاء الوثيقة هو الحق في الحياة بدلا من الحق في الحياة الذي يتعارض مع الشريعة الإسلامية وهي تعبير أبى العرب التخلي عن فلسفته في هذا الصدد

- أما الأمر الذي يثير الغرابة في هذه الوثيقة فهو تصاعد في حالات الحمل غير الشرعي التي تشجع على الإجهاض وتنص هذه الوثيقة على أنه ينبغي للمجتمع الدولي أن يتخذ في هذا الشأن خطوات تكفل توجيه الدعم الفني للحكومات من أجل توفير وسائل تنظيم الأسرة الموثوقة بفعاليتها وغيرها من وسائل تنظيم الحمل الأمنة والفعالة وغير المكلفة والمقبولة ثقافيا التي يختارها العملاء في إطار من الخدمات الصحية الأولية [5]

---

١ د. محمد السيد الجبلي الحرية الفردية ص ٢ ٢ المجلة المصرية للقانون الدولي ص ٢٥

٣ مجلة الدراسات القانونية الفقرة ٩

٤ المصدر السابق مجلة الدراسات القانونية ص ٢١

٥ مجلة الدراسات القانونية

٦ المصدر السابق مجلة الدراسات القانونية ص ٢٣

نعم هذا هو الميدان الذي يستطيع فيه الغرب الدول الناهضة كي تعتمد على انتاج مصدر ابتكار وتوزيع وتسويق منتج الحمل ذات النوعية العالية، وتعرف ما تشبعه ضروريه للحفاظ على متعة الحياة الجنسية الطبيعية للأفراد من مختلف الأعمار.

★ ★ ★

وهكذا ومن خلال هذه الدراسة وهي مجرد أمثلة من واقع مجتمعنا المسلم، وهي مجرد وسيلة من وسائل عديدة يتم تقويم وتحليل أحد خصائص الأمة الإسلامية وهي وسطيته تقيم لحركة هذا العصر بخصائص الأسرة المسلمة.

لأمر الذي استوجب وفرض أن نضع ونصنع نهجاً خاصاً بدراسة الأسرة في الإسلام يكون مع مركزية تفسيرية تتلاءم مع طبيعة الإسلام وخلال كل فترة ومرحلة من مجتمعات الإسلامية ومجتمعاتنا الأهلية ومجتمعاتنا الوطنية ومجتمعات الأقليات المسلمة، من واقع على مجتمع الغرب والذي نحن نعيش فيه الذي يدرس فيه مجتمعنا المسلم في مجتمع الغرب خصائص الإسلام وأمته خصائص الأسرة في عالم الإسلام.

■ ثم ولعرض مفهومين مختصرين للحرية نبدأ بأحدهما من فلسفة تنظر إلى مكانة الإنسان في الكون وعلاقته بالذات الإلهية.

في الإسلام الإنسان مخلوق لله سبحانه وتعالى له حريته ومسئوليته وتوكل إليه الحكومة بشورى وعهد الاستخلاف الإنسان في الأرض.

يشهد هذا الإنسان في رؤية بعض الغرب أنه يتمتع بالحرية لأنه يملك على عقله لا يخضع لأحد ولا لأحد يحرمه أن يفكر ويعتقد.

وبقدر ما علمت الإسلام مبدأ الحرية الفكرية في عصره الإسلامي هذا الفكر جوهري في عهد الخليفة عبد الله المأمون [١٢٦١ - ١٣١٣ هـ = ١٨٤٥م - ١٨٩٦م] بتعميم مبدأ الحرية الفكرية.

ويمثل هذا الحرية تقضي بعدم تعرض أحد لأحد في أموره الخاصة فيما إذا رجع إلى الفطرة وخرج عن حد الإنسانية إلى حرية المعتقدة فهي عبارة عن المحاسبة والعقوبة عند الحدود.

وتبدو كل تلك سائدة في ورثة قبل كل أمة عادات وروابط قديمة أو حديثة وهذه الأسرة لا تساس بحلاي السياسيين ولا قواعدهم الدستورية ولا عاداتهم [1]

★ ★ ★

أساس بناء الأسرة الصحيح في الإسلام هو المنظومة القيمية الحاكمة لمؤسسة الأسرة عندما تقوم على «الميثاق الغليظ» الجامع بقيم المودة والرحمة والسكن والسكينة

كما رسم هذا الإسلام الطريق والوسائل لحل مشكلات هذه الأسرة عند التعرض إلى المشورة في الشقاق وجعل «التحكيم» والصلح سبيلا لإصلاح هذه المشكلات

وبحسب أبناء المحضارة التي وضعت هذه القيم الدينية وحرصت على المحافظة والتطبيق على امتداد التاريخ الإسلامي حتى لقد ربما «مؤسسة الأوقاف» وهي «مؤسسة الأهلية الأم» التي دوما صنعت الحضارة الإسلامية وتجديدها ترصد الأوقاف الواسعة على مؤسسة الأسرة فتيسر لها وتحل مشكلاتها الأوقاف التي تيسر

١ ترويج المحتاجين والمحتاجات

٢ – وتقديم الحلي وأدوات الزينة ومستلزمات العرس للعرائس الفقيرات

٣ – وتقديم حليب الرضاعة الحلبي بالسكر لإعانة الأمهات المرضعات

٤ وتأسيس دور لرعاية النساء العاصيات اللواتي لا أسر لهن أو من تمنعهن أسرهن في بلاد بعيدة فتؤسس هذه الأوقاف لهن دورا تقوم على رعايتها نساء مدربات على رأسهن مشرفة تهيئ المصلح لزوجات العاصيات من أزواجهن

٥ – وحتى الأوقاف المرصودة على رعاية الأيتام والضعفاء

★ ★ ★

هكذا صاغ الإسلام للأسرة ميثاقا من القيم والأخلاق ووضع الحضارة الإسلامية هذه القيم في التطبيق – قدر الإمكان، ومع تعثر في التطبيق حين يضرب فيه «الواقع» من «المثل» على امتداد تاريخ الإسلام

[1] عبد الحليم عويس «الأسرة» العدد ١٩ ص ٤٣٩ في ٨ جمادى الآخرة ١٣٩١هـ الموافق سنة ١٩٧٢م

ومن هنا [illegible] وفي مواجهة الغزو الغربي لحصن الأسرة المسلمة [illegible] الأهمية البالغة لهذا الميثاق - ميثاق الأسرة الإسلامية [illegible] تلك الأهمية التي لا تقف عند كونه السياج الذي يحمي الأسرة المسلمة في المجتمعات الإسلامية وإنما تمتد [illegible] هذه الأهمية [illegible] حيث تجعله إعلاناً عالمياً إسلامياً [illegible] من عالمية الإسلام وهدايته للعالمين، ليكون طوق نجاة للأسرة - كل أسرة - على امتداد القارات والحضارات.. وذلك عندما يدعو - باسم الإسلام - أهل الحكمة والفطرة الإنسانية السوية [illegible] من مختلف الديانات [illegible] إلى كلمة سواء.

[illegible] إسلامي لكل ما يرفضه الإسلام [illegible] يتعلق بالأسرة [illegible] الأسرة المسلمة [illegible] عبر [illegible] إلى المؤتمرات العالمية [illegible] إعلان إسلامي عالمي [illegible] الأسرة من الانحلال الذي تفرضه عليها العولمة الغربية.

تلك هي رسالة هذا الميثاق [illegible] وهذه هي مكانته ومقاصده [illegible] يدعو الله سبحانه وتعالى أن يهيئ لها أسباب التحقيق والتمكين [illegible] سبحانه - أفضل مسئول وأكرم مجيب.

١ مقدمة كتبتها [illegible] الأسرة المسلمة [illegible] الإسلامية [illegible] منظمة المؤتمر الإسلامي

٣ الأيديولوجيات فى خدمة المصالح

كل الحروب والصراعات تدور حول المصالح، لكن المصالح لا تسير وحدها عارية من الأفكار والعقائد والمسلمات والأيديولوجيات، فالجيوش التى تحارب فى سبيل المصالح لابد لها من عقائد قتالية تدفعها للتضحية فى سبيل تحقيق المصالح، والجماهير التى تحبس الجيوش وتنفق على التسلح وتضحى فى الحروب لابد لها من أفكار وأيديولوجيات وعقائد تشحنها وتحرضها على تقديم التضحيات فى سبيل المقاصد المصلحية.

وبهذه الحقيقة ارتبطت حروب المصالح وصراعاتها بحروب الأفكار والعقائد والأيديولوجيات.

- فالاستعمار الرومانى الذى قهر الشرق عشرة قرون قبل ظهور الإسلام قد توسل لتحقيق استغلاله لثروات الشرق بالاضطهاد الدينى واتفق فى شعوب الشرق، حدث ذلك فى ظل وثنية الرومان التى اضطهدت نصرانية الشرق، وحدث ذلك أيضا بعد أن تدين الرومان بالنصرانية فقد تم وإنهم مذهبا - هو المذهب الملكانى - يضطهد المذاهب النصرانية الشرقية، فكان الفكر اللاهوتى سلاحا فى حروب المصالح بين الاستعمار الرومانى وبين الشرقيين الساعين إلى التحرر من الاستعمار.
- وفى حقبة الحروب الصليبية القديمة [٤٨٩ - ٦٩٠ هـ = ١٠٩٦ - ١٢٩١م] كانت عين الصليبيين الكاثوليكية على ثروات الشرق وكنوزه وخيراته، وعلى أرضه الخصبة، وعلى خزائنه التى تعز على الإحصاء.

لكنها غلّفت هذه المصالح الدنيوية السافرة بغلاف العقيدة المسيحية، فبرر المسيح ومفاتيح الجنة والغفران لأمراء الإقطاع من جرائم صراعاتهم الداخلية والدماء التى سفكوها فيها، حتى لقد اعتبرت البابوية أن هذه الحرب المصلحية هى فى سبيل الله - وبعبارة أبيات هى حرب «فى حق الله عينه»!

وتؤكد هذه الحقيقة نص الخطبة التي خطبها البابا الذي عبر هذه الحروب الصليبية «أوربان الثاني» (١٠٨٨ - ١٠٩٩م) في فرسان الإقطاع بكليرمونت بجنوبي فرنسا سنة ١٠٩٥م والتي خاطبهم بها فقال:

«يا من كنتم لصوصًا كونوا الآن جنودًا. لقد آن الزمان الذي فيه تتولون ضد الإسلام تلك الأسلحة التي أنتم لحد الآن تستخدمونها بعضكم ضد بعض. فالحرب المقدسة المعتمدة الآن هي في حق الله عليه. وليست هي الاكتساب مدينة واحدة، بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع عدنها وخزائنها عديمة الإحصاء. فاتخذوا محجة القبر المقدس، وخلصوا الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين وأنتم ملكوها لذواتكم. فهذه الأرض حسب ألفاظ التوراة تفيض لبنًا وعسلًا ومدينة أورشليم هي قطب الأرض المذكورة والأمكنة المخصبة المشابهة فردوسًا سماويًا. امضوا متسلحين بسيف مفاتيحي البطرسية واكسبوا بها لذواتكم خزائن المكافآت السماوية الأبدية فإذا أنتم انتصرتم على أعدائكم فالملك الشرقي يكون لكم قسمًا وميراثًا».

هكذا اختلطت أحاديث الخزائن الأرضية التي لا تحصى بخزائن المكافآت السماوية الأبدية. ومن هذه الحقائق التاريخية نتعلم أن تجريد الصراعات من أبعادها الفكرية وعوامها الأيديولوجية هو وهم، إذ أدى إلى نزع سلاحنا بحرًا فإنه لن ينزع الأسلحة الدينية والأيديولوجية للأعداء؟!

٤ علاقة المسلم بالاخر الدينى

في دولة اليهود بالمدينة المنورة منذ رسول الله [illegible] سن رسول الله [illegible] فلسفة الإسلام في العلاقة بالاخر الديني الكتابي حيث واجه اليهود والنصارى وحاورهم وصنف عليهم وقد صنف هذه السور المدنية المتعلقة عن هذه الفلسفة الاسلامية في وثيقة دستورية عرفت بدولة المدينة او بصحيفة المدينة بخلافه مراسلة وصف صنفهم مرجعيا في حدود كثير عبارة [illegible] الخاصة الاسلامية وصنف عالم الاسلام

- وتسمى هذه الوثيقة الدستورية في الصحيفة المكتوبة دستور دولة المدينة المنورة، التي وضعها رسول الله ﷺ بعد هجرته وتكوين الأمة، وتحدد فيها الدولة ومكونات رعيتها، الأمة والحقوق والواجبات الواجبة للرعية بما فيهم الاخر الديني اليهود العرب وحتى وهم غير مسلمين وتعد كذلك المرجعية الحاكمة للدولة ورعيتها

وفي هذه الوثيقة الدستورية تحدثت مواده التي زادت على الخمسين مادة عن النوع الديني في بناء الأمة الوليدة والدولة الجديدة، وعن مساواة كل عناصر المكونين، فتحدث عن العلاقة بين المسلمين واليهود الذين عاشوا معهم في إطار وحدة الأمة الوليدة، وبين المهاجرين من المسلمين والمسلمين من أهل يثرب، بين المسلمين واليهود وبين اليهود أنفسهم وبين المسلمين أنفسهم وبين اليهود كأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوبق إلا نفسه وأهل بيته، ومن بعد من يهود فلن له النصر والأسوة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم يتعاونون مع المؤمنين مادامت محاربين على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وبين بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وبينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ١٥ – ٢١ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م]

فكانت هذه الوثيقة الدستورية أول عقد اجتماعي وسياسي و ديني حقيقي وليس مفترضًا ولا متوهمًا لا يكتفي بالاعتراف بالآخر ويدعو لآخر حزءًا من الرعاية والأمة ولديه أي جزءًا من الدولة له كل الحقوق وعليه كل الواجبات، ودون في زمن لم يكن فيه طرف يعترف بالآخر على وجه التعميم والإطلاق

- من الوثيقة الدستورية الثانية فهي خاصة بالعلاقة مع الآخر النصراني وصحب رسول الله ﷺ نصارى نجران عهدهم وكل نصراني نصراني عبر المكان والزمان – وذلك عند أول علاقة بين الدولة الإسلامية وغير المسلمين بالنصرانية. وفي هذا العهد الدستوري كتب رسول الله ﷺ لنجران وحاشيتها، وما تحت أيديهم من النصرانية في أقطار الأرض جوار الله ورسوله محمد رسول الله على أموالهم وأنفسهم، وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته على كل ما تحت أيديهم من رهبانية أو بيعة أو سنن صلوا بهم وموضع الرهبان ومواطن السياح وأن جوارهم أينما كانوا ومن حيث كانوا لا يغير ما هم عليه ولا يغير حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا سلطان من هم تحت أيديهم من قليل ما تحت أيديهم، وليس عليهم رهبانية ولا سياحة ولا يحل لأحد منهم أن يحتبس على المسلمين طريقًا ولا يمنعهم حقًا وجب عليهم ولا يحل لمسلم أن يغير على نصراني جوارًا ولا يخالف ما شرط لهم [مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ص ١٢٣ – ١٢٨، صدر بالقاهرة سنة ١٩٥٦م]

فبعث هذه الوثيقة – التي أشرنا إلى سطور من صفحاتها – في الاعتراف بالآخر الديني و الدور به و تكريمه له والتمكين لخصوصيته و الاعتراف بما له من بيعة وثقافة أخرى عبر تاريخ الإنسانية القديم منها واليوم والحديث والمعاصر أيضًا مع تميز كبير، وهي تحسب لهذا المشروع والخلاف في عصر رحمة الأمة تحسبًا لفسحة الدين الإسلامي في العلاقة بالآخر وليس على أفضل من دين الله كما هو بين في وثيقة نجران التي تؤسس للعلاقات بين المختلفين

- أما السنة النبوية الثانية التي همت للعلاقة بالآخر الديني، فلقد همت تعود الآخر إلى أهل الديانات بوصفة فعاملهم معاملة أهل الديانات لكن بعد ولقد بدأ تطبيق دولة الخلافة الراشدة لهذه السنة عندما دخل المسلمون

بالمجوسية في إطار الرعية الواحدة لدولة الخلافة الراشدة على عهد الراشد الثاني عمر بن الخطاب [٤٠ ق هـ - ٢٣ هـ = ٥٨٤ - ٦٤٤م] فقد عرض عمر هذا الواقع الجديد - الموقف من المجوس - على مجلس الشورى مجلس السبعين، الذي كان يجتمع بمسجد النبوة، بمكان محدد، وأوقات منتظمة وسأل عمر

كيف أصنع بالمجوس؟

فوثب عبد الرحمن بن عوف [٤٤ ق هـ - ٣٢ هـ = ٥٨٠ - ٦٥٢م] فقال

- أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: سُنّوا فيهم سنة أهل الكتاب» (البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣٢٧، طبعة القاهرة سنة ١٩٥٦م)

فعومل أهل الديانات الوضعية - كل الديانات الوضعية - معاملة الكتابيين عبر تاريخ حضارة الإسلام تأسيسًا على السنن النبوية الثلاث التي قننت لذلك التنوع والاختلاف، منذ دولة المدينة المنورة، على عهد رسول الله ﷺ وحتى أحدث الاجتهادات في الفقه الإسلامي المعاصر

المباهلة

المباهله مفاعلة من الجانبين مشتقة من البهل وهو الدعاء باللعن يقال أبهل الله عليه أي لعنه وأبعده من الخير وخص بعضهم بها الدعاء على المبطل منهما

وفي الصحاح للجوهري: البهل والابتهال التلاعن، وقد بهل وابتهل أي لعن بعضهم بعضا

وفي تفسير الرازي: روى أبو بكر الأصم عن عمرو بن العاص قال: قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ فقالوا له: صف لنا ربك أمن ذهب هو أم من فضة أم من نحاس؟ فلم يجبهم بشيء، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: قل لهم إن ربي لا يوصف بشيء مما ذكرتم، وإنما يوصف بما وصف به نفسه، ثم إنه أمهلهم ثلاثة أيام، فغدا عليهم وهم يقولون في عيسى ما يقولون، فأخبرهم بما أخبره جبريل، فقالوا: فأنت يا محمد ما تقول في عيسى؟ فقال: هو عبد الله ورسوله، فقالوا: ألست تزعم أنه كلمة الله؟ قال: بلى، فقالوا: فهل رأيت بشرا قط خلق من غير أب؟ فقال: إن آدم خلق من غير أب ولا أم، فإن كان ذلك فيه فهو فيه، فأنزل الله تعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران: ٥٩] إلى قوله: ﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ [آل عمران: ٦١]

وفي سبب نزول آيات المباهلة هذه ما جاء في تفسير الخازن: لما قدم وفد نجران على النبي ﷺ بالمدينة سنة ٩ هـ سنة ٦٣٠م وهم ستون راكبا فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، وهم العاقب عبد المسيح، والسيد الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، وابن الحارث في آخرين من أشرافهم، وبعد أن كلموا رسول الله ﷺ، قال لهم الرسول:

إن عيسى عبد الله وكلمته

- فقالوا: أرنا عبدا خلق من غير أب

فقال لهم الرسول: أما من آدم فقد علمتم أن عيسى ليس له أب، فما بال عبد المسيح يقول فيه ما يقول؟

فنزلت الآيات تدعوهم إلى المباهلة إن لم يصدقوا، فلما حضروا للمباهلة بعضهم ببعض ونساء الفريقين حاضرات، نصر عن ابن عباس أن نجران السخنة على المباهلة لكنهم

لكنهم خافوا على أنفسهم من سخط المباهلة لما علموا من صدق نبوة ورسالة محمد ﷺ حتى قال بعضهم لبعض: إن فعلتم فاصبروا يأتي عليكم بأمر

فعدلوا إلى النبي ﷺ يسألونه صلحا عن المباهلة وعلى الإسلام وقالوا

أم نعرض علينا سوى هذا؟

فعلى الإسلام أو حربه أو الجزية

فعاهدوه على حقن دمائهم وحفظ ذراريهم كما يرعى الراعية لرعية الإسلامية على حربه مقدارها ألف حلة تدفع سنويا في شهر صفر وهي حلة أخرى سنوية في شهر رجب

وبذلك تكون المباهلة قد وقعت عند حد التحدي فقط ولم تتم لأنهم دفعوا عاقبتها، واختاروا الصلح والمعاهدة التي دخلوا بها في رعية الدولة الإسلامية وحمايتها مع الاحتفاظ بحريتهم الدينية وعقائدهم الخاصة

وظاهر الآية الكريمة يدعي بعضهم أنها تقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اختار فريقه للمباهلة علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن والحسين رضي الله عنهم «لأن كلمة (نساءنا) – كما يقول الإمام محمد عبده [١٢٦٥ – ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] – لا تقولها العربي يريد بها ابنته، لا سيما إذا كان له أزواج، ولا يفهم هذا من لغة العرب، وأبعد من ذلك أن يراد بـ«أنفسنا» عندما يطلقها النبي على بن أبي طالب»

فما تطلبه الآيات هو اجتماع الفريقين للمناظرة والمحاجّة والمجادلة، بحضور جماهير الفريقين رجالا ونساء وصغارا ويتضرعون لله بأن ينزل نكاله ميهما

وتؤكد أن هذه المباهلة لم تتم لأن وفد نجران يومئذ لم يكن معهم أحد من النساء والأبناء

★ ★ ★

ولأن هذه المباهلة هي سبيل من سبل المناظرة والمحاجة بين أهل الحق وأهل الباطل، ولخلو الآيات مما يفيد قصرها على النبي ﷺ أو على زمنه فهي تشريع إسلامي خالد تستدعيه المقاصد المرجوة من ورائه، والمصالح المتعلقة عليه ودلت، قال الإمام ابن عابدين [١١٩٨ - ١٢٥٢هـ = ١٧٨٤ – ١٨٣٦م] «أن المباهلة، بمعنى الملاعنة، مشروعة في زماننا» وبذلك فمن المشروع والوارد أن تكون المباهلة من أساليب واليات المناظرة والمحاجّة مع المخالفين والمعاندين التي لم تتم بمناظرة وتقدم الفرقاء المختلفون ما لدى كل منهم من

الحجج والبراهين والبينات، ثم ينتهون إلى الله سبحانه وتعالى أن يجعل اللعنة على الكاذبين

وإذا كان التاريخ الإسلامي قد شهد العديد والعديد من المناظرات بين علماء الإسلام وبين نفر من أهل الكتاب فلا تحضرني وقائع تاريخية قديمة أو حديثة اتخذت فيها هذه المناظرات صورة المباهلة التي تريد بها هذه الآيات من القرآن الكريم والله أعلم

٦ فى العدل مع الآخر الدينى

[illegible]

وجوههم إلى المشرق ثم كتب لهم ... ولكل من يتدين بالنصرانية عهدا لا تزال نصوصه منفردة غير مسبوقة ولا ملحوقة، بين عهود حقوق الإنسان ومواثيقها ويكفي أن نقرأ فيه التحرر وحد شبهها، وسائر من يتمحل دين النصرانية في أقطار الأرض جوار الله وذمة محمد رسول الله، على أموالهم وأنفسهم وملتهم وبيعهم وكل ما يحد أديانهم إن حمى جانبهم وأذب عنهم وعن كنائسهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان ومواطن السياح وإن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا مما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي لأني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين وعلى المسلمين ما عليهم حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم.

نعم تلك هي سنة الإسلام في العدل مع الآخرين والمخالفين في الاعتقاد الديني.

- الرفض للانحرافات والتحريفات العقدية التي أصابت تلك الديانات وترك حسابها إلى الله – سبحانه وتعالى – يوم الدين.

- والعدل والقسط والبر مع المتدينين بهذه الديانات في الدولة والسياسة والاجتماع والمعاملات. وعلى طريق هذه السنة سارت الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية عبر التاريخ، فحررت الفتوحات الإسلامية أوطان النصرانية الشرقية من القهر الديني والحضاري الروماني، وتركت هؤلاء النصارى أحرارًا في التدين بالعقائد التي رفضها ويرفضها الإسلام وعلى امتداد تاريخ الإسلام لم يحدث إكراه على الدخول في الإسلام، وإنما دخل الناس في الإسلام بالأسوة والجدال بالتي هي أحسن، وذلك وفق للمنهاج الذي سنه القرآن الكريم.

٧ وشهد شاهد من أهلها

هذه شهادة كثيرة من غير المسلمين تشهد بأن الفتوحات الإسلامية لم تكن فتوحات تحرير للشرق من الاستعمار الغربي الأوروبي الذي امتد عشرة قرون من الإسكندر الأكبر [٣٥٦ ـ ٣٢٤ ق م] في القرن الرابع قبل الميلاد وحتى هرقل [٦١٠ ـ ٦٤١م] في القرن السابع الميلادي وعلى أن هذه الفتوحات الإسلامية ـ التي حررت الأرض ـ قد حررت الضمائر، وتركت الناس أحرارا وما تنصروا لأنه «لا إكراه في الدين» [البقرة ٢٥٦]

■ ومن هذه الشهادات المنصفة شهادة المستشرق الإنجليزي الكبير السير «توماس أرنولد» (١٨٦٤ ـ ١٩٣٠م) التي يقول فيها

«إنه من الحق أن نقول إن غير المسلمين قد تمتعوا بوجه الإجمال في ظل الحكم الإسلامي، بدرجة من التسامح لا نجد لها مثيلا في أوروبا قبل الأزمنة الحديثة، وإن ظروف الضعف المستحكمة في المجتمع الإسلامي تدعو إلى الإعجاب إذ التي ساست فيها بين الحين والآخر على الأقل المتعصبين والمتعصبين كانت من صميم الظروف المحلية أكثر مما كانت انعكاسا لتعصب وعدم تسامح

ونحن عندما نقرأ هذه الشهادة لا نملك إلا أن نذكر أن التسامح الأوروبي الحديث ليس كاملا ولا نزال نتسامح مع الناس أكثر مما هو مع الآخر وأنه لا يزال يقوم على انفصال الدين في ظل العلمانية بينما التسامح الإسلامي يقوم على الاتصال فالدين الإسلامي يتسامح مع كل ألوان الآخر الديني حتى المتناقضات الوضعية وإن هذا التسامح الإسلامي إنما هو ثمرة لدين الإسلام الذي يعترف بكل الديانات وليس على أنقاض الدين

■ وغير «توماس أرنولد» يشهد على سماحة الإسلام المستشرق الألماني الكبير «آدم متز» (١٨٦٩ ـ ١٩١٧م) الذي قال «لقد كان النصارى هم الذين يحكمون بلاد الإسلام»

■ وقد يد هذه الحقيقه المؤرخ قبطي «يعقوب نخله روفيل ١٨٤٧ ١٩٠٥م] لدى شهد في كتابه «تاريخ لأمه القبطيه» على ن عمرو بن العاص [٥٠ و هـ ٤٣ هـ ٥٧٤ ٦٦٤م] قد استعان في حكم مصر بعصلاء لقبط وعقلائهم على تنصم حكومه عادله تضمن راحه الأهلي فقسم بلادي أقسام يرأس كلا منهم حاكم قبطي ينظر في قضاء الناس ويحكم بينهم

■ كذلك يشهد بتسوح المعاصر دكتور حسن تحبر [١٣٣٦ ١٣٧١هـ ١٩١٨ – ١٩٥٢م] على التحرير الاسلامي بمصر وأهلها فيقول «إن الاقباط قد استقبلوا العرب كمحررين، بعدما عانوه من العرب من اضطهاد على دخولهم مصر الحريه الدينيه، وحققوا عنهم بصرتهم وقد سارعت لشريعه الاسلامية الأقباط على دخولهم الاسلام وإدماجهم في المجموعة الإسلامية، بفضل إعفائهم من الضرائب أ ين ظوا مخصص بمسيحية فقد سر بهم العرب سبب كسبه العيش، وكلوا بهم أمر الإشراف على دخل الدوله

ند سهد ت صر هـ وهي مجرد تتدرج فيه بعض الشخصيات القبطية التي حقوق في المناصب الذين اصبحوا حسب للمخططات بمعاونة بمصر والشرق ولكن ما هو بعض في حدود الأمن؟

الذين يكثرون من حديث عن حقوق «الموضه عنهم ا بعضهم

١ ن الاسلام هو الذي قرر المساواه في حقوق الديونيه للمواطنه وقد نص عهد رسول الله ﷺ إلى بصارى نجران على ن بهم له للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وعلى المسلمين ما عليهم حتى يكونوا المسلمين شركاء فيما بهم وفيما عليهم» بسبب م يعرف العرب حقوق الموضه الا بعضه بيه وعلى بعض الذين قسوا في حياة أو العمانيه ويرك الاسلام وشريعته حتى يتمتع المواطنون بحقوقهم في ديار الإسلام

٢ أن لكلّ حقوق واجبات توازيها فيتمتع بحقوق المواطنه يسلزم ابوفاء للوطن والانتماء إلى حضارته لأن هذا الوطن هو بسعيه التي بدون الحفاظ عليها لن تكون هناك مجالات للتمتع بأية حقوق فموالاة الأعداء تسقط كل حقوق المواطنه عن هؤلاء الذين يقترفون هذا الإثم العظيم

عقد الذِّمة

الذمة في مصطلح العربية هي العهد والحرمة والأمان والضمان، وفي القرآن الكريم ﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة﴾ [التوبة: ٨]

وفي المصطلح الشرعي الإسلامي هي وصف يصير به الإنسان أهلا لما له ولما عليه.

وأهل الذمة في الفقه والتاريخ الإسلاميين - هم أبناء الملل غير الإسلامية، من مواطني دار الإسلام، الذين حكم عقد وعهد الذمة - أي الأمان والحرمة والضمان - علاقتهم بالدولة الإسلامية وبالمسلمين.

والأمر الذي استدعى وجود هذا النظام في المجتمع الإسلامي هو القاعدة الإسلامية التي قررت التعددية في الملل والشرائع والديانات في دار الإسلام ودولته، فـ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ [البقرة: ٢٥٦] ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف: ٢٩] و﴿لكم دينكم ولي دين﴾ [الكافرون: ٦] فالتعددية الإسلامية هي التي سمحت بالمغايرة، فاستدعى الأمر نظاما للعلاقة بين المتغايرين.

ولقد شمل عقد الذمة كل أهل الكتاب - من اليهود والنصارى - ومن لهم شبهة كتاب، أو قيل إنه قد كانت لهم كتب سماوية ثم اندثرت، فدخل في أهل الذمة المجوس والصابئة وأهل الديانات الوضعية غير السماوية في شرقي آسيا، بل وقال المالكية - في المشهور من مذهبهم وكذلك الإمام الأوزاعي - بإدخال المشركين والوثنيين - عربا وغير عرب - في أمان الذمة وعقدها.

وعلة المغايرة، التي اقتضت عقد الذمة، في رأي جمهور الفقهاء، ليست اختلاف الدين، وإنما هي قيام المسلمين دون سواهم بفريضة الجهاد وتأمين الناس، فمن عليهم أهل الذمة الذين لم تفرض عليهم الجهاد يومئذ لكونه عقيدة

وفريضة إسلامية من ناحية ومقتضيات وملابسات الفتوحات الإسلامية جعلت لم يكن ولا غير المسلمين لدولة الإسلام مضمونا إلى الحد الذي يجعلهم يحملون السلاح دفاعا عن دولة الإسلام.

وعقد الذمة من العقود المؤبدة لأهل الذمة المقيمين في دار الإسلام وهو موقف بالنسبة للمستأمنين الداخلين إلى دار الإسلام لغير موقوته كالتجار والرسل والسائحين وهو مقرر وضمن لهم الأمن والأمان بمقارنة المسلمين [illegible] وعليهم ما عليهم ومن المأثور فيه عن الإمام علي بن أبي طالب [illegible] أموالهم كأموالنا [illegible] في أنفسهم وعقارهم وأموالهم وعقائدهم وشرائعهم [illegible] وفي عدد من الأحاديث النبوية [illegible] وصيكم بذمة الله فإنه ذمة نبيكم [illegible]

وكانت [illegible] الإسلام [illegible] على [illegible] فهي لا تفرض على [illegible] ولا على [illegible] ولا على [illegible] ولا على [illegible] ١٢ درهما و٢٤ درهما و٤٨ درهما [illegible]

وفي [illegible] الإسلامية [illegible] المسلمون يدفعون ربع العشر إلى جانب [illegible] أموالهم [illegible]

وكانت [illegible] الولايات [illegible] الإسلام [illegible] كما كانت [illegible] مقصورة على [illegible]

وفي القضاء والفصل في المنازعات كان لأهل الذمة حقوق التحاكم إلى قضائهم الخاص في قضايا شرائعهم الدينية، مع حق التحاكم فيها - لمن أراد - إلى شريعة الإسلام وقضاته. أما ما عدا المنازعات الشرعية فكان الفصل فيها لقضاء الدولة الإسلامية الموحد.

ولقد شهد تاريخ المجتمعات الإسلامية فترات تعرض فيها أهل الذمة لألوان من الاضطهاد، وغلب على هذه الفترات عموم الاضطهاد الذي شمل غيرهم معهم، كما في عهد المتوكل العباسي [٢٣٢ - ٢٤٧هـ = ٨٤٦ - ٨٦١م] الذي اضطهد الشيعة والمعتزلة بأكثر مما اضطهد به أهل الكتاب، وعهد الحاكم بأمر الله الفاطمي [٣٧٥ - ٤١١هـ = ٩٨٥ - ١٠٢١م] الذي دام اضطهاده لأهل السنة بينما تراجع سريعاً عن اضطهاده لأهل الكتاب. وفي فترات الغزو الخارجي والدسائس الأجنبية - من الدول النصرانية - للبلاد الإسلامية تعرض أهل الذمة لألوان من التضييق والاضطهاد بسبب موالاة نفر منهم، وخاصة أبناء الكنائس غير الوطنية كالأروام لقوات الغزو أو الشبهات على هذه الموالاة. كذلك ارتبطت فترات «التوتر الطائفي» حديثاً بنفوذ ودسائس الاستعمار الغربي الحديث.

ومع نمو وعموم القسمات والقيم الثقافية التي وحدت كل الملل - على أرض الإسلام - في اللغة والقومية والحضارة، عدت الحضارة العربية الإسلامية رباطاً توحيدياً للجميع فتبلورت في ديار الإسلام أمة واحدة بالمعنى الحضاري والقومي، ولاؤها للوطن الواحد، فذبلت عوامل المغايرة، وتساوى الجميع في حمل مسئولية الجندية وحماية الوطن، الأمر الذي أدى إلى إلغاء نظام الجزية وحلول المساواة في المواطنة محل نظام الذمة. ولقد لبت الاجتهادات الإسلامية ووكبت هذا التطور الذي شهده الواقع الإسلامي الحديث.

٩ الحكومات غير الشرعية.. والأقليات

في ظل حكم الدولة الفاطمية [٢٩٧ - ٥٦٧ هـ = ٩٠٩ - ١١٧١م] الشيعية الإسماعيلية الباطنية، كان التناقض الفكري والمذهبي بينها وبين الشعب المصري - السني - حائلا دون استمداد هذه «الدولة» لشرعيتها والرضا بها وعنها من جماهير المحكومين، وإذا كان اعتماد هذه الدولة على الأقليات النصرانية واليهودية وخاصة النصارى غير الأرثوذكس أي الملكيين الأروام، وكان استقواء هذه الأقليات بضعف الحكم، لظلم جماهير الناس.

لكن الشعب المصري قد ابتدع وأبدع ألوانا من المقاومة لهذا التحالف غير المقدس المعادي لهويته ومصالحه، قاوم بالعرائض التي حملتها الصور والتماثيل عندما اعتقد في وجوهه أبواب الحكام، وقاوم «بالمنشورات» التي كتبت نثرا وشعرا.

نعم، صنع المصريون [illegible] كثير من [illegible] عام [illegible] شعر المصريون يومئذ من عقائد الشيعة عصمة [illegible] من فيهم خلفاء [illegible] عنهم بالغيب والسحر في كل العلوم وجميع [illegible] حتى [illegible] وكتبوا هذه السخرية في [illegible] شعر [illegible] على منبر المسجد [illegible] العزيز بالله [٣٤٤ - ٣٨٦هـ = ٩٥٥ - ٩٦٦م] عندما يصعد المنبر ليخطب، وعندما [illegible] العزيز [illegible]

بالظلم والجور قد رضيت ... وليس بالكفر والحماقة

إن كنت أعطيت علم غيب ... فقل لنا كانت البطاقة

وعندما تولى وزارة مصر في عهد العزيز بالله [illegible] واصبح يهودي، وتولى «الفضل» قيادة الجيش، تحديد المقاومة المصرية عن سيطرة هذا

بثلاثة وعبر الشاعر المصري الحسين بن بشر عن تدمر الشعب المصري عن هذه البسطرة، فقال

نصر فانتصر نصر حق عليه رايتا هدى بدر

وقل ثلاثة عروة وحمو وعنتر ما سوهد فهو عجل

فعقوب الورسرات وشد العز بر نو وروح القدس فصل

فلما توفي العزيز بالله وجاء الحاكم بأمر الله [٣٨٦ هـ ٩٩٦ ١٠٢١م] وجد هذه البسترة قد غلبت الأقباط المصرية وتهيأت على مصر حكاماً وحكومة، فأراد أن يقطع هذه البسترة ويقضي على ما اصطلحت عليه المصريون حتى أنه هدم كنيسة القيامة بالقدس وأخرب العديد منها على عتو الإسلام

ثم عمد بعد ذلك إلى إلغاء المراسيم الجائرة التي عاملهم بها جور الأقباط فبنى الكنائس التي هدمها وسمح لهم أخيراً على مصر بالعودة إلى سيرتها الأولى بينما ظلت أغلبية الشعب المصري بسببه تعاني اضطهاد الدولة الفاطمية حتى سقوط هذه الدولة وتولي صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ هـ ٥٨٩ هـ = ١١٣٧ – ١١٩٣م] حكم البلاد حتى لقد كان لعمر الفاضل لأبي بكر الصديق ولعمر بن الخطاب مكتوبان بخروف من ذهب وضعهما على ضريح الشيخ الفاضلي بعلاه

ولقد كتب الله على سنة الأمم في كتابه الكريم فقال سبحانه وتعالى: ﴿ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ [الأنفال ٣٥]

وإذا كان التاريخ – كوقائع وحوادث – يحكي لنا ويوثق لنا تدمر ولا تعثر في وقائع تلك الدولة الفاضلة من بدايتها وبسطها وبين الأمة المغلوبة على أمرها وبين الأقباط في وقائع هذه العلاقات بعد

عندما تقع السلطة شرعيتها، فلا تكون مجبرة على الأمة، فإنها تسعى في بسطها إلى الأقليات، وهي تتحين الأقليات وتسعى حتى غير سنة الدولة أحياناً الأمر الذي يحدث ردود أفعال العاصفة وترفضه من الأغلبية من الحكم والأقلية معه

وفي ظل هيمنة الخارج الاستعماري، كثيرا ما تلجأ الحكومات الفاقدة للشرعية وتأييد الأغلبية إلى الاستعانة برضى الخارج وحمايته، وكذلك تصنع الأقليات.

فالخلل إنما يحدث دائما عندما تغيب الرضى والوفاق، وتغيب الشرعية عن العلاقة بين السلطان ومن الأغلبية من رعيته، فيكون الضعف إما أمام الأقليات، وإما أمام الغزاة، ولهذه الحقيقة كانت دعوة القرآن الكريم إلى أن يكون «ولاة الأمر» من الأمة إلى ممثلين لعقيدتها وفكرها وهويتها، وليسوا مجرد متغلبين على رعية تخالفهم في الفكر والاتجاه، وصدق الله العظيم: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ [النساء: ٥٩]. فكلمة منكم تجب أن توضع تحتها عشرات الخطوط وأن يفقهها الفقهاء ويلتزمها الجميع.

نعم إن للأقليات حقوقا لكنها جزء من حقوق الأمة، وليست أقيمت على هوية الأمة وحقوقها.

١٠ اللعب بورقة الأقليات (١)

[illegible] الغرب الاستعماري الحديث لغزو العالم الإسلامي، بواسطة حملة «نابليون» (١٧٦٩ - ١٨٢١م) على مصر (١٢١٣هـ - ١٧٩٨م) كان الإعلان عن مخطط العمل على استخدام الأقليات في مشروع الهيمنة الاستعمارية على بلاد المسلمين. وهو المشروع الذي تعرض لأول مرة لانتكاسة عارمة على أسوار عكا، على أيدي الجنود غير النظاميين الذين كانوا يقودهم أحمد باشا الجزار، والي عكا، الذي تصدى لحملة نابليون الاستعمارية وأرغمه على الانسحاب من عكا ومن فلسطين سنة ١٧٩٩م. وفي أعقاب انسحاب الجيش الفرنسي من فلسطين سنة ١٧٩٩م، عاد نابليون إلى أوروبا ليبدأ التخطيط لتحقيق هدف الغرض الاستعماري الذي فشل في تحقيقه على أسوار عكا وفلسطين.

ومنذ ذلك التاريخ تحولت قطاعات من هذه الأقليات المنبوذة كرهًا إلى أدوات للاستعمار الغربي الحديث، وذلك عندما وظفت نفسها في خدمة الحضارة الغربية التي اضطهدت اليهود طوال تاريخهم، ضد الحضارة الإسلامية التي أوتهم وكرمتهم طوال تاريخها. فنشأت «الشراكة» بين الصهيونية وبين الاستعمار الغربي منذ ذلك التاريخ. الصهيونية تحلم بالخلاص من اضطهاد الغرب لليهود، على حساب الغرب والمسلمين، والغرب الاستعماري يريد تحقيق أغراضه وأهدافه فهو يريد الخلاص من اليهود الذين كانوا يتطرفون عند الغرب سرطانات في جسم الحضارة المسيحية، وذلك بتوجيههم إلى قلب العالم العربي ليتم توسطتهم قاعدة لحضارته وقوته ضد آلام العرب في التقدم والنهوض. والجرح النازف في قلب العالم العربي هو المشروع الصهيوني الاستعماري. تحفل كتب التوراة بالحديث عن عودة بني إسرائيل إلى أرض الميعاد، ثانية بحكم العالم لألف سنة سعيدة عندما يحكم اليهود في فلسطين

ويقيمون «الهيكل الثالث» على أنقاض المسجد الأقصى وتحدث معركة «هرمجدون» التي يبيد فيها المسلمون!

وعندما هزم المصريون حملة «نابليون» وتبددت أحلامه، وأصبحت القيادة في المشروع الاستعماري الغربي لا تحتمل بأي حال قسمة، وسرعان ما انتقلت إلى الاستعمار البريطاني وبدأت تخطط لإعادة هذه الشراكة، وبوسائل أقوى اليهودية ضد العرب والمسلمين.

وفي مواجهة مشروع «مصر محمد علي باشا [١١٨٤ - ١٢٦٥ هـ = ١٧٧١ - ١٨٤٩م] تحديث الشرق، وإنقاذه من الضعف والتخلف» بدأت بريطانيا بمساعدة فرنسا تخطط لإجهاض هذا المشروع، وسعت إنجلترا إلى الدولة العثمانية كي تسمح بزرع يهود في فلسطين. لاقى المشروع لليهودي لمحمد علي باشا وحسب «بالمرستون» (١٧٨٠ - ١٨٦٥م) وزير خارجية إنجلترا سنة ١٨٤٠م من سفيره في الآستانة أن يقنع السلطان العثماني بالسماح بهجرة يهود إلى فلسطين «حتى يكونوا حجر عثرة أمام محمد علي باشا وبوابة لأغراض التي قد تخطر بباله وبأي من خلفه».

ولم تحرم فرنسا الاستعمارية من الساحة نهائيا، فهي فرنسا فقد استطاعت تحويل الأقلية المارونية في لبنان إلى وسيلة للتغلغل في مفاصل الدولة العثمانية، بتشجيعها على ثورات انفراط بتحويل جبل لبنان إلى بؤرة للتآمر على الإسلام والمسلمين شرقا وغربا، وحصره الإسلام والمسلمين وصولا إلى جعل بيروت عاصمة لفرنسا الصليبية، كما فعلت بالنسبة للجزائر التي حصرت بمسجد باريس.

كما يعد فرنسا على المغرب العربي الذي لم تستطع أن تبتعد إلى يومنا هذا عن مخططاتها وتآمرها على الإسلام والمسلمين، لإبعادها عن هويتها الإسلامية، والحاقها ثقافيا وحضاريا بفرنسا، وإخراجها من هويتها الحضارية العربية الإسلامية.

ولقد كانت «الشراكة» الاستعمارية الصهيونية والأصابع اليهودية حاضرة وفاعلة دائما في كل هذه المراحل لتعيد هذا المخطط الاستعماري بأوراق الأقليات في بلادنا العربية والإسلامية، وقد زاد وضوح الدور الصهيوني في هذا المخطط وهذه الحقبة من تاريخ الحلم الصهيوني في

الكيان الاسرائيلي سنة ١٩٤٨م، فرأينا الكيانات الصهيونية تضع مخططات تفتيت الشرق العربي والاسلامي بواسطة الاقليات الدينية والمذهبية والقومية، باعتبار هذا التفتيت هو التعميم لمشروع الاقلية اليهودية في إقامة كيانها السياسي الخاص. وباعتبار ان هذا التفتيت هو الضمان لامن الكيان الصهيوني الذي لا بقاء له ولا مستقبل في ظل الوحدة العربية والجامعة الاسلامية. لقد تصاعد عزم الاقليات باختيار الطريق الصهيوني عض اليد العربية الاسلامية والتوجه غرب ضد العروبة والاسلام وربط مستقبل هذه الاقليات بالهيمنة الاستعمارية الغربية بدلا من المشروع النهضوي للعرب والمسلمين.

١١ اللعب بورقة الأقليات (٢)

[illegible] أكثر من نصف قرن [illegible] الكيان الصهيوني [illegible] فلسطين [illegible] قاعدة عنصرية [illegible] غربية [illegible] المستشرق الصهيوني [illegible] Bernard Lewis [illegible] الإسلامية [illegible] الأقليات [illegible] الأمريكية [illegible] Research Project [illegible] كثير من [illegible] على أساس [illegible] وعرقي [illegible] التي أحدثتها [illegible] سنة ١٩١٦م وبنص عبارات [illegible] المستشرق الصهيوني [illegible] الصورة الجغرافية الحالية للمنطقة لا تعكس [illegible] الصراع [illegible] على السطح [illegible] في العمق [illegible] ولكن في العمق هناك أقليات لا تعتبر [illegible] في هذه [illegible] ولا تعتبر أن هذه الدول تعبر [illegible]

[illegible] محطط [illegible] الإسلامي [illegible] على أسس [illegible] وعرقية [illegible] الإسرائيليون [illegible] جميع هذه [illegible] فقط [illegible] سوف [illegible] كل [illegible] من هذه [illegible] ضعف [illegible] هذه [illegible] لمدة نصف قرن على الأمر.

فالمطلوب هو استخدام الأقليات [illegible] العالم الإسلامي [illegible] لضمان الأمن والتفوق للكيان الصهيوني [illegible] في خدمة المشروع الأمريكي الغربي الكبير!

وقد تبلور هذا المخطط «الاستعماري الصهيوني» في المعروف «بالخطة
على أيدي «دافيد بن جوريون» (١٨٨٦ - ١٩٧٣م) و«موشي شاريت» (١٨٩٤
١٩٦٥م) و«موشي ديان» في حقبة خمسينيات القرن العشرين بعد دراسة
مستفيضة في لندن، وطموح إلى تعميمه خارج فلسطين. وكتب «شاريت» في
مذكراته عن المقاصد من وراء اللعب بأوراق الأقليات في بلادنا، يقول إنها

«ولا تشكل وحدة قومية لصالح الاستعمار الجديد للأقليات في العالم العربي

وتنبع أهمية ذكاء الدور في مشاعر الأقليات المسيحية في منطقة
وتوجيهها نحو المطالبة بالاستقلال والتحرر من الإسلام. فمجرد تحرك الأقليات هو عمل إيجابي، لما قد ينتج عنه من اضطراب وتوتر على المجتمع المستقر

وفي مرحلة ما بعد السبعينات القرن العشرين وبرغم الحديث عن السلام والتسوية وتوسع العلاقات بعد معاهدة «كامب ديفيد» الإسرائيلية سنة ١٩٧٩م نجد أن هذا المخطط التفتيتي لعالمنا الإسلامي بواسطة الأقليات، هو من الثوابت الاستعمارية الصهيونية، التي لا تتأثر «بالمتغيرات»، حتى ولو سميت هذه المتغيرات «بالسلام» وتطبيع العلاقات

ففي المحاضرة التي ألقاها «أرييل شارون» وكان وزيراً للدفاع في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٨١م في مقر نشرة صحيفة «معاريف» وراء مقر السفارة المصرية بمحلة «الجيزة» بالضفة الغربية لنهر النيل بمحافظة الجيزة، وتحت عنوان «الشرق الأوسط الجديد» و«المغرب العربي عرب وهذا هو الحل» عبارة عن مجموعة أفكار قومية وسياسية ومذهبية مدمرة

ثم تواصل «شارون» الحديث عن مشروعات تفتيت العالم الإسلامي بواسطة الأقليات على نحو ما سبق أن «برنارد لويس» الذي يكون هذا العام الإسلامي بمحافظة الجيزة بالسودان.

وفي نهاية الخمسينات القرن العشرين وضع «معهد الصهيونية العالمية» هذا المشروع التفتيتي تحت عنوان «استراتيجية إسرائيل في التسعينيات» ونشره في محتواه بمجلة «كيفونيم» Kivunim (الاتجاهات) - في عدد ١٤ فبراير سنة ١٩٨٢م. وفي ضوء هذا المخطط الاستراتيجي، نجحت عملية تفتيت في جنوب السودان في حرب الأهلية الثانية سنة ١٩٧٥ - ١٩٨٩م

بواسطة قطاع من الأغلبية المارونية – المارونية السياسية – باعتباره النموذج الواحد المتجانس مع كل الأقليات [illegible] المنظمة الصهيونية العالمية» وإن تفتت لبنان الكلي إلى خمس مقاطعات إقليمية هو سابقة للعالم العربي بأسره بما في ذلك مصر وسوريا والعراق وشبه الجزيرة العربية [illegible] دولاً مثل [illegible] والسودان وان دول [illegible] الأبعد منها [في مصر] لن تبقى على صورتها الحالية في [illegible] في مصر [illegible] وتقسيم [illegible] مصر [illegible] رؤية دولة قبطية مسيحية في صعيد مصر إلى جانب عدد من الدويلات ذات سلطة إقليمية مصرية لا سلطة مركزية كما هو الوضع الآن هو مفتاح هذا التطور التاريخي الذي أخرته معاهدة السلام لكنه لا يبدو مستبعداً في المدى الطويل

وإن تقسيم سوريا والعراق لاحقاً إلى مناطق ذات خصوصية إثنية ودينية على غرار لبنان هو هدف من الدرجة الأولى بالنسبة لإسرائيل ولأن العراق أغنى من سوريا وقوته تشكل في المدى القصير خطراً على إسرائيل أكبر من أي خطر آخر فهو مرشح [illegible] لتحقيق هدف أساسي في المستقبل [illegible] هو أكثر أهمية من تقسيم سوريا

وشبه الجزيرة العربية بأسرها مرشحة [illegible] للانهيار [illegible] ضغوطات داخلية وخارجية وهذا أمر غير مستبعد في معظمه خصوصاً في السعودية

والأردن هدف استراتيجي على المدى القصير [illegible] ليس [illegible] الأردن قائماً على صورته وبنيته الحالية في المدى الطويل وينبغي [illegible] في تصفية الأردن [illegible]

ثم تخلص هذه الاستراتيجية [illegible] الإسلامي بواسطة الانقسامات [illegible] هذا هو ضمان الأمن والسلام في المنطقة [illegible] الشرق في المدى الطويل ففي العصر النووي لا يمكن [illegible] الاستمرار [illegible] التفكيك [illegible] استراتيجي ، وإن لم يحدث ذلك، فلن نستطيع البقاء مهما كانت الحدود

وهنا نتساءل: أليس هذا هو المخطط الذي تم تنفيذه [illegible] في العالم العربي وخاصة في العراق؟

١٢ اللعب بورقة الأقليات (٣)

في ٢٠ يونيو سنة ١٩٩٣م عقدت بإسرائيل ندوة بجامعة «بارايلان» تحت عنوان «تأييد إسرائيل للنزعات الانفصالية للجماعات العرقية والأثنية والاعتبارات الكامنة وراءه».

وقد خلصت أبحاث ومقررات هذه الندوة إلى أن «هذه الأقليات هي شريكة لإسرائيل في المصير ولابد من أن تقف مع إسرائيل في مواجهة ضغط الإسلام والقومية العربية وتبدي استعدادا لمحاربتها ومقاومتها هي حليفة وقوة لإسرائيل لتنفيذ سياسة الاستيطان والدولة التي ما زالت في مرحلة التكوين».

ولقد تزامن مع اشتعال الحرب الطائفية في لبنان في سبعينيات القرن العشرين عودة عدد من الشباب القبطي المصري بالاشتراك مع الدولة السياسية في هذه الحرب وتحديدا الأصابع الصهيونية في أمريكا قطاعا من أقباط المهجر وخاصة في أمريكا وكندا وإسرائيل لتكوين «الهيئات القبطية» الداعية إلى ما تسميه «تحرير مصر القبطية من استعمار العروبة والإسلام» حتى أفضت هذه الأنشطة الطائفية المركبة بهيئة الدولة الأمريكية والمدفوعة والمدعومة من «اللوبي الصهيوني» ومنظمة «وكلاس» «التحالف المسيحي» و«المسيحية الصهيونية» إلى صدور الكونجرس الأمريكي في أكتوبر ١٩٩٩م القانون «الحريات الدينية الدولية» الذي فرض الحماية الأمريكية على الأقليات الدينية وخاصة في العالم الإسلامي وقبل لأليات إيقاع العقوبات الأمريكية على الدول التي لا ترضى عنها أمريكا في هذا المجال.

وليس صدفة أن صدور هذا القانون قد جاء ثمرة لحركة إعلامية يراها مجرم يهودي هو «مايكل هورفيتز» «Michael Horowi» في ٥ يونيو سنة ١٩٩٥م ثم تلقفت الخيط المؤسسات والكنائس «المسيحية الصهيونية» و«التحالف المسيحي»

و«المحافظون الجدد» لتعصي هذه لحمله موجهة لاساس بي لعالم الاسلامي
لى قانو جنبية والعقاب» كما سماه لحق الكاتب «سمير مرقس

وليس صدفة كذلك أن تجد هذه لمخططت «مراكز أبحاث» معونة من امريكا ولعرب، توكر على لعب بورقة الاقليات في بلادنا. وسعو إلى تطبيق لمخطط الذي وضعه «برنارد لويس» و«بن جوريون» و«موشي شارت» و«موشي دايان» و«اربيل شارون» و«منظمة الصهيونية العالمية» مخطط تفتيت لعالم الاسلامي بي كيانا سياسية قائمة على اساس عرقي والعرقي ولمذهبي، اي تحويل لتنوع من نعمة ومصدر قوة إلى نقمه وتشرذم وتفتيت وتحويل الأقليات من لبنات في بناء الامة والامن الوطني والقومي وحصارين بي عرب جنوب وشمال بالنهر والدم. فيكشف بعض أحد هم هذه لمراكز بحثية د. سعد الدين إبراهيم يقول بالنص «إن المجتمعات لتي تتسم بالتعددية الاثنية في الوقت لحالي تبقى ن بكثير متعددة من الناحية السياسية نفسها».

ومع هذه معونة الأجنبية، التي استحاذت لها ووقعت في شباكها جماعات وجماعات صغيرة تعيش في المهاجر، متعاونة مع الصهيونية وقوى لهيمنة لامريكية وتلقه قبيله من عملاء مخلصين ومطبعين في مختلف بلدان لمحيط لعربي وخاصة الأمريكي السلاح لاقتصادي في لمكان لصراع اطائفي، فبواسطة المعونات الامريكية موجهة إلى قطاع خاص وبوكلاء الاستيراد والتصدير والمعونات موجهة بمشروعات صغيرة الصغيرة ثم لتصير بطبيعي لأمر واقع جماعي بحيث «نرى لأقلية وحرية الاقلية لاجتماعي سواء عبر الأقلية وقد تحتجب جميع بطبيعي في جماعة بطبيعي بكرر سجله التي سبق صنعه لاستعمار وقد نراها في لبنان إبقاء الأقلية المرونة، وفقر لأكثرية بمسحه وخاصة شعبه منها لامر الذي أحدث - في لبنان ويحدث لاآن - ترحيلا مستحدثا وتهجيرا وقهرا جماعيا على نحو غير معهود. كما يحدث بطبيعي لاخر وتصنيعا في بعض جيوبه الطبيعية والمصنوعة كما يحدث حاليا في موقف لعامه وجمهو من بعض دو العربية في بعض البلاد حيث لفقه الاسلامي يفتح الطريق أمام لحرب في هذه الميادين، حتى ليحصل الدولة على إعانه غير المسبوقين في تاريخ

١٣ اللعب بورقة الأقليات (٤)

وإذا كان هذا التمييز الاقتصادي للأقليات في بلادنا مما يعترف به العقلاء منهم حتى ليقول الأديب موسى [illegible] أسقط السياد في الكنيسة الأرثوذكسية المصرية وهو من عقلاء وحكماء هذه الكنيسة أن الأقباط جزء هام من نسيج الحياة المصرية فهم أطباء وصيادلة ومهندسون وغيرهم من المهن ونسبتهم في رجال الأعمال مرتفعة أكثر من نسبتهم العددية في مصر [illegible] هذه الحوار الاقتصادي والاجتماعية المستقرة تشير إليها أرقام وإحصاءات [illegible] عندما يقول إن الأقلية المصرية في مصر والتي تقل نسبتها في السكان عن ٦٪ والتي كان يصفها الشيخ محمد الغزالي [١٣٣٥ - ١٤١٦هـ / ١٩١٧ - ١٩٩٦م] عليه رحمة الله بأنها «أسعد أقلية في العالم» [illegible] من ثروة القطاع الخاص في مصر ما بين ٣٥٪ و٤٠٪ فهي تمتلك وتمتز

٢٢٫٥٪ من الشركات التي تأسست ما بين سنة ١٩٧٤ وسنة ١٩٩٥ [illegible] الانفتاح والمعونة الأمريكية

و٢٠٪ من شركات المقاولات في مصر

و٥٠٪ من المكاتب الاستشارية

و٦٠٪ من الصيدليات

و٤٥٪ من العيادات الطبية الخاصة

و٣٥٪ من عضوية غرفة التجارة الأمريكية وغرفة التجارة الألمانية

و٦٠٪ من عضوية غرفة التجارة الفرنسية (منتدى رجال الأعمال المصريين والفرنسيين)

و٢٠٪ من رجال الأعمال المصريين

و٢٠٪ من وظائف المديرين بقطاعات النشاط الاقتصادي بمصر

وكثر من ٣٠/ من مستثمري شركات و بنوك مصر

و١٥٩/ من وظائف و زراء الدولة المصرية

و٣٥/ من كبار الضباط و شهيرة المصرية و لأطباء، و لمهندسين و بيطريين و محامين

و بث فصلا عن ، شرد الآلاف من عائلاتهم حيث أصبحوا في بعض سوء الأحياء الفقيرة و لامنة و رزاء و لاسكن

ومع كل ذلك يصدر القوانين الامريكية لحماية «أسعد» في العالم وفي عصر الكوبحرس لامريكي وابدوغاسيون لعبر كنعان و بعربيو «مقسوا» عن أحوالهم ويرفعو عقاريز تتحدث عن أصحاب هم ويصف توقع العقاد عن مصر وسعيها وهو القرن الامريكي ، و بو نحدد و بعقاب وبصدر بهدت القبعة في المهجر بكم و بشراب دعيه الى تحرير هذه لأقلية من لعروبة والإسلام

هذا هو الفخ الاستعماري في المسألة القبطية. وتلك هي ... لأخطار على هذه بتحديد في تطبيقاتها على الأقلية القبطية في مصر وهي كبر لأقليات لنصرانية لعربية عددًا وأهم «أوراق» التي يحاول العرب ... لعب بها

وإذا كان محور من «الفخ الاستعماري»، و«الورقة الطائفية الأجنبية» في يعمل على أحداث أقلية قبطية كبيرة لعربية في مصر محور الفخ عربية التي هي بعد وطنية و لقومية والحضارية للأمة كلها، على اختلاف أديانها فإنه يدعو إلى ، تتحلى أعلى مسؤولية بكبرى في مواجهة هذه التحديات، وفي قطع الطريق على مخططاتها و بد عن صرو

١ حل لمشكلات الحقيقية في بعض منها لأقباط باعتبارها جزءا من الأمة وباعتبار مشكلاتها جزءا من مشكلات لأمة

٢ إدارة حوار داخلي بين «الحكماء» لتحديد وتمييز «المصالح» الحقيقية ... لأحاسيس الزائفة و المتضخمة بالظلم فالحكماء في مختلف الأوقات كثيرون، وهم الممثلون للأغلبية.. وحوارهم هو السبيل لقطع الطريق على الأقلية العميلة و لمعادية، التي صنعها وتغذيها الاستعماريون و لصهيونية وقطع الطريق على العلو الديني عند مختلف الأطراف

٣- إعمال المنهج الإسلامي في مداواة الجراح، بدلاً من توسيع هذه الجراح، فمن الخطأ والخطيئة الاكتفاء بـ«ردود الأفعال» وخاصة تلك التي تصدر عن العامة والجماهير، فالتحصين ضد العوامات وإقالة العثرات هو الأولى بالاتباع، وليس تصيد الأخطاء.

وعلينا أن نتذكر ما صنعته الأمة قبل قرنين من الزمان، عندما نجحت غواية الحملة الفرنسية على مصر في أحداث المعلم يعقوب حبيب والقبيل القبطي الذي قاده فسقطوا في حضيرة الخيانة لأمتهم وطائفتهم وكنيستهم، فلقد صدر العفو - بعد هزيمة هذه الحملة سنة ١٨٠١م - عن الذين استجابوا لهذه الغواية، وصدرت «الفرمانات السلطانية» التي اعتبر هذا العفو والتي تحذر من الانتقام ومن فتنة لا تصيبن الذين ظلموا خاصة، ولقد تحدث «الجبرتي» عن هذا المنهاج في مداواة جراح تلك الغواية، فقال: «لقد نودي بأن لا أحد يتعرض بالأذية لنصراني ولا يهودي سواء كان قبطياً أو رومياً أو شامياً، فإنهم من رعايا السلطان والماضي لا يعاد، وكتبت فرمانات وأرسلت إلى البلاد في الأقاليم مضمونها الكف عن أذية النصارى واليهود وأهل الذمة وعدم التعرض لهم وفي ضمنها أي الفرمانات [illegible] وأحاديث نبوية، والاعتذار عنهم بأن الحامل على تداخلهم مع الفرنساوية صيانة أعراضهم وأموالهم كما قرئت فرمانات فيها نبوية تذكر عدل الكنيسة الأقباط والوصية بهم».

فالأقليات جزء أصيل من نسيج الأمة، لهم كل ما للأمة من الحقوق وعليهم جميع ما عليها من الواجبات، ومسئولية الأغلبية في صد العوامات ومعالجة جراحاتها أكبر بكثير من مسئولية الأقلية.

هكذا بدأ واستمر ويتم التعبير بأوراق الأقلية الرئيسية والقومية غير المسلمة وتصد المسلمة في وطن العروبة وعالم الإسلام، وهكذا يجدر الوعي بمخاطر هذه التحديات التي تواجه وحدة الأمة وتقدمها.

١٤ اللعب بورقة الأقليات (٥)

[illegible]

[illegible]

أولهما [illegible]

[illegible]

وثانيهما [illegible]

[illegible]

لكأن وجودها وبقاءها في الشرق هو [illegible] كما

انه هو الحل الذى عرفته الأمة، وندمج به «الآخرون» مع المسلمين في

أمة واحدة، عبر هذا التاريخ الطويل

ولما كنا قد سبق وانتقدنا ورفضنا وفندنا «الحل العلماني» في عدد من كتبنا فإننا نكتفي في هذا المقام بالإشارة إلى أن العلمانية قد مثلت وتمثل «المأزق»، وليس «الحل» لما نسمي «بمشكلات الأقليات». فالعلمانية [illegible]

تستبعد المرجعية الإسلامية التي هي هوية الأمة والتي تتمسك بها الأغلبية وتضعف واسعة من الأقليات فستبدأ العملية بالمرجعية الإسلامية هو في الحقيقة – بمثابة فرض قطاع محدود من الأقلية [illegible] الأمة [illegible] على أغلبية الأمة وتحويل هذه الشريحة إلى «أقلية» ضد عليه لأنه وهويته وتاريخها! وفي هذا تعميق للشقاق على أسس طائفية وتحقيق لمخططات الاستعمار وليس خلا نواجه به هذه التحديات، فضلا عن أنه لا يوجد [illegible] تتمتع بها مجتمعة حولك وتتمتع بها الجميع والتي تعطي الأغلبية الساحقة الحق في تحديد مقومات مجتمعها بما لا ينتقص من حقوق الأقليات وحقوقهم وهو كل ما تطلبه أي ديمقراطية في العالم. وهو ما يحدث في الغرب [illegible] وفي عالمنا العربي نحن مشكلة الأقليات بعد أن سقطت وفلسفة الحكم العربية الوحيدة التي صنعت أمنا فريدا من نوعه وهو تجربة لبنان وقد انهارت

وإذا كنا تحدثنا عن هوية [illegible] المرجعية الإسلامية التي عاشت على ظلها هذه الأمة أربعة عشر قرنا كانت في عقلها العالم الأول على ظهر هذه الأرض ليست بديلا لما تتدين به هذه الأقليات، حتى تكون بديلا على حريتها في الاعتقاد الديني، لأن هذه المرجعية الإسلامية تترك هذه الأقليات وما تتدين به وتقصر تطبيقاتها على الجانب المدني والقانوني والسياسي، الذي ليس له مدلول في تصورنا إلى نوع من التقصير يقصر ويقف عند حدود الخالص لله ومملكة السماء، فقه المعاملات الإسلامي هو اجتهادات بشرية في غير منطوق القيم الأخلاقية، التي لا تختلف باختلاف الشرائع السماوية المتعددة، والأحكام التي تنبثق عن هذه المعاملات تتغير بتغير الزمان والمكان، على خلاف الشريعة التي يتعبدون بها فتكتسب حكم الإسلام شريعة لنا، ما لم ينسخها التطور التاريخي، فتح الباب أيضا أمام كل أبناء الأمة على اختلاف مللهم ونحلهم للإسهام في بناء الحضارة الإسلامية وهذا يفتح الباب كل الأبواب أمام كل عقول الأمة للإسهام في تطوير المشروع الحضاري لهذه الأمة [illegible] وليس هذا تصور المرجعية الإسلامية فتصورنا لها حتى في التصور الذي نعرضه هنا ليس مجرد مجموعة وحدات لكل بناء الأمة تخضعهم على هوية حضارية واحدة ومشروع نهضوي واحد، فتصبح هويتهم بمقاصر الشرع [illegible] تاريخهم في [illegible]

والازدهار الحضاري. وتصبح فقه «الشافعي» [١٥٠ - ٢٠٤هـ = ٧٦٧ - ٨٢٠م] فقهًا وطنيًّا بالنسبة لكل المصريين، لا يمكن أن يتقدم عليه فقه [illegible] الذي جاء غريبًا وقاهرًا لكل المصريين. وكذلك الحال مع فقه أبي حنيفة [٨٠ - ١٥٠هـ = ٦٩٩ - ٧٦٧م] في العراق. وفقه الإمام مالك [٩٣ - ١٧٩هـ = ٧١٢ - ٧٩٥م] في قطر المغرب العربي. إن وطنية النصراني الشرقي لا يمكن أن تفصل القانون الروماني [illegible] الذي اصطنعه النصرانية الشرقية على فقه الليث بن سعد [٩٤ - ١٧٥هـ = ٧١٣ - ٧٩١م] الذي أفتى بأن بناء الكنائس هو من عمارة البلاد.

١٥ اللعب بورقة الأقليات (٦)

بل إن هذه العصبية ذات النشأة الأوربية، قد تجاوزت بها الحدود وراحت تهدد المسيحية في أوربا، وجعل مجتمعاتها فريسة سهلة يتصرف فيها أعتى الناس عن الإيمان الديني، حتى لتتطور الكنائس وشاع ثم عجزت هذه العلمانية عن أن تملأ هذا الفراغ، وتجيب عن أسئلة النفس الإنسانية التي تحيب عنها الدين وتشبعه النفس الإنساني – عالم الاجتماع الدكتور «جوزيف إدكردت» فقد نبعت العلمانية من التنوير الغربي وتحديداً من ثورته لصراع بعقل الإنسان وانتصاره عليه باعتباره مجرد أنه حقيقة من حقائق الكون ويتلاشى بانتصاره في مسار تطور الإنساني ومن نتائج العلمانية فقدان المسيحية لأهميتها فقد أدى ظهور العلم كوسيلة عامة لإضفاء المشروعية على القانون والنظام والسياسة والتربية والتعليم بل وفي كل مجالات الحياة إلى توجيه ضربة قاصمة للدين لحساب الإنسان الأعظم من الناس وبالتالي بشكل عام فالعلمانية ليست بديلة بل هي تصفية للدين وهي التي تصلح لحرب الدينية

وقد قدمت العلمانية خدماتها عبر عدة قرون للمسيحية تقديم بوجوب تطوي، تطويه في العقل والعلم لكن وبعد ثلاثة مسيحية في أوربا سرعان ما تحولت العلمانية عن الأديان التي كان لها دور تقدم لها الأديان فالتفت العقيدة المسيحية المتطرفة إلى العقل وعدت الحرية العلمانية عدو وثيقة من نفسها عن تفكيك بنيتها العقلية والعلمية فالعلمانية في الحقيقة هي التي صنعت الحداثة في أوربا بعد أن كانت المسيحية في أوربا في العصور الوسطى هي التي صنعت الحداثة والذي حدث أن المسيحية عندما أصابها الجمود والتحجر وتحولت إلى كنيسة تعادي العلم وتحارب العلماء وتحرق المخالفين لها في الرأي [جاليليو جاليلي ١٥٦٤ – ١٦٤٢م] وتحاكم [جوردانو برونو ١٥٤٨ – ١٦٠٠م] على أفكاره التي تخالف المسيحية المتطرفة في العصور الوسطى وتحكم عليه بالإعدام حرقاً وتحاكم [مارتن لوثر ١٤٨٣ – ١٥٤٦م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وترجم الكتاب المقدس إلى لغة الشعوب حتى يقرأه الناس بلغتهم ويفهموه بعقولهم وتحاكم [جان كالفن ١٥٠٩ – ١٥٦٤م] وتحكم عليه بالإعدام حرقاً لأنه تجرأ وأسس مذهباً جديداً لم يعرفه أحد من قبل وتحاكم [سبينوزا ١٦٣٢ – ١٦٧٧م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [توماس هوبز ١٥٨٨ – ١٦٧٩م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [جون لوك ١٦٣٢ – ١٧٠٤م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [ديفيد هيوم ١٧١١ – ١٧٧٦م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [جان جاك روسو ١٧١٢ – ١٧٧٨م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [فولتير ١٦٩٤ – ١٧٧٨م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [إيمانويل كانت ١٧٢٤ – ١٨٠٤م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [جورج هيجل ١٧٧٠ – ١٨٣١م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [أوجست كونت ١٧٩٨ – ١٨٥٧م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [فريدريك نيتشه ١٨٤٤ – ١٩٠٠م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [سيجموند فرويد ١٨٥٦ – ١٩٣٩م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [ألبرت أينشتاين ١٨٧٩ – ١٩٥٥م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [برتراند راسل ١٨٧٢ – ١٩٧٠م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [جان بول سارتر ١٩٠٥ – ١٩٨٠م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [ميشيل فوكو ١٩٢٦ – ١٩٨٤م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [جاك دريدا ١٩٣٠ – ٢٠٠٤م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [جان بودريار ١٩٢٩ – ٢٠٠٧م] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل وتحاكم [نعوم تشومسكي ١٩٢٨ –] وتحكم عليه بالإعدام لأنه تجرأ وخرج بأفكار جديدة لم يعرفها أحد من قبل

وقد أرست العلمانية سيادتها الثقافية للمسيحية عبر أوربا ثم عجزت عن تحقيق سيادة دينية علمانية على الإنسان الأوربي فسرعان ما تحول مجتمعها تحولاً عميقاً فقد الناس «النحم» الذي كان يهديهم.

هكذا بحث «فس . وعالم اجتماع» عن تحول العلمانية – في بلاد بشاب
ي مارق عندما هرص الدين الالهي، ثم بعقد بهرمة بديب لطبعي : بعقد
لباس «النجم الذي به يبتسم»

في بريد العلمانيون – بسب لاسبت الديمه ي د خل في هذا الحريق
وهذا «المأزق» الذي دخل فيه العربيون" والا تجيو بحراسه في دلاب فعلا
رقصهم بكأس لسم» التي تجرعته البصرية الاوربية بدور ي مصومة فهم
لإهانة التي بنغو فيها كل لادب لاس بكون به اسب ه في حدد
و ن شريعه لاسلاميه هي اوعى بحضراسيه و لبصري من بعلسفه
و لعلمنيين

وفي هذا لاصار، علينا ن بذكر وبذكر بالكتاب العقد والحكمة التي ر ب
وترى «حوامع لإسلام» في لشريعة والحصن ه بعد رف «حوامع الامة»
وبيس خصوصيه لموسيو بالاسلام بل لاحرين ر بدءا

■ كتب بعد «شهود بيانات بحريرت بكيسه الا توركيه بتي ق
قبب ا لاقتصاد في ص حكم لشريعه لاسلاميه بكوبق اسعد حلاء كر اسب
ولقد كانوا في الماضي حينما كان حكم الشريعة هو السائد نحن نعيش في
نعيش في ظل «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» عصر تحلل معاليس من الحد –
حتى الآن ونطبقها علينا، ونحن ليس عندنا في الإسلام من قوانين مفصلة،
فكيف نرضى بقوانين محصوبه ولا نرضى بقوانين الإسلام؟»

ولقد رحب الكتاب «شوبة» احيرا بالحلول الاسلامية التي تقدمها بفقه
لإسلامي بمشكلات الأسرة لمسيحيه وسبب قانون «بحلع» وفي رغم
معارضات متعصبة ترفض «الخلع» لا بشيء لا عصوره لاسلامي ان الخلع
مبدأ موجود منذ بقديم في بشريعة الاسلامية، ولم يكن عند من الناس على
معرفه به وبمقتضى مبدا الخلع من حق المرة تصب الانفصال عن روجها
لأسباب تبيبه للمحكمة منها استحالة بحياة الزوجية بينهما وبذلك
قانون الخلع يسمح بلمرأة المسلمة بان تستفيد من هذا الوضع، فما المانع من
ن يستفيد منه بمرأة المسيحية؟ فالمعروف في القانون هو عمومية القاعدة
فلا يصبغه في حالة معينة لفائدة البعض ونرفضه في حالة أخرى لفائدة
البعض الاخر ن، الخلع يسمح بمرأة مسيحية كانت او مسلمة، ان تتخلص

من الروح المتعب، وبخاصة لو كانت هناك أسباب تجعل استمرار الحياة المشتركة بينهما مستحيلا.

فالوحدة الوطنية من مقوماتها بعد وحدة منظومة العلم ووحدة المدرسة وحدة المحكمة، ووحدة القانون، ما دام ليس هناك نص ديني قطعي وحتى مخالف للشريعة العامة، الشريعة الإسلامية، ففيما يتعلق بمثل هذا النص يترك غير المسلمين وما يدينون، ما في فقه المعاملات، ومنه عقد قوانين الأحوال الشخصية، وكل القوانين المدنية والمدنية والتجارية والدولية، فالفقه الإسلامي فيها قانون مدني عام لكل الأمة، على اختلاف عقائدها الدينية.

هكذا، بأصوات العقلاء نواجه الجهلاء والدهماء والأعداء.

١٦ اللعب بورقة الأقليات (٧)

في الحديث عن مستقبل الوحدة الوصيه في بلادنا ولئي نحن ل نحرص عليها حرصنا على عيوننا يجب أن نتذكر كلمات الزعيم الوطني مكرم عبيد باشا [١٣٠٧ - ١٣٨٠هـ = ١٨٨٩ - ١٩٦١م] التي يقول فيها «نحن مسلمون وطن ونصارى بيت اللهم اجعلنا نحن المسلمين لك والوطن أنصارا ولهم اجعلنا نحن النصارى لك، والوطن مسلمين»

■ ولقد قصر هذه الحقيقه الدكتور مصطفى الحديث الباقوري بقوله «عبدالرزاق السنهوري باشا» [١٣١٣ - ١٣٩١هـ = ١٨٩٥ - ١٩٧١م] عندما تحدث عن الجامع الإسلام وشريعته وفقه بمعلومات فيه د عندما مكونات الوحدة الوطنيه فقال: الإسلام دين ومدنيه والمدنيه الإسلاميه لا تعني مجتمعًا من المسلمين فقط، وبما تعني مجتمعًا صنع فيه من المدنية قدمه للبشرية كثمرة للعمل المشترك، ساهمت فيه جميع الطوائف الدينيه التي عاشت وعملت معًا جنبًا إلى جنب تحت راية الإسلام، والتي قدمت للبشرية تراثًا مشتركًا لجميع سكان الشرق الإسلامي، المدنيه الإسلاميه هي ميراث حلال للمسلمين والمسيحيين واليهود من المقيمين في الشرق فالجميع مشترك والكل يتساوى على أيجب هذه المدنية والشريعه الإسلامية لا ينبغي الاقتصار في كونها صالحة بتطبيقها على المسلمين وحدهم في العصر الحاضر، بل على غير المسلمين أيضا وذلك دون إرغام غير المسلمين على اتباع خلاف عقائدهم وذلك يجب أن تكون حركة إحياء شريعه الإسلامية مبنية على أساس لا تتناقض مع هذه المعتقدات وأن يشترك في هذه الحركة الإحيائيه الى جانب المسلمين، غيرهم من المشرعين غير المسلمين، القانونيون منهم والاجتماعيون وأن يتبنوا قاعدة في شريعه الإسلامية كما تبنت الشرائع الأخرى ما لم يتعارض منها هذه الشرائع.

وحضارته لشعوب الأمة الإسلامية، هذه الوحدة التي تواجه بها مختلف الغوايات وجميع التحديات.

وعلينا أن نذكر - كمنطلق لنا في هذا المقام - كلمات رسول الإسلام ورحمة الله للعالمين، وخاتم النبيين والمرسلين، والمصدق لما جاءوا به أجمعين ومحرر الشرق والشرقيين، وتأتي نهضة هذه الأمة عندما أعطى العهد والميثاق بغير المسلمين أن يكونوا مع المسلمين أمة واحدة بينهم النصر والنصح والنصيحة والأسوة والبر دون الإثم، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وعلى المسلمين ما عليهم حتى يكونوا شركاء فيما لهم وفيما عليهم، وإن أحرس دينهم ومنهم بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من منتي.

ذلك هو دستور العدل والإنصاف لوحدة الأمة، مع كل الحقوق والحريات في التنوع الديني في ظل الولاء والانتماء لحضارتنا المشتركة والواحدة حضارة الإسلام.

١٧ اللعب بورقة الأقليات (٨)

وإذا جاز لنا، في ختام هذه الدراسة أن نرشح «جماعة الحكماء» التي يجب أن تأتلف، لتدير الحوار الموضوعي حول مشكلات الأقليات والتحديات التي تواجه الأمة بسبب استغلال الغرب الاستعماري لهذه المشكلات، فإنه جاز لنا أن نرشح «النقاط الساخنة»، التي يجب أن تتصدر جدول أعمال هذا الحوار، فإننا نرشح:

أولاً: ضرورة استبعاد الأوهام التي تروجها قطاعات أقباط المهجر، تلك التي سقطت في شباك الغواية الصهيونية الغربية، والتي تزعم أن العروبة والإسلام طارئان على الشرق، ويجب «تحرير» النصرانية الشرقية منهما، فليست هناك، ولا يعقل أن تكون، «امتيازات للأقدمية الدينية» قدرة الله واحد والتعددية والتوالي إنما هما في الشرائع والنبوات والرسالات التي هي معالم على طريق الوصول إلى الله. فالمسلمون الفرس هم إيرانيون زرادشتيون أسلموا وليسوا طارئين ولا وافدين على إيران، وكذلك المسلمون المصريون هم مصريون أي أقباط – أسلموا، وليسوا مهاجرين من شبه الجزيرة العربية إلى مصر، وعلى الذين يزعمون أن المسلمين في المشرق والمغرب هم مهاجرون طارئون على البلاد التي فتحها المسلمون، أن يتعلموا ويعلموا حقائق الديموجرافيا التي كتبها ونشرها العلماء غير المسلمين والتي تقول:

■ إن كل سكان شبه الجزيرة العربية في عهد الخلافة الراشدة – أي عصر الفتوحات – كان عددهم ١,٠٠٠,٠٠٠ نسمة فقط بينما كان عدد سكان مصر والشام والعراق وفارس وحدها – أي باستثناء المغرب – ٢٩,٠٠٠,٠٠٠ نسمة فحتى لو هاجر كل سكان شبه الجزيرة العربية – وهذا لم يحدث – إلى البلاد التي

فتحها المسلمون بما كان لها من أثر كبير في القضاء على التركيبة السكانية الأصلية لتلك البلاد.

وإذا كانت قد تمت هجرات عربية مسلمة محدودة العدد إلى تلك البلاد فلقد تمت إليها هجرات أرمنية ويونانية وقبرصية مسيحية بعد

وعلى الرغم من قوله إن الإسلام «وافد» على المصرانية في تلك البلاد، فإن تاريخ انتشاره يشهد على تلك البلاد بل هو وافد حتى على الجزيرة العربية نفسها، وافد على كل البلاد التي تحتضنه بما في ذلك «الحضارة الغربية» ميزه وامتيازا، فلربما كان الغرب هو الأكثر تقديرا لهذه الحضارة

فعندما يتحدث الحكماء يتبدد الوهم

وثانيا: إن الإسلام واقع في حقيقة الممارسة والتطبيق هو حق إلهي، يحكم خلق الله ويدعو إلى الخير والفضيلة ويرتقي بالإنسان، فهو حق مجرد من الأهواء والمصالح الخاصة، يحترم الإنسان، تمتع أو تمنع تبعا لدرجة التزامه في العقيدة والعبادة بما هي «حق إلهي» يحكم الحق والكرامة لأي مخلوق

وإذا كان الحق على مستوى العقيدة يقضي بأن تكون الكلمة العليا للإسلام دين ودولة، فإن الحق على مستوى الواقع يقضي بأن يحترم المسلمون قرار الإسلام وإلا فقدوا مصداقيتهم في هذا العالم، وهذه الحقيقة كانت غائبة عن الكثير من المسلمين في الماضي القريب والحاضر، ولكن الحق هو الذي يسود ويفرض نفسه على الواقع، وهذا ما يفسر عدم استقرار وعجز الحضارة الغربية عن إشباع حاجات الإنسان المعاصر، وهو الحضارة الوحيدة التي تقوم على أساس الفصل بين الدين والدولة، وهي الحضارة الوحيدة التي تعاني من أزمة روحية عميقة، وهي الحضارة الوحيدة التي تعاني من أزمة الإنسان المعاصر، وهي الحضارة الوحيدة التي تعاني من أزمة الأخلاق والقيم، وهي الحضارة الوحيدة التي تعاني من أزمة الأسرة والمجتمع، وهي الحضارة الوحيدة التي تعاني من أزمة البيئة والطبيعة، وهي الحضارة الوحيدة التي تعاني من أزمة الإنسان المعاصر، وهي الحضارة الوحيدة التي تعاني من أزمة الإنسان المعاصر.

وثالث إ كان من غير المتصور ان تفرض الأقلية نفسها على الاغلبية مذاهبها وصفتها في «دولة» كان تسعى المسلمون في غرناطة مثلا بملايينهم الخمسة إلى فرض دولة إسلامية وشريعتها على الاقلية المسيحية لتسعى غرناطة، او ان يصر «فيتو» على الدولة العلمانية وكذلك تحكم مع اكثر من مائتي مليون مسلم في اندونيسيا لان هويته مرتبطة بالمنطق الديمقراطي هي خيار الاغلبية في هذه الدولة حتى تكون علمانية مع الاغلبية العلمانية، وإسلامية مع الاغلبية الإسلامية مطلقة بدلا تحور هويتها علمانية كانت او إسلامية – على الحق الإلهي و تعدس بالاقلية في حرية الاعتقاد الديني، وإقامة شعائر وفرائض الدين

و لاغلبية الإسلامية في البلاد العلمانية، مطالبة باحترام القانون الوضعي بشرط أن يراعي هذا القانون حريتها في الاعتقاد الإسلامي وإقامة الفرائض الاسلامية، ومراعاة الحلال و الحرام الديني في أحوالها الشخصية وحقها الأسري، وعدم التجريح لمقدساتها

والأقلية غير المسلمة، في المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة مطالبة باحترام قوانين وفقه شريعة الإسلامية، خصوصا وأن هذه القوانين مرجعيتها منظومة القيم الإيمانية المشتركة والحد الأدنى و المقدسي الإسلامي الذي لا يثير له ولا يقيض في النصرانية، وإنما هو بدين وتقصير القانون الغربي العلماني الذي جاء في ركاب الغزو والمستعمرين فالقانون الإسلامي هو قانون وطني وقومي» بالنسبة لغير المسلمين مع ضرورة مراعاة الا يتعارض بند من بنود هذا القانون مع نص ديني حلي حدية عند لغير المسلمين»

بهذه الضوابط الأكثر حساسية والأكثر عرضة للاستغلال تجب أن تدار الحوار بين الحكماء

وإذا كانت أوراق الاقليات قد تحولت على يد نهضة الغربية من نعمة التنوع في إطار الوحدة» إلى «نعمة تمزيق وتفتيت» في العقلاء و الحكماء، من مختلف الفرقاء، يجب عليهم بقدر الامكان من هذا الاستغلال الاستعماري وبقدر الأقليات من هذا الذي تصنعه الغواية والخيانة داخل أمتها وتوجب تعميم جريمتها على الاغلبيات الساحقة من أبناء الأقليات

إن المفكر [illegible] رؤيته [illegible] ينظر إلى [illegible] من المتخصصين [illegible] السقوط في شباك
العولمة الاستعمارية فهو [illegible] للنهوض [illegible] ويتذكر مرة أخرى
الخطر الصهيوني [illegible] كما جاء في مقررات ندوة [illegible]
[illegible] هذه الأفكار في شركة [illegible] في مصر [illegible]
الإسلام والقومية العربية [illegible] من شرور العولمة [illegible] من
[illegible] ووقفت [illegible]
[illegible] أسباب النهوض [illegible] مكانتها ومكانتها [illegible] الدور التاريخي
الذي نعمت منه الكثير من الأمم والحضارات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

١٨ قانون الاحتكاك بين الحضارات

تشتد ثورة وسائل الاتصال زاد الاحتكاك الحضاري بين مختلف الحضارات والثقافات في العصر الذي نعيش فيه. لكن هذا الاحتكاك الحضاري والثقافي قديم وليس وليد عصرنا الحديث أو واقعنا المعاصر.

والذين يتتبعون موجات العلاقات والاحتكاكات بين الحضارات عبر التاريخ المدون للإنسانية يجدون قانونا قد حكم هذه العلاقات والاحتكاكات. فكان هناك تفاعل حضاري في ميادين المشترك العام بين هذه الحضارات والثقافات، وكانت هناك خصوصية وتميز فيما تتمايز فيه وتختص كل حضارة من هذه الحضارات. فلم يعرف هذا التاريخ الحضاري والثقافي في أوضاعه الصحية والسوية علوا لقطيعة وانتصارا بين هذه الحضارات، ولا علو «المماثلة» والمحاكاة، وإنما كان هناك «التفاعل الحضاري» والتمايز – في ذات الوقت – بين هويات وخصوصيات ومزاج هذه الثقافات والحضارات.

فالإغريق انفتحوا على المصريين القدماء، لكن تأثرهم وقف عند تمرد «العقل» دون أن يتجاوزها إلى عالم «الروح» و«الوجدان». فلم يأخذ الإغريق عقائد المصريين القدماء في الروح والغيب والخلود والحساب والجزاء والتوحيد.

والمسلمون انفتحوا على الحضارة الهندية، لكنهم أخذوا عن الهنود الفلك والحساب، دون الفلسفات والعقائد والثقافات. وكذلك صنعوا في انفتاحهم على الفرس، عندما أخذوا عنهم التراتيب الإدارية ورفضوا في ذات الوقت مذاهبهم الفلسفية وعقائدهم الدينية. وعن الرومان البيزنطيين أخذ المسلمون تدوين الدواوين ولم يأخذوا القانون الروماني. وكذلك كان الحال في الانفتاح على تراث الإغريق، فلقد أخذ المسلمون العلوم التجريبية التطبيقية المحايدة

واهتموا النظر في إنهاء [illegible] وهتموا النظر [illegible] للآداب الأغريقية [illegible] سطير وتنميتهم وتحسين [illegible] الأوربية في ذلك التراث

وبات [illegible] يراه فعلاً [illegible] النهضة الأوربية الحديثة هي [illegible] الإسلامي، فلقد أحدثوا العلوم التجريبية، التي طورها المسلمون واجدوا إبداع اسلافهم في المنهج التجريبي والملاحظة والاستقراء – وهو الذي فتح [illegible] المتطور [illegible] الأرسطي [illegible] لكن الأوربيين لم يجدوا نموذجهما الثقافي الإسلامي بل قد أحبوا النموذج الأغريقي والروماني مع سلفهم من ترجمات العلوم الطبيعية والمنهج التجريبي فنهضوا كامتداد متطور للإغريق والرومان، ولم يعفوا من نموذجهم الثقافي موقف التبعية والتقليد والمحاكاة

بل لقد كان [illegible] النهضة الأوربية مع فيلسوف ابن رشد نموذجاً لإعجاب هذا الفيلسوف الذي حكم احتكاك وتفاعل الحضارات فأحدث ابن رشد الشارح لأرسطو وأسموه «الرشدية اللاتينية» لأن هذه بضاعتهم ردت إليهم ورفضوا – بل ابن رشد الموفق بين الحكمة والشريعة، والمتكلم الذي أقام العقيدة الدينية على العقلانية الموضوعية والعقيدة الذي كان يقضي بالشريعة الإسلامية. لأن هذا النموذج الثقافي الإسلامي أو الرشدية الإسلامية كان معتبراً النموذج الثقافي للرشدية اللاتينية التي سببت الحضارة الغربية وأنهت العقل عندما صححت عثراته لا سلطان على العقل إلا العقل هي شعار فلسفة وفلاسفة التنوير!

بل إن بواكير نهضتنا الحديثة – وخاصة مصر في عهد محمد علي باشا [١١٨٤ – ١٢٦٥هـ = ١٧٧٠ – ١٨٤٩م] قد حسدت عثمان هذا الفارق في علاقة الذات الثقافية وتموذجها بالآخر الثقافي ونموذجه

فرفاعة الطهطاوي [١٢١٦ – ١٢٩٠هـ = ١٨٠١ – ١٨٧٣م] هو الذي دعا إلى التعلم على أوربا في العلوم الحكمية العملية والمعارف البشرية المدنية التي ليس لها مدخل في مقدم الوصية لأنها – وإن ظهر الآن أنها أجنبية – هي علوم سلامية بقيها أخذت إلى أهلها من الكتب القديمة، وهي مازال كنهها باقياً الآن في خزائن ملوك الإسلام كالذخيرة»!

١٩ الوعى بالآخر شرط للوعى بالذات

[illegible] الإسلام [illegible] يظهر حسب [illegible] وتصدق تتغير الأشياء [illegible] يستحق عبد [illegible] ترك خصوصيته الثقافية وتحضره إلى الحق يعلمه على تراب واحد وتفقت [illegible] سوف تعرفه [illegible] الآخر [illegible] الثقافى والحضارى شرط لإدراك تغير «الذات» [illegible] وتحضره عن هذا الآخر [illegible] وبدون هذه الخبرة «المعرفة، والمقارنة» لا سبيل لإدراك مناطق الاشتراك، ومن ثم التفاعل [illegible] ومناطق التميز [illegible] ومن ثم الخصوصية – فى العلاقة بيننا وبين الآخرين.

وعلى سبيل المثال فجوهر الاعتقاد الإسلامى هو «التوحيد» بكل دلالاته فى أرقى مستوياته «التنزيه [illegible] والتحرر». فالتوحيد الإلهى هو وحده المتسم وتميزه عن وجود الاستخلاف الخاص بالإنسان، والذى يميزه عن كل شبهات الاتحاد [illegible] وحدة الله والإنسان، وفى ذات الوقت يحقق للإنسان [illegible] المتفرد [illegible] بعد ربانيا لأن الله قد نفخ فيه من روحه [illegible] وتشرفه بتكريمه [illegible] بعمارة الأرض واستعمارها.

وهذه النظرة للعقيدة الإسلامية تحرر [illegible] الإسلامية حضارته بمحور [illegible] حول الله لا حول الطبيعة، أو الإنسان [illegible] وذلك دون احتقار لطبيعة أو تهميش للإنسان، فالطبيعة فيها مخلوقة لله – سبحانه وتعالى – [illegible] لها حدود [illegible] وهى [illegible] تسبح فيها لله وكل لا يفقه هذا التسبيح، فنحن نتعامل معها لا بـ«القهر» وإنما بالإخاء والارتفاق.

كما أن هذه النظرة الإسلامية [illegible] التى لا تؤله الإنسان [illegible] ولا تحتقره تجعل [illegible] الإسلامية حريصة [illegible] لا تهمش هذا الإنسان لأنه [illegible] فيها – المخلوق الذى أكرمه الله [illegible] خليفة له [illegible] ونفخ فيه من روحه [illegible] وحمله الأمانة التى أبت حملها المخلوقات الأخرى، حتى لقد كرمه الله، وفضله على الملائكة المقربين.

وعدم تحور لنقده الإسلامية حول الإنسان يعني عدم استقلاله عن الله دون أن يكون هناك خلط بين الاستخلاف وبين الخلق. وعدم استقلال الإنسان عن الله يعني تبعيته في إرادته وعبوديته ومعرفته وتدبيره وتقويمه للأحداث. فالعالم وعارف، بكل الاحتمالات الإنسانية لا يعني أن يكون الإنسان متحكم الكون والإنسان، بسبب العلم المطلق والكلي والمحيط هو لله سبحانه وتعالى. وبالتالي فإن عدم استقلال الإنسان في المعرفة الإنسانية والعقلانية هي فريضة لأنها لا تستقل بمعرفة المطلق، وخاصة في تناول الغيب ووحي السماء.

وفي مقابل هذه الفلسفة الإسلامية، نرى في الفكر الغربي فلسفة «الحلول» الإلهي في الإنسان، فالإنسان ليس «خليفة الله» وتعبيراً عن صورة الله وبذلك أدى هذا التأليه للإنسان إلى قيام الفلسفات التي تجعل من الإنسان محور حول الإنسان، وليس حول الله. فكانت شعارات التنوير الغربي الإنسان على العقل إلا للعقل» وكانت العلمانية، التي رأت الإنسان مكتفياً بذاته ولا حاجة به إلى رعاية إلهية وتسديد إلهي وسرعان ما تم إلغاء هذا العالم وخارج عقل وحواس هذا الإنسان.

نرى أن في الموقف الإسلامي، الذي يقف بالإنسان عند درجة «الخليفة» لا «الحلول» و«الألوهية» العصمة من الكهانة والكهنوت اللذين وقعت أسيرة في الفكر الغربي سكون فريضة هي الإنسان مسئول أمام الله يحاسبون يحاسب ولا يستأثر عن الحساب ويفكر ويعقل ويعرف لكنه هو محدود بالله لقد ابتلي الغرب بالكهانة والكهنوت بسبب فلسفة حلول الله في الإنسان لا في الأنبياء الكنسي وحده كما هو شهير وتمثل في «تأليه» الملوك والأباطرة والأمراء الحرب والأغنياء على اختلاف مواقع في فلسفات الغرب وعقائده الاجتماعية والاقتصادية.

فعلى حين تعتبر مركزية «الإنسان» والإنسان تصبغ على الفكر الغربي والتي تمثل عصبه معرفة وأحد أهم في الفكر الإسلامي يتمركز حول وحدة «الله» على مستوى توحيد الله في ذاته وفي عقيدة «وحدة الخلق» ووحدة الخلق، على نحو من الغرب وفي استخلاف الإنسان يحول دون علمنة المعرفة والعلم في فلسفة الإسلامية فالاستخلاف والأمانة التي حملها الإنسان هما أصل التعليم المعرفية الإسلامية وهي

٢٠ الوعى بالذات والواقع المحيط

تمثل «الاستنارة» حالة كيفية ونوعية من الوعى [illegible] «الذات» و«الواقع» و«المحيط» فلا بد فيها من الوعى [illegible] والثقافية» والمعرفة الواعية «بالآخر الحضارى والثقافى [illegible]

والذين تقف ثقافتهم عند موروثهم الفكرى لا يتعداه هم [illegible] الأحوال [illegible] كمن ينظر بعين واحدة [illegible] الأعمى الذى لا يدرك من الوجود غير جسده الذى يتحسسه بيديه

وكذلك [illegible] الذين ضربت عقولهم فى «المصانع الفكرية» للحضارات الأخرى الذين جهلوا موروثهم وهوية أمتهم وثقافة الحضارة التى تحمل أسماءها وإلى شعوبها ينتسبون

إنهم مستنيرون لكن استنارتهم لا ترى غير الآخر [illegible] وعيهم لا يدرك الذات الحضارية التى يستظلون بعنوانها العقدى والوطنى والقومى والثقافى

ومن هنا كانت الاستنارة الكاملة الفاعلة هى الوعى الحقيقى [illegible] الحضارية [illegible] بالآخر الحضارى [illegible] وعمل قوانين الأخذ والعطاء والتفاعل الصحى بين تيارات الفكر الإنسانى [illegible] فى [illegible] الثقافات والحضارات

[illegible] الذين يكتفون [illegible] الثقافية والحضارية [illegible] هذه [illegible] إلى الذبول والاضمحلال [illegible] كمن [illegible] عن [illegible] يعيش على [illegible] حتى يستهلك مكوناتها

وكذلك الذين يتجاهلون [illegible] الثقافية والحضارية لأمتهم [illegible] «ذوات» الآخرين [illegible] هذه الذات [illegible] التى [illegible] إلى الذبول والاضمحلال

فمعرفة النفس لا تغني عن معرفة الآخرين والعكس صحيح

ولا يحسن حتى الفهم الصحيح في الاستيعاب والتفقه هو ولد الوعي المتبصر وهو سهل وسهل مرتبط بسرع وتفهم في ثقافة وتبادل الأفكار فمن القرآن الكريم نتعلم المنهج الذي يدعونا إلى الوعي بالذات وبالنفس بالآخر ونتعلم منه ونستمع إليه ونجاهد في سبيله ونحن هذا نحتاج إلى التعرف على الآخرين من ولد من فيهم بخصوصيته عن وتتأثر في صورة ذلك الذي هؤلاء الآخرين

■ عندما الإسلام يفرض على كل من يحقق القيام بفريضة الدعوة إليه يحقق مستويات ثلاثة في الدعوة أن هذه هي

١ تتسع الدعوة الإسلامية إلى الآخرين

٢ وقوة الحجة بصدق الإسلام على هؤلاء الآخرين

٣ وإزالة الشبهات عن الإسلام لدى هؤلاء الآخرين

وبدون المعرفة بالآخر، والوعي بما لديه من عقائد وإيديولوجيات ومواريث فكرية وثقافية يستحيل إنجاز هذه الأركان في فريضة الدعوة إلى الإسلام

■ وليس كالقرآن كتاب عني بالمعرفة بالآخر في الماضي والحاضر عند عرض هذا النحو المعرفي الذي للتراث والتوسيع والآخر والتعريف به ونقده ومواريث. ﴿أتعبدون ما تنحتون ٩٥ والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات ٩٥، ٩٦]

وفي تحرير صغار الكتب الإلهية ينسب المنحوتة القرآني إلى النحت والنقوش عندما يأتي في معرض مقارنة مع صناعة الآخرين، وذكر في كتاب إبراهيم: ﴿كان صديقاً نبياً ٤١ إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً﴾ [مريم: ٤١، ٤٢]

■ وليس كالقرآن كتاب سعى إلى استنطاق الآخرين كل ما لديهم من حجج وبراهين، على ما يعتقدون ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ [البقرة ١١١]، ﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون﴾ [الأنعام ١٤٨

٢١ الاهتمام بـ«بضاعة» الآخرين

ليس كالقرآن كتاب اهتم بـ«بضاعة» الآخرين – العقدية والفكرية – على ما بها من سقم وعوج وتهافت، فهو يثبت ما تحدثوا به عنه، وهو المعجز المتحدي، عندما قالوا: «إن هذا إلا أساطير الأولين» [الأنعام: ٢٥]، «بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر» [الأنبياء: ٥].

ويثبت ما وصفوا به الصادق الأمين ﷺ عندما قالوا عنه: «هذا ساحر كذاب» [ص: ٤].

ويثبت الفلسفة الدهرية – على بؤسها – عندما تعلقوا بحبالها: «وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون» [الجاثية: ٢٤].

وتحدث منطقهم العجيب، أي الجار للشرب متعجبا من التوحيد: «أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب» [ص: ٥].

يتتبع القرآن الكريم مقالات الآخرين فيفندها، ثم لا يطوي صفحتها متجاوزا إياها، وإنما يثبتها ثابت في سورة يتلوها ويتعبد بها، ويرسي دعائم هذا المنهاج في مقارنة العقائد والفلسفات والأفكار.

ثم إننا نتعلم من هذا المنهاج القرآني أن الذين يصدرون الفكر الآخر ويعلقون دونه الأسماع والأبصار إنما كانوا هم المشركين، فتجاهر الفكر الآخر والصد عن سماعه وتأمله وتدبره ليس منهاج أهل الإيمان، والمشركون هم الذين يتلون ويصرفون أنفسهم ودونهم عن القرآن: «ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين» [لقمان: ٦]، فلقد رفعوا شعار التعمية على هذا، أي خالف ما وجدوا عليه آباءهم وكبراءهم: «وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون» [فصلت: ٢٦].

قف حسبو ن ابر حه و بعد ى التعصبه على هد لى م بقوه و لكنه
لهدا ذى يريدون و لمصد ه ب ى لا يرد و

هد هو لمنهج القرانى فى التعامل مه افكر الاخر حتى عدص كن شوك
صريح وكفرًا بو حد وونسه حاقده و هرة حبو ه مصممة للفطرة انسوية
لتى فطر لله عليها الإنسان فى الإيمان

واليوم ونحن نعيش وقع عصر ا هيمار فيه ثوب الغ امى حد
اشتدت فيه اليات الدفع الفكرى، بل والغزو الثقافى، و لاحتد ج الاعلامى فى
كل الاحايين فى هد واقع، نرى فكر الاخرين يقتحم عقول وقلوب حتى
مجتمعات لتى يستكر فيها وكدلك منتج لفكر هو لاخر ا نصر لم
لاخرين فى عو تهم الامر لذى حدا تغيير د عدا فى الموقف افكريه عن
حراسة الموقع بمعاصر فتم بعد افكر لاخر خارج الحدود ولا حتى ستقبل
ومستضيف على لموقد و لأبواب ترتفع عاليا فى وجه حضارة وتقدم
مراكز ومؤسسات و لجامعات والصحف والمجلات . بل إنه يعترنا صباح مساء
وراء البحر و صرخات تهديد من فجارة تصدر عنه سافرة فى سد و ن ملاحقة
او حدة

كما صبحت ت تحل لنصر رغم حالة لاستضعاف وقلة امكانات
مراكز شعاع فكرى على دول لاخرين يوتى ثقوه لمو الاسلامى وحد
الفطرة لتى من لتمزق من تعرض سلسال لاستضعاف وقلة لامكانات

بعد أتمر هد لواقع الجديد لذى احدثته ثوره وسائل لاتصال ثوب عن
« لملاحم لفكرى» العالمى، لامر الذى فرض ويفرض على مختلف فروع الثقافه
افكرى الوعى بما لدى الاخرين فمن صدد هد لوعى ضرورة تفهم لترصد
على حد سواء

و كانت لمعصبة ر سسة ت تتعارض جوهر صفة ثابته فى عالم
لافكار ى حيث هى فريضة دينية لتبصير لاسلام وعدالى لاسلام وقدرة
انجحه على صدقه وإزاله الشبهة عن عقول لمستنيرين حتى لا يوتى هد لدور
لاخرين عن « د تهم» وعند يصبح هو لآخر فريضة إسلامية على لذين
انتدبوا أنفسهم للربط افكرى على نعمر الاسلام الدين و بحضارته
ولديار – هده الشريحه من اهل العلم، الدين تحدث عن رسالتهم ه د رسول لله ﷺ

عندما قال: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الضالين وانتحال المبطلين [رواه الطبراني]

وهؤلاء العدول الذين يدافعون عن الإسلام ويكسرون أشواك الفلسفات والأيديولوجيات المعادية - بعد الإحاطة بحقائقها وأباطيلها - هم الذين تحدث القرآن الكريم عن تفرقهم إلى الجهاد الفكري فقال: ﴿وما كان المؤمنون ليفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ [التوبة ١٢٢]

٢٢ الوسطية الإسلامية (١)

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]

فالوسطية الإسلامية هي المنظار الذي بدونه لا نستطيع تبين حقيقة الإسلام ومنهاجه في مختلف الميادين.

فالوسطية في علاقة حاضرنا بماضينا تعني التمييز بين «الثوابت» وبين «المتغيرات».. والالتزام بالدين - الذي هو وضع إلهي ثابت - مع الاستفادة بـ «الفكر الديني» دونما جمود مذهبي أو التزام باجتهادات السابقين للوقائع التي تم ورها التاريخ.

والوسطية في علاقة «ذاتيتنا» الحضارية والثقافية بالآخر الحضاري والثقافي، تعني التمييز في الفكر الإنساني بين علوم المادة التي تمثل حقائقها وقوانينها المشترك الإنساني لكل البشرية، فعلينا أن نسعى إلى طلبها والتلمذ على علمائها، ممتزين بينها وبين علوم العقائد والفلسفات والعلوم الاجتماعية والإنسانية والآداب والفنون والقيم والأخلاق.. ففي هذه المنظومات الثقافية تتمثل الخصوصيات التي تتمايز فيها وبها الأمم والحضارات.

والوسطية في العلاقة بين «العقل» وبين «النقل» تخرج الأمة من المعركة الوهمية التي تشل قدراتها.. فالعقل - في ديننا وحضارتنا - لا يقابله «النقل» وإنما يقابله «الحيوان».. والعقل هو سببنا لفقه النقل، لكنه - ككل الملكات الإنسانية - نسبي الإدراك والعلم والمعرفة، فلابد له من «النقل» يتعلم به ما لا يستقل بإدراكه من نبأ الغيب ووحي السماء.

وهذه الوسطية تخرجنا من علو «النصوصية الحرفية»، التي تتنكر لعقلانيتنا المؤمنة، ومن علو «العقلانية المؤلهة للعقل» - كما هو الحال في العقلانية

الإسلامية عربية التي تعبر شعار الأمة على العقل الجمعي وحده

والوسطية في العلاقة بين الجوامع المتوحدة الأمة وبين التنوع في الجوامع هي التي تحقق وحدة الأمة وشريعة وأمة وحضارة وراية الإسلام، مع التنوع والاختلاف والتعددية في إطار كل جامع من هذه الجوامع الخمسة حيث يتحقق التنوع في هذه الجوامع الشريعة الإلهية الواحدة والشعوب والقبائل وتعدد الأمة الإسلامية تتنوع في عصر الأمة الواحدة والعصر والأقاليم والولايات وتتنوع العصرية تتنوع في إطار دار الإسلام والتعارف والتقليد والاعراف تتنوع في إطار الحضارة الإسلامية الواحدة

وهذه الوسطية الإسلامية تخرجنا من علو المركزية الغربية تتنوع وهي علو التشرذم والتفتت في الاتحاد

وإذا كان صحيحا «أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها» فليس معنى ذلك أن نحاصر والمستقبل في قوالب تجارب الماضين وإنما المعنى الصحيح لهذا القول هو ضرورة سلوك منهاج النبوة الأول حتى نتمكن من بناء مستقبلنا

وإذا كانت الوسطية هي من أبرز معالم النهضة الإسلامية المنشودة فإن النهوض الأمة وحضارتها، فإن «الإحياء» بالإسلام إنما يمثل بعدا من أبعاد هذا المشروع وسبيلا لتحقيق وسطية الإسلام

إن حضارة الإسلام هو الجانب الذي يحرر عقول وسلوك الأمة عندما تعتصم على كتاب الله وسنة رسوله وتجتهد في عمارة الأرض بالتقوى والعدل الذين عن استخلفه الله وسخر له ما في السماوات والأرض [الجاثية ١٣] وتسعى بسعيها الذي يُرضي الله الذي يحدوه مكتب عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾ [الأعراف ١٥٧]

وإذا كان «الإحياء» هو أكثر المصطلحات تعبيرا عن فقه الإسلام في الأمة الذي يشير إلى أن تصحيح الإسلام في عقله الأمة لها الإحياء هي عقل الأمة، تلك التي إذا أعاد الإسلام إحياءها وتعبيرها استطاعت تقديم الإجابة وتغيير الواقع وتلبية الحضارة أو تجددها فكل منهج يتعثر ويشذ مع التجدد

التي تقفز على تغيير النفس، وتربية الضمير، وإعادة صياغة الإنسان بالإسلام هي حرث في البحر لا يتجاوز أثرها «التحية» التي يبشر بها ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد: ١١]

قد توسطه الإسلامية أو بالأحياء الإسلامي للنفس الإسلامية تخطو نحو الإقلاع الحضاري، عندما تواجه التحدي الحضاري الذي يأخذ منا بالجد و مجاهدين على جبهتي هذا التحدي جبهة التخلف الموروث وجبهة الهيمنة الغربية، التي تحرس أمراض هذا التخلف لتكرس الواقع الدائم الذي نعيش فيه

٢٣ الوسطية الإسلامية (٢)

من المصطلحات التي عدت عليها العادات فرضيتها لم يمكن [illegible] سوء السمعة مصطلح «الوسطية» وإن على الرغم من شرف هذا المصطلح ومضمونه ومن الخطر الذي له في التصور والمنهج الإسلامي.

ففي الوسطية، بمعناها الإسلامي الخالص والأصيل تتمثل السمة والقسمة التي تعد بحق أخص ما يختص به منهاج الإسلام في الفكر والحياة في النظر والممارسة والتطبيق، وفيها تتجسد أهم المميزات التي تميز هذا المنهاج الإسلامي عن مناهج أخرى مذاهب وشرائع وفلسفات، بها انطبعت الحضارة الإسلامية في كل القيم والمثل والمعايير والأصول والمعالم والجزئيات حتى لنستطيع أن نقول إن هذه الوسطية الإسلامية بالنسبة للمنهج الإسلامي وحضارته هي عدسته اللامة لأشعة صوته وزاوية رؤيته كمنهج وزاوية الرؤية له أيضا.

والوسطية الإسلامية قد تبعت وتبع هذا المقام في حضارتنا لأنها تنفيها العلو الظالم والتطرف الناقص، إنما تمثل الفطرة الإنسانية الطبيعية في تراثها وقبل أن تعرض لها وتعدو عليها عوارض وغايات لا تمثل الفطرة الإنسانية في بساطتها ونزاهتها، وعمقها وصدق تعبيرها عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، إنها صبغة الله أراد سبحانه وتعالى بها أن تكون صبغة أمة الإسلام وأخص خصوصيات منهج هذا الدين فقال: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [البقرة ١٤٣]

إنها – في التصور الإسلامي – الحق بين باطلين، والعدل بين ظلمين، والاعتدال بين تطرفين، والموقف العادل المتوازن الجامع لأطراف الحق والعدل والاعتدال، الرافض للعلو – إفراطًا وتفريطًا؛ لأن العلو الذي يرتكب الوسطية

هو انحياز من الغلاة إلى أحد قطبي تصوره ووقوف عند الحدي كلي تضر بفقر إلى توسط بوسطية الإسلامية جماعة ولي تواريخ وعقائد

والوسطية الإسلامية الجماعة تقف هي موقف وسطية وبموهبة العصمة من المتعصبين والمتخلفين انعدام موقف التوسط والحذر من مشكلات وابتعاد المشكلة، بل إنها على العكس من ذلك هي الموقف الأصعب الذي لا يتحمل الانحياز السهل إلى حد القطبين وتقع فهي مرتبة من المعاني السوية التي شاعت عن دلالات ومضامين مصطلحها بين العوام وهي كذلك تقف الوسطية الأرسطية، كتب بحسب الكثير من المثقفين والرسمي فلسفة يونانية وعلاقة الوسطية الأرسطية التي رتبها أرسطو [٣٨٤ ٣٢٢ ق م] في الفضيلة هي وسط بين رذيلتين هي في نظر الأرسطي تشترك في توسطها الفضيلة الأرسطية الثنائية، فلسفية والتي تفصلها عن الفضيلة أو الرذيلتين الطرفيتين فلسفة هندسية يتحدد له الوسط، فوسطية الثوب تتحدد فيه وموقع الساكن وفي أحوال أخرى علاقة الفضيلة بين التوسطية ولكن هكذا وسطية الإسلامية الجماعة كما هي في منهج الإسلام

إن الوسطية في التصور الإسلامي موقف ثابت حتى وموقف حذر منه وبذلك الوسط بين المتطرفين ليعني أن هذا الوسط فضيلة لمجرد أنه يقف بين المتطرفين وتكون مهمته الوقوف ضد المخالف لهم بكل شيء في كل شيء وإنما خلافه لهم منحصر في رفضه الانحصار والانغلاق على ذات كل قطب من القطبين وحدهما، وإن غيره منحصر في رفضه الرفض بعينه وحده لا يرى لأحد وحده منحصر في رفضه الانحصار الخير وهو الانحياز وعلى هذه الوسطية الإسلامية كموقف ثابت وحذر أن تتمثل الخير في نهج الجماعة وتسلك الخير في غير تسرع ولا تعجل من تعصب والتحجر والتكور في خوخة في نفس متقوقعة كتيبة وهي لذلك وسط جماعة بين التصور الإسلامي ومنهج الإسلامي عند أي فريق فلسفي أو سياسي

★ ★ ★

٢٤ الوسطية الإسلامية (٣)

إن العدل والوسطية هي العدل بين ظلمين – لا يعتدل ميزانه بتجاهل كفتيه والانفراد دونهما، كما أنه لا يعتدل ميزانه بالانحياز إلى إحدى الكفتين دون الأخرى، وإنما يعتدل الميزان فيتحقق العدل بالوسطية التي تجمع الحكم العادل من حقائق ووقائع وحجج وبينات الفريقين المختصمين، كفتي الميزان. ولهذا كان قول الرسول ﷺ: «الوسط العدل جعلناكم أمة وسطا» [رواه الإمام أحمد].

والعدل هنا، وبهذا المعنى، هو بعد ما يكون عن الاعتدال، عندما يراد به الاستسلام للواقع إذا كان جائرا، بل إن الوسط العدل في المفهوم الإسلامي هو ضد «الاعتدال» بهذا المفهوم.

والكرم، وهو خلق وسلوك وسط، ليس غريبا تماما عن القطبين المتقاطعين «الشح» و«الإسراف»، وإنما هو جامع منهما سمات ومكونات هذا الموقف. الكرم الجديد إنه جامع لـ«التدبير» و«الاقتصاد» و«البذل» و«العطاء».

وكذلك «الشجاعة» تتخذها كوسط مغايرة لكل من الجبن والتهور، لا على النحو التام في المغايرة، وإنما على النحو الذي رفض الانحياز لخطر واحد، فجمع منهما «الحذر» و«الإقدام» ليكون الموقف الوسط الجديد.

في ضوء هذا المضمون الإسلامي المتميز لمصطلح «الوسطية» تفقه كل المأثورات الإسلامية التي أشارت إلى هذه الخصيصة من خصائص منهج الإسلام: «والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما» [الفرقان ٦٧]، «وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا» [الإسراء ٢٦]، «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا» [الإسراء ٢٩]، «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» [البقرة ١٨٥]، والاعتدال الرافض لعلو الإفراط

و تعرض ولا الرهبانية تمسحنة و ليست لاعجمي ولا لعجمية بشيوعية و محلل من لبك يف

وفي ضوء هذا نخلص لوسطية لاسلامية تختلف تمام ختلاف عن رسول الله ﷺ ن قد بدس مبر فاوغلو فيه برفق [رواه الامام حمد] ب دين الله عز وجل يسر [رواه بخاري و نسائي و لامام حمد] ، بكلمة يد بكم اليسر ول حير بكم يسرد» رواه لامام حمد ر الله عز وجل لم يبعثني معنتا ولكن بعثني معلما ميسرا رواه مسلم و لامام حمد وعن عائشة رضي لله عنها ما خير رسول الله بين امرين قط في الاسلام الا خير ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه» (رواه لبخاري ومسلم وابو داود والامام مالك واحمد) فهذا لانهج الذي رسو ﷺ بعد ابتعاد عنه هو لمرفوض من سماه ابغطين المتنطعين لانه التعم ولتعمق بالتطرف بعد ر بعد عن الحق ولحق و يسر والاعتدال

وفي ضوء هذا لتحديد لوسطية الاسلامية الحضارية يتضح ان منهج لاسلامي عند قدم الامة في ابتداء حضارتها وبعد كبير وسطيته هذه هي صفة تلازمه من بدايته ونهايته وتتصف بخصائص تميزه عن غيره من حضارات خرى وفي الحضارة لغربية على وجه لتحديد

وفي ضوء هذه لحقيقة فان حكم بمنهج لاسلامي في مسألة من حوادثها ، لابد من لنظر في مدى تحقق وسطية الحكم و تتحقق بمعنى لوسط والاعدل الخيار الذي يتسم بوسطية بين لاطراف المتقابلة و يستمد توازنه من تحقيقه بتوازن بين رغبتين ومصلحتين ومن غير ضرر ولا ضرار بحق و لمساواة و لعدالة

ولا يكتمل هذا بوسطية لاسلامية في تحديد سلوك و مفهوم لاسلامية وهذا يتجلى في منهج لاسلامي في لتصور لاسلامي في توازن وحسن وتناسب والاخوة وتكامل بين عوالم لوجود ولكون والانسان والفكر و واقع وعلاقة ولبشرية ولبيئة وبين وقع ومثل وبين صراع لوجود واستمرار وتغيير والقديم وجديد ولاصيل والمعاصر و لعقل والنقل ولخصوصية و لعالمية والحق والقوة والاخلاق و سلطة وبين و لعلم و لعامة واحد صمد الى خر هذه لمبادئ التي تصور خريطة لمسار

تلك هي وسطية الإسلامية الجامعة صبغة الله التي [illegible] لأمة الإسلام والفطرة الإسلامية المطهرة من العوارض والأقذار وعدسة الرؤية الإسلامية لحسنات المنهج الإسلامي ومعالم تصوره [illegible] في «الفكر [illegible] في [illegible]».

وصدق الله العظيم [illegible] يقول: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا﴾ [البقرة ١٤٣] وصدق رسوله الكريم عندما قال: «الوسط العدل جعلناكم أمة وسطا

٢٥ وسطية التجديد والاجتهاد

في واقعنا الفكري والثقافي المعاصر لدينا ألوان من «الهجرات»

وليس مرادنا هنا الحديث عن الجماعة التي اشتهرت [illegible] بالتكفير والهجرة [illegible] التي كفرت الأمة والدول والمجتمعات ثم هاجرت إلى [illegible] حتى تعود فاتحة للبلاد

وإنما مرادنا هجرات أخرى سببها أيضا العلو الفكري في ميادين الثقافة بوجه عام

■ فهناك الذين هاجروا من [illegible] المعاصر والزمن الحاضر إلى «الماضي» يحلمون بصب حاضرنا ومستقبلنا في «قوالب تجارب» الماضين والحالين، فهجرتهم هجرة من [illegible]

■ وهناك الذين هاجروا من «جغرافيتنا الحضارية» إلى «الجغرافية الغربية» يحلمون بصب حاضرنا ومستقبلنا في قوالب تجارب وفلسفات النموذج الحضاري الغربي، فهجرتهم هجرة من [illegible] وفي كلتا الهجرتين خلل في علاقة «الحاضر» بـ«الماضي» و«الجديد» بـ«القديم» و[illegible] بـ«الآخر» وهذا الخلل قد جعل في واقعنا الثقافي نماذج ثقافية ثلاثة [illegible] فيها طرف علو وبينهما الوسط العدل المتوازن الذي يزكيه الإسلام

(أ) فهناك علو الإفراط الذي يمثله الجمود والتقليد [illegible] الذي لا يميز في الاعتصام بالماضي بين «الثوابت» و«المتغيرات» بين «الإلهي» و«البشري»، بين «المناهج» و«التجارب» و«التطبيقات» فيضفي القداسة والثبات على الماضي جميعه، حتى ليكاد أهله أن يهاجروا إليه مديرين ظهورهم للحاضر والمستقبل والجديد

(ب) وهناك غلو تفريط "الحداثة" [illegible] وهي [illegible]

فلسفة التنوير الغربي [illegible]

عزلت شرائعه عن ضبط شئون العمران [illegible]

[illegible]

للشريعة الخاتمة يستدعي «التجديد» فيها، حتى لا ينسخها التطور وتطوى صفحتها، ولأن عالمية هذه الشريعة الخاتمة تستدعي هي الأخرى «التجديد» الذي يستجيب لتجديد الأمم والبقاع والعادات والأعراف، وعن هذه «السنة» والقانون «تجديد رسول الله ﷺ» فيقول: «يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها» رواه أبو داود، ولأن أنبياء بني إسرائيل كانوا المجددين لشريعة موسى عليه السلام، أصبح علماء الإسلام الحاملون لرسالة «التجديد» كأنبياء بني إسرائيل، كما جاء في الحديث الشريف: «فلو كانوا مجرد حملة العلم لكانوا مثل علماء بني إسرائيل لكن نهوضهم بـ«التجديد» هو الذي ارتقى بهم إلى مرتبة أنبياء بني إسرائيل.

٢٦ للإسلام عقلانية مؤمنة

لقد دهش فلاسفة التنوير الغربي - وهو التنوير الذي وضع مبادئ عصر التنوير الفرنسي في القرن السابع عشر والثامن عشر - بما سماه «العقل» حتى نعت بعضهم الثورة الفرنسية بأنها كانت ثورة العقل ضد سلطان الكنيسة الذي يقتضي الخضوع لما يفرضه الوحي والدين، فدعوا إلى تحرير العقل من سلطان الدين وتحرير العقل دون معونة من خارجه، وجعل السلطان المطلق للعقل وحده، بحيث لا يكون هناك سلطان على العقل إلا للعقل!!

ولذلك جاءت عقلانية التنوير الغربي - الذي يشترك معه في الحضارة الغربية بين صفوفنا الآن - عقلانية وضعية ومادية.

أما النموذج الثقافي للإسلام فإنه - وإن كان يعتبر العقل ملاكاً من ملائكة الله يصطفي به من يشاء من عباده لتكليف وحمل أمانة الإنسان وأصالته في الأرض، وهو الذي جعله مناط التكليف وجوهر إنسانية الإنسان وأصالته في سلوكه من مخلوقات الله - إلا أنه لم يؤلهه ولم يقدسه كما حدث للهند مع «النفس» و«السحر»، وللوحدان والعلم مع الغرب. فالإسلام هو الذي أقام المقابلة المتناقضة بين «العقل» و«الانحراف الديني»، وهو الذي قدم تفكيره وفلسفته وثقافته «عقلانية مؤمنة» يحتكم عليها الفكر، ويتفحص بنورها في ضوء عن الانحراف الديني.. فهي مناط التكليف، وحكم الذي به يتميز الإنسان عما في القرآن من محكم ومتشابه، بل وسبيل معرفة الذات الإلهية التي تعتبر جوهر الانحراف الديني.

بل لقد تقرر الفكر الإسلامي عندما عقد أواصر الأخوة بين «العقل» و«الشرع» والتزم ذلك أعرض تيارات ثقافته الإسلامية اتساعاً حتى قرر حجة الإسلام أبو حامد الغزالي «إن الشرع أسسه قد تحققوا أن لا معارضة بين الشرع الصحيح والعقل الصريح وعرفوا أن من ظن وقوع التعارض على التحقيق، وإنما الظواهر، ما تأولناه إلا من ضعف العقول وقلة البصائر، وأن من تعمق في تصرف

العقل، حتى صادموا به قواطع السر ... ما جاءوا به إلا من خبث الضمائر، فميل أوسعهم إلى التفريط، وميل هؤلاء إلى الإفراط، وكلاهما بعد عن الحزم والاحتياط فمثل العقل البصر يسلم عن الآفات، وفي نور الشمس مستنارة العينين فحلول نور الشمس بكوكب الأعشاء مستغنى إلى استغنى بحدقته عن الاستنارة في عمل الأعشاء فالمعرض عن العقل، مكتفيًا بنور الشرع مثله المعرض بنور الشمس معتمدًا على الحدقة، فلا فرق بينه وبين العدو في العقل مع الشرع بعد على نور

هكذا رسم تعالى للعقلانية الإسلامية المؤمنة هذه الوجهة لتحميله، فالعقل هو البصر، والشرع هو النور، وبصر بلا نور هو كالعمى ونور بلا بصر لا فائدة له ولا يتحقق الغرض من النور والاستنارة والتنوير إلا إذا اجتمع نور العقل مع نور الشرع فهما نعم نور على نور، ولذلك نهى الله عن الغلو والإفراط عند الدين عدو في العقل حتى «صادموا به قواطع الشرع» – كما فعل أهل التنوير الوضعي الغربي الذين رأى الغربي أن «واقعهم يؤكد أن هي حسب الضمائر»، وعدو التفريط عند الدين وقفوا عند ظواهر النصوص بضعف الفهم وقلة بصائرهم، أما الوسطية الإسلامية فجمعت بين العقل والشرع فهي المغايرة عن امتياز الإسلام، وعبقرية التجربة الإسلامية

وانطلاقًا من هذا المنهج الإسلامي في تحرير العقل وبناء العقلانية المؤمنة يرفض ويتخلص رفاعة الطهطاوي وهو أول من نشر الإسلامي على الثقافة الأوربية الوضعية الغربية يرفض ويعارض بشدة الفلسفة الوضعية الغربية التي تقول عنها أن فيها حسنات ولكنها ضد كل الكتب السماوية إنها فلسفة شريرة مدمرة وليست بصرانية وهي تقف عند العقل والنواميس الطبيعية في معايير البصر والتحسين والتقبيح لأشياء بينما الإسلام يضم إلى العقل والقوانين الكونية معايير الشرع والوحي والدين في التحسين والتقبيح

انطلاقًا من المنهاج الإسلامي في المعرفة وفي العقلانية المؤمنة، رفض الطهطاوي الفلسفة الوضعية الأوربية عند المحطات الأولى للاحتكاك الثقافي مع هذه الفلسفة – فقال «إنه لا عبرة بالعقول القاصرة، الذين حكموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التي ركنوا إليها تحسينا وتقبيحًا فقالوا إن كل عمل

[illegible] فيه بعقل صواب وظنوا أنهم قادرون بالمقصود بتعدي الحدود فينبغي تعليم النفوس [illegible] بطرق الشرع لا بطرق العقل المجردة، لا عبرة بالتحسين والتقبيح بالعقول والنواميس الطبيعية وحدها وإنما لا بد من الشرع معها.

هكذا عرف الإسلام - وثقافته وفلسفته - العقلانية المؤمنة التي جمعت بين العقل والشرع، فلم تقف عند «العقل» وحده - مثل الوضعية المادية الغربية ولا عند «الوجدان والقلب» وحده - كما صنعت الباطنية - في التصوف الفلسفي وفلسفة الإشراق.

٢٧

تكامل دوائر الانتماء: الوطنى.. والقومى.. والاسلامى

على عكس الثقافات التى اقامت التناقض [illegible] «القومية» و«الحضارية»؛ لانها اعتمدت [illegible] مصر [illegible] والوطن [illegible] على عكس [illegible] الثقافات التى [illegible] النموذج الثقافى الاسلامى [illegible] لدوائر كدرجات مرتبطة ومتكاملة فى سلم الانتماء [illegible] فرعية ليس بينها وبين الانتماء الاكبر تناقض او تضاد.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ان الاسلام [illegible] [حجرات ٢٤] [illegible]

فالنبي ﷺ في الرسالة والإسلام أولى بالمؤمنين من بعض ولاء فرعي آخر، وفي ذات الآية مبال لولاء فرعي بين أولي الأرحام ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ [الأحزاب ٦] – ولا تعارض بين الولاءين، فعدم قيام الولاء الفرعي لأمة في الأول لجميع وأتباعه بخصائص الذي توحد الله عصر بينهما ولذلك، تحورت وتبدلت وتفاعلت في إطار الحضارة الإسلامي

- ووحدة دار الإسلام، ومعها وفي إطارها تعايش الأوطان والأقاليم والولايات وتفاعلها وتناغمها وتناصرها
- ووحدة الخصائص التي حددت العقيدة الإسلامية والأمة وتربيتها وفي ظروف متنوعة للبيئة ومن ثم التوطنات وتأثيرات الجغرافيا والتفاعل مع الأعراق
- ووحدة الأمة الإسلامية، ومعها وفي إطارها تعايش وتسامح وتعاون وتحالف والوان كل ذلك دون تعارض أو تناقض أو تصادم يميز الانتماء الإسلامي الأكبر والأولى على ما سواه وحيثما من دوائر فرعية للولاء والانتماء

فالرسول ﷺ وهو الذي حمل رسالة معالم الانتماء للإسلام وتولاه حتى كان مرتبطا عقيدة به، ومحببا بحبه هو الذي غير حرمة وولاية بمكة ووطن لنشأته ووعاء لذكرياته حتى وهي على أشرف البقاع في عواطفه قد اخراجه منها فقال ﷺ مخاطبا إياها في لحظات الهجرة منها «وإنك لي علم أنك أحب بلاد الله إلى الله ولولا أن المشركين أخرجوني منك ما خرجت» وقد كرر هذه العبارة في المدينة معلنا أنها محببة حبه لوطن المولد والنشأة ووعاء الذكريات!

وهكذا تحورت وتراكمت وتسامت وتفاعلت في التصور الإسلامي والتجربة الإسلامية دوائر الانتماء بالأهل والوطن والقوم ولكنها لم تتعارض مع الأمة الإسلامية عندما تجلى الانتماء الإسلامي في عصور الحضارة وفي حساسيات المجتمعات التي سادت في الدول المؤسسة بالحضارة الإسلامية

وهكذا اجتمع الإسلام في حضارته الإسلامية بين وحدة دار الإسلام وتعايش الأوطان فيها، وتحورت فيه الهوية اللاعنصرية والأمة بخصائصها الأمة الحضارية التي تستوعب الهوية والقومية وانتماء جميع الإسلام وتصنع والف بين كل دوائر الانتماء الإنساني لتستدرك فيها الأخرى وتتعايش دون تناقض أو تصادم

٢٨ فلسفة السياسة بين الغرب والإسلام

على حين جعلت الفلسفة السياسية الغربية [illegible] وخاصة بعد سيادة [illegible] جعلت القوة معيارا للسياسة ففصلتها [illegible] عن «القيم». وجدنا الفلسفة السياسية في الإسلام تجعل «الاقتراب من الصلاح والابتعاد عن الفساد» معيار السياسة الشرعية فتجعل [illegible] معيار للسياسة رابطة القوة السياسية بالتسامي الوجودي الإلهي [illegible] في معيشة الخلق في سياسة الإسلام.

فالإسلام يضع [illegible] هدف السياسة بدلا من «القوة» التي هي هدف السياسة في المذاهب الغربية. ومن هنا تسعى في الفقه الإسلامي مساحة [illegible] الرامي إلى [illegible] واستغلال السلطة السياسية والاقتصادية [illegible] من الموقف القرآني الذي أدان فرعون [illegible] استخدام السلطة [illegible] وأدان قارون [illegible] استخدام السلطة الاقتصادية [illegible] التي أحسنت التعامل مع السلطة السياسية [illegible] وأثنى على الأنصار [illegible] على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

هكذا تتميز الفلسفة السياسية الإسلامية عن نظيرتها في الفكر الغربي.

وفي الميدان الاقتصادي تقوم العقلية الغربية على أساس [illegible] يجب أن يستهلك، الأمر الذي أثمر ثقافة استهلاكية [illegible] القضاء على التعددية في نمط العيش وفي الثقافة وفي [illegible] تقوم العقلية الاقتصادية الإسلامية على أساس مبدأ أن كل ما يحتاج إليه الإنسان [illegible] إنتاجه» [illegible] من الاقتصاد المعياري لا الاقتصاد الوضعي [illegible] في معنى واحد [illegible] في سبعة أمعاء [illegible] رسول الله [illegible].

وعلى حين تقوم مفهوم «المواطنة» في النموذج السياسي الغربي على معيار الأصل العرقي [illegible] تأسست عليه القوميات [illegible] تقوم مفهوم المواطنة

في تصور الإسلامي على نهوة لاختلاف سياسة بني هي امة الأمم
بوحدة مسئولة لأنس وحدة عقدة بخلاف عن عقدة بوحد و لأمة
لإسلامية بناء على هذا شعار مجتمع مفتوح قائم على سيادة القيم المسئولة
بني هي أس تحديد نهوة وعيب للعلاقة لاختلاف سياسة بصوره
بتطرفه صفه او حسب و بوعه

فوحدة الأمة في منهج الإسلامي تقوم على الاتحاد بوحدة بي
سوى بأمة سياسية وبقائي واحد بوجود والمتمثل في مسئولية القيم
وأكثر من اعتمادها على العوامل النعوية فالأمة في تتميز من غيرها بعوية
وقومية وياكثر من عتمادها على العوامل الجغرافية فقد تتكون الأمة من
قليم ولأمم متعددة وبأكثر من اعتمادها على العوامل الثقافية – فقد
تتعدد في الأمة الواحدة واتقاليد والأعراف وبأكثر من اعتمادها على لعوامل
بعوله هذه تتمثل وحدة الأمة في مفهوم الإسلامي – مرتبطة ارتباطا
مباشرا بمفهوم هذه الأمة بالأوهية وبتصور الإسلامي لكون والعالم، ذلك
الذي ينبع من عقدة بتوحيد

ومن هذا نرى أن فلسفة السياسة الإسلامية على تصويب نظرية وحدة الأمة
بمنظور كل من الفيلسوفين وكلا من المفكرين لعالم و لكون والوجود
حيث تنبثق الرؤية الإسلامية من التوحيد وتنبثق عن الخلق بوجود و
بسخلاف لدولة بالأساس التي لا تأسس على تصور الله وعلاقته بالكون
كما نرى بها يوحي المنهج في شريعة الإسلامية حيث تعتمد
الرؤية نظرية على تعارف المسلمات الوجودية وليس بوجود و تأثر
خلال تطورات الاتحاد والتجزئ الذي قضت بتوحيد
والشريعة الإسلامية الذي جعل الرؤية العربية «على الرغم من الأسس
الكبرى فيها مكتفية بذاتها عن تأثير بمصدر الإلهي الذي يقف فيها يقف
على مبحث القيم العقلاني وتضفي الإطلاق على سلطان عقل الإنساني
بحيث يصفي بنفسه ولذاته حتى على الدين بعد تشرع الرؤية الوحدة
الإسلامية بعد على منظومة بقيم بتعلقة لأنها تابعة في ثباتها بمصدر
الديني، وتعلى في ذات وقت من سلطان العقل الإنساني، بوصفه التي تحل
مدركاته في إصدار لنسبي، لأنه ملكه من ملكات الإنسان خلقه بخالق
الكون والإنسان، الواحد الأحد، سبحانه وتعالى

٢٩ السياسة والدولة من الفروع

إخواننا الشيعة هم وحدهم الذين جعلوا نظام الحكم والإمامة والخلافة والدولة والسلطة من العقائد والأصول، بينما اتفقت كل تيارات الفكر السني بين كل من عدا الشيعة، حتى الخوارج والمعتزلة على أن الحكم والدولة والسلطة والسياسة من الفقهيات والفروع، وليست من العقائد والأصول. وفي ذلك يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي [٤٥٠ – ٥٠٥هـ = ١٠٥٨ – ١١١١م] إن نظرية الإمامة ليست من المهمات وليست من فن المعقولات فيها بل من الفقهيات والنظريات قسمان: قسم يتعلق بأصول القواعد وقسم يتعلق بالفروع وأصول الإيمان ثلاثة: الإيمان بالله، وبرسله، وباليوم الآخر وما عداها فروع والخطأ في أصل الإمامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها لا يوجب شيء منه التكفير.

فالحكم بمعنى الدولة والسلطة والخلافة والإمامة من الفروع والفقهيات والفقه هو علم الفروع وليس من العقائد والأصول، ولذلك فالخطأ والاختلاف فيه «لا يوجب شيء منه التكفير» – كما يقول الغزالي – بينما الشيعة الذين جعلوه من العقائد والأصول قد كفروا مخالفيهم في الإمامة، ذلك أن معايير الاختلاف في العقائد والأصول هي «الكفر والإيمان»، بينما معايير الاختلاف في الفقهيات والفروع هي «الخطأ والصواب». وإلى هذه الحقيقة أشار ابن خلدون [٧٣٢ – ٨٠٨هـ = ١٣٣٢ – ١٤٠٦م] فقال: «وشبهة الشيعة الإمامية في ذلك إنما هي كون الإمامة من أركان الدين، وليس كذلك إنما هي من المصالح العامة المفوضة إلى نظر الحق».

وعلى هذا الرأي قام إجماع علماء السنة وأئمتها، فقال إمام الحرمين «الجويني» [٤١٩ – ٤٧٨هـ = ١٠٢٨ – ١٠٨٥م]: «إن الكلام في الإمامة ليس من أصول الاعتقاد». وقال «الشهرستاني» [٤٧٩ – ٥٤٨هـ = ١٠١٦

١١٥٣م]: «إن الإمامة ليست من صون الاعتقاد» وهو نفس الرأي الذي أكده كل من «عضد الدين الإيجي» [٧٥٦ هـ = ١٣٥٥م] و«الشريف الجرجاني» [٧٤٠ - ٨١٦ هـ = ١٣٤٠ - ١٤١٣م] عندما قالا في (شرح المواقف): «الإمامة ليست من أصول الديانات والعقائد، بل هي من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين».

هذا هو جماع أهل السنة على أن الحكم والإمامة والخلافة والسلطة والدولة من المذهبيات والفروع، وليست من العقائد والأصول، بل إن الأستاذ البنا عندما ذكر أن علماءنا قد وضعوا هذا المبحث في «كتب العقيدة» وفقه هو عدم الفروع لابد أن يشير قوله إلى تناقض ذلك مع القول بأن هذا المبحث هو من مباحث «العقائد والأصول».

ولا يحسن أن نصنف الحكم والدولة في الفروع الإسلامية نظرا إلى أهميتها أو لفتح الباب لعلمانية تفصل الدين عن السياسة وتعزل الإسلام وعقيدته عن نظم الحكم، بل وكل نظم تعمرا لابد وأن تكون من الفروع حتى يكون فيها مجال للاجتهاد والتطور الذي يواكب المستجدات والمصالح المتغيرة عبر الزمان والمكان فـ«النظم» مدنية تجتهد الفقه الإسلامي في اكتسابها وتصويرها وهي «إسلامية» في وقت الوقت لأنها محكومة بتحقيق مقاصد الشريعة ومبادئ الدين في الشورى والعدل بين الناس فالشورى من عقائد الإسلام وثوابت مبادئ الشريعة ونظمها من فقه الفروع المتطور غير الزمان والمكان، وكذلك العدل بين الناس في مختلف المعاملات فهو إسلامي دائما بينما «النظام» المحقق لهذا المبدأ مدني متصور ولذلك فهي في الفروع متطورة بالاجتهاد، وليس في ثوابت العقائد والأصول.

ثم إن الحكم الإسلامي - مع أنه من الفروع والمذهبيات - هو فريضة إسلامية لأنه من العقائد ومن لازم الشرط الضروري لإقامة عقائد الدين وفرائضه وتوابت شريعته لأنه وما لا يقوم الواجب الديني إلا به فهو واجب دينًا، حتى لو لم يكن من ثوابت الأصول وأمهات الاعتقاد.

هذا مبحث دقيق لكنه واضح كل الوضوح ومحسوم كل الحسم في عموم الفكر السني ولم يعد قريبا من بعض مذاهب الشيعة في مراتب الفقهي وحدا لو اهتم الفكر الإسلامي المعاصر بمراجعة كثير من التصورات الشائعة في الساحة الإسلامية حول هذا الموضوع.

٣٠ الإسلام والسياسة (١)

هاتان الكلمتان «الإسلام والسياسة» تحملان علامات استفهام عن علاقة «الإسلام» بـ«السياسة».

وهذا الاستفهام والتساؤل شائع في الفكر الحديث والمعاصر، بل ومنذ ما قبل العصر الحديث.

لكن تحديد حقيقة علاقة الإسلام بالسياسة يقتضي أولاً التعريف بمصطلحات هذا العنوان.

- **فالإسلام**: هو الطاعة الواعية - أي المؤسسة على المعرفة - من الإنسان المخلوق للإله الخالق الواحد، وذلك بعبادته - سبحانه - على النحو الذي أوحى به في شريعته السماوية إلى رسوله محمد بن عبد الله - عليه وعلى سائر الأنبياء والرسل الصلاة والسلام - فهو إيمان وتصديق قلبي يبلغ درجة اليقين بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة لله تفصح عن هذا الإيمان وتضعه في الممارسة والتطبيق.
- **أما السياسة**: فهي التدابير المدنية التي تدبر بها الإنسان حياته الدنيوية سواء كانت سياسة فردية يدبر بها الفرد عامة الخاص أم سياسة منزلية يدبر بها الأسرة حياتها الأسرية، أم سياسة اجتماعية تدبر بها الأمة والدولة شئون العمران الاجتماعي في الاقتصاد والاجتماع والتعليم والحكم والإدارة إلخ، أم كانت سياسة دولية تدبر بها الدول والأمم والحضارات بالقانون الدولي والمنظمات الدولية والإقليمية العلاقات الدولية التي تحافظ على سلام العالم، وأمنه، ورخائه، وصحة بيئته، وفض المنازعات التي تنشب بين الدول والحكومات.

★ ★ ★

وبذلك يتضح الفرق بين الإسلام وبين ما يسمى بالدين والاستفهام عن علاقة الناس بالذي هو وحي إلهي، وتنزيل سماوي، وتشريع رباني بالسياسة التي هي تدابير مدنية بشرية لا علاقة لها بالدين، فضلا عن أن تتميز في الإسلام عنه في الفكر والنسك والشعائر وشرائعه وأنظمته عن دين الإسلام

■ ففي الفلسفة اليونانية مثلا يخصه في تصور الناس [٣٨٤ ٣٢٢ ق م] بعلاقة الإنسان بالإله، فالعالم كما هو في تصور أرسطو مجرد عن الإله، والعالم وقف بتدبيره وتسييره على العقل الأول، وهو الإله الذي تصوره أرسطو أنه محرك لا يتحرك، وهو الإله الذي يعقل ذاته، ولا يعقل شيئا غيرها، فالعالم مكتف بذاته، ولا يحتاج البشري مكتف بذاته، فالإنسان لا يحتاج في علاقته بالإله في تدبير وسياسة شؤون الإنسان كفرد وكجماعة صغيرة وكبيرة، وأوضح فيها سبب تدبرها وسياستها، فلا يرد شيء في التصور الأرسطي في علاقة الإنسان بالإله في تصور الأرسطي

■ وفي الوثنية الجاهلية، عند العرب قبل الإسلام، كان تصورهم لعلاقة الإله بالمخلوقات قريب من هذا التصور الأرسطي

فالوثنيون كانوا يؤمنون بالله خالقا للكون والعالم، لكنهم كانوا يعتقدون أن الله بعد خلق العالم، وذلك عندما جعلوا تدبير شؤونهم لآلهتهم التي يسمونها الأصنام التي يعترفون شركاء لله في سياسته والتدبير فيه، فجعلوا للأصنام سياسته وتدبيره

والقرآن الكريم يستفهم عنده يتحدث عن معتقداتهم في الله خالقا، وفي تسخيره من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ [العنكبوت ٦١]

لكنه يعيب عليهم شركهم بالله عندما جعلوا سياسته الكون والإنسان للأصنام والأولياء التي كانوا يتحنثون إليها ويستشيرونها في تدبير شؤون الحياة، كالزواج والحرب والسلم والبيع والشراء والخلافة والزراعة والطلاق والحج والكره إلخ إلخ ﴿قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ [الزمر ٣٨] ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله

[illegible] لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ [الأنعام: ١٣٦].

[illegible] السماء عن الأرض عندما [illegible] العالم، ثم وقفوا بفعله عند الخلق [illegible] تدبير الحياة الدنيا للأصنام [illegible]

■ وفي النصرانية [illegible] بالأ [illegible] النصرانية [illegible] الوثنية [illegible] للقيم والأخلاق وشارعًا للعبادات [illegible] السياسة في [illegible] سلطة [illegible] الأرض [illegible] علاقة الفرد المخلوق [illegible] وترك [illegible] لقيصر [illegible] إلى تحت قيصر وما به لله.

[illegible] اللاهوت النصراني والكنيسة [illegible] العصور الوسطى [illegible] النصراني [illegible] من الكنيسة برسالتها - التي هي روحية [illegible] الذي هو مملكة [illegible] التي هي خلاص الروح - [illegible] ذلك عندما [illegible] سلطة قيصر - التي دعا الإنجيل إلى تحريرها وفصلها عن [illegible]

٣١ الإسلام والسياسة (٢)

■ **ولقد جاء التصور العلماني** [illegible] النهضة الأوربية الحديثة [illegible] على تحاورات الكنيسة الكاثوليكية [illegible] العلمانية إلى حدود [illegible] خلاص [illegible] بالمعنى الفردي [illegible] وفصلت وعزلت عنه [illegible] الدولة والسياسة وتدبير المجتمع وإدارة العمران منطلقة في ذلك الفصل من التصور الأرسطي لنطاق عمل الذات الإلهية – مجرد الخلق [illegible] التدبير والسياسة للدولة والعمران – فأصبحت السياسة في التصورات العلمانية شأناً دنيوياً خالصاً لا علاقة لها بالدين [illegible] – بالعقل والتجربة وحدهما – غير محكوم بشريعة سماوية [illegible] في فلسفة الأنوار الوضعية [illegible] منها العلمانية كما هو في التصور الأرسطي [illegible] مكتفية [illegible] – إلى شريعة سماوية تدبر شئونه [illegible] الإنسان [illegible] ومن ثم الدولة والمجتمع مكتفية [illegible] بالعقل الإنساني [illegible] دون حاجة إلى [illegible] في هذه السياسة [illegible] التدبير [illegible] العلمانية أحياناً بمصطلح «الدنيوية» [illegible] مرجعية الدنيا لا الدين [illegible] بمصطلح «الإنسانية» [illegible] اكتفاء الإنسان في سياسة دنياه [illegible] بعقله وتجربته عن شريعة السماء.

فالعلمانية قد فكت الارتباط وفصمت العرى بين السماء والأرض وحررت السياسة المدنية من القيم الدينية [illegible] تعايش الكنائس [illegible] العلمانية مع «السياسة [illegible]» التي جعلت الغايات مبررة للوسائل [illegible] عن خط هذه الوسائل من أخلاقيات الدين وقيمه ومثله [illegible] «الغدر» [illegible] المقصد الذي [illegible] سياسة [illegible] دولة من الدول.

■ ام في الإسلام ، فـ ن العلاقة بينه وهو دين إلهي وبين لسياسه كتدبير لشؤونه والدنيا والاجتماع والعمران - هي علاقة متميزة عن كل هذه التصورات التي رآها في أنساق الفكرية والفلسفية و لدينية غير الاسلاميه

فهناك علاقة بين «الإسلام» وبين «السياسة»، لكنها علاقه وسط بين لانفصال و لاندماج والاتصال وبين التعسير و تقطيعة والافتراق

■ فالتصور الإسلامي لنطاق عمل الدات الإلهيه لا يقف فقط عند حدود عمر لحلو و ن له انحصار برعاية و لتدبير بكل عوالم المخلوقة به، وعلى لاجتماع لبشري و عمرا لانساني وفي هذا قال لكريم حاكيا عن هذا التصور لاسلامي ﴿ لا له لخلق و لأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [لاعراف ٥٤]، فهو سبحانه له لامر والتدبير مع تحلي وله سبحانه بهداية والتسديد و برعاية و لإرشاد مع الخلق انطلاقا من قوله تعالى ﴿ قال فمن ربكما يا موسى ؟ قال ربنا لذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ [طه ٤٩ - ٥٠]

■ وبالتالي في تصور لاسلامي حرية و رادة وقدرة واستطاعة وسعة وفعل في سياسة حياته وتنظيم مجتمعه وتدبير عمرانه وبنائه ، لكنها حرية و رادة وقدرة وسلطة خاضعة لله لحكومة حرمته بعقد وعهد لاستخلاف الذي هو لسياسة لإلهية ﴿ إني جاعل في لأرض خليفة ﴾ [بقرة ٣٠] ﴿ وما كان لكم أن تحكموا شجرتها ﴾ [نحل ٦٠]

فلشريعة لإلهية تحد من سياسة لا تلغي حرية لانسان وسلطته وسلطانه في تدبير لمجتمع وسياسته ، لكنه يضبط هذه لحرية و لسلطان بحدود الحلال و لحرام الذي السياسة عن تجاوزه حراء وخارجه حكما عن روحها ومقاصدها وفلسفتها في التشريع

فلا الشريعة تلغي سلطة الإنسان وحريته في لسياسة و تدبير لعمران لدنيوي ولا هذه سلطة لانسان والحرية البشرية في سياسة الدولة و تدبير مجتمعه متحررة تماما من اطار الشريعة لإلهية وحدوده وأحكامه ، لأن الإنسان لانه خليفة لله هو سيد في هذا لكون، محكومة سلطته وسلطانه بشريعة عقد وعهد لاستخلاف لإلهي له فهو حر في سياسة مجتمع والدولة، حريته لا تخرج به عن إطار حدود توكيل واستخلافه بخليفة الله سيد في الكون، لأن الكون كله عند الله وحده، وسيد لكل شيء بعده.. والله - سبحانه - قد سخر له كل قوى

للمتغيرات والمستحدثات المتطورة دائما وقد تتطور وتغير الزمان والمكان والمصادر والأعراف والعادات والكتب [illegible] لا تعتبر ولا تخالف ولا تصادم ما جاء به الوحي الإلهي والبلاغ الرباني والسنة النبوية الصحيحة التي هي [illegible] سبق البلاغ العربي

فكل التدابير التي تحقق مصالح الشرعية المعتبرة هي سياسة شرعية يدعمها الاجتهاد الإسلامي يتحقق بها مصالح الفرد والأسرة والأمة والدول والمجتمع الإنساني والعلاقات الدولية وهي إسلامية بقدر ما تحقق المصلحة والعدالة للناس وبقدر ما تنضبط بقيم الدين الإسلامي ومقاصد الشريعة الإسلامية بها تعتبر السياسة جزءا من الشريعة ورغم أنها إبداع إنساني بشرقيها

٣٢ الاسلام والسياسة (٣)

وبهذه العلاقة بين الإسلام وبين السياسة تميزت السياسة الشرعية – بتميز الاسلام كدين – عندما لم تقف مقاصدها – كما هو الحال في السياسة المنفصلة عن الدين – عند صدر الصلاح والنفع الدنيوي للحياة الدنيا وحدها، وإنما كانت مقاصد هذه السياسة الاسلامية تحقيق مصالح وسعادة الانسان في الدنيا والآخرة معا.

فالسياسة التي لا علاقة لها بالدين قد تحقق من الغنى والوفرة والقوة والغلبة ما يحقق للإنسان والمجتمعات الرفاهية والترف والحدود القصوى في المدن والمعمورة، تحقق فاروقية المال وفرعونية القوة، وهذا يكون صلاحها دنيويا صرفا يؤدي إلى ندامة وخسران في الحياة الأخروية يوم الدين بل وإلى ندامة وخسران في العواقب الدنيوية بعيدة المدى.

أما السياسة المحكومة بتدبيرها بالمقاصد الشرعية، فهي التي تستهدف سعادة الانسان وصلاحه في الدنيا، باعتبار هذه الدنيا مزرعة الآخرة والمقاصد المفضية إليها، ولهذه الخصيصة، جاء في تعريف السياسة بالموسوعات والمصادر الاسلامية بها:

«استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل وتدبير المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة» [الكليات – لأبي البقاء الكفوي – طبعة دمشق سنة ١٩٨٢م]

وأنها «ما كان من الأفعال بحيث يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد» [أعلام الموقعين لابن القيم – جـ٤ ص ٣٧٢ – طبعة مرويا سنة ١٩٧٢م]

وأنها «السياسة المدنية الدافعة في الحدة الدنيا وهي الأخرة فهي تدبير للاجتماع الإنساني على منهاج الدين» (المقدمة لابن خلدون ص ١٥٠ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ)

فهي سياسة تدبر الدنيا وفق مقاصد الدين لتكون سياسة كل عبد سبيلا لرضاء الله سبحانه وتعالى - وسعادة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة

وإذا كان السياسي في نظرية «الكهنة المكيافيلية» قد رفع فيها «تدبير الناس عن عبادة الله فيها فهي مقيسة بحكم يستفوض لأمير وبالحق الإلهي و... فيها ... هي عن سلطة فقيه هذه النظرية ... باسم عدالة حكم يدعيه المعصومون بزعمهم «والأطروحة الدينية تضع التدبير في سياسة الناس عبادة لله وتجعل الأمر والنهي والعدل والظلم مرتبطا بالأمر والنهي في الشريعة فما وافقت هذه الشريعة عدته الله ... وما خالفها ... وظلما وسخطه

في نظرية «السياسة الشرعية» التي هي تلخيص لتكامل نظرية الكهنة في عالم الشريعة وتقنين ... عن مقدماتها فقيه الأمة ... والدولة هو الذي يدبر ويسوس الأمة في معاشها ومعادها

في الصنعة «الإسلامية للسياسة» في نظرية الإسلامية في الفقه السياسي الشريعة الإلهية وخلافة الأمة لله في ... الشريعة ومن هنا استمدت ... في حدود الشريعة ... وتقيد الدولة عن الأمة شرعية ... بإطار الشريعة وحدودها وتنتهي بتحقيق مقاصدها الأمة من قيام ... السياسة

فهي - الصنعة الإسلامية الوحيدة التي جمعت بين السياسة والأمة والدولة في السياسة الشرعية للدولة الإسلامية

★ ★ ★

تلك هي علاقة «السياسة» بـ«الإسلام» وهذا هو موقف الإسلام من «السياسة» وهو موقف متميز عن موقف الأنساق الفكرية الأخرى في هذا الموضوع

وعلى مر تاريخ الإسلام كان هناك وعي نظري في الفكر السياسي الإسلامي - لطبيعة وحقيقة هذه العلاقة بين «الإسلام» وبين «السياسة». وقد عرض الإمام ابن القيم [٦٩١ هـ ٧٥١ هـ - ١٢٩٢ - ١٣٥٠م] لهذه العلاقة عندما تحدث عن «الطرق التي يعرف بها الفقيه» أو «الوقائع التي عقد

[٤٣١ - ٥١٣ هـ / ١٠٤٠ - ١١١٩م] وبين بعض فقهاء [illegible] الفقيه الشافعي

لا [illegible] وهو الشرع

[illegible] ابن عقيل [illegible] الشرع [illegible]

[illegible] به الشرع فعله وتعبد [illegible] والخلف [illegible]

[illegible] على المصلحة [illegible] سياسة [illegible]

الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد [illegible]

ولا نزل به وحي

[illegible]

[illegible] كتبه ليقوم الناس

[illegible] وهو [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الطرق التي هي [illegible]

[illegible]

[illegible]

والظلم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] بالشريعة [illegible]

[illegible]

[illegible] من [illegible] سياسة [illegible]

[illegible] الشرع [illegible] الحكم [illegible]

[illegible] الشريعة [illegible]

[illegible] صحيح [illegible] الشريعة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

١ [illegible]

٢ [illegible]

٣٣ الإسلام والسياسة (٤)

وعندما جاء فقيه المالكية وقاضي قضاتها وفيلسوف العمران عبدالرحمن بن خلدون [٧٣٢ - ٨٠٨هـ = ١٣٣٢ - ١٤٠٦م] فتحدث عن أنواع السياسات، التي تمايز بين أنواع الملك، نبه على تميز السياسة الإسلامية، بتميز علاقتها بالدين فقال:

وحقيقة الملك أنه الاجتماع الضروري للبشر، ويجب أن يرجع في ذلك إلى قوانين سياسية مفروضة تسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها، وإذا خلت الدولة عن مثل هذه السياسة لم يستتب أمرها ولا يتم استيلاؤها، سنة الله في الذين خلوا من قبل.

فإذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء وأكابر الدولة ونصرائها كانت سياسة عقلية.

وإذا كانت مفروضة من الله بالشارع يقررها ويشرعها كانت سياسة دينية نافعة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ودينا إن الخلق ليس المقصود بهم إلا هذا فقط فإنها كلها عبث وباطل إذا عاينها الموت والفناء، والله يقول: ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا﴾ [المؤمنون: ١١٥] والمقصود بهم إنما هو دينهم المفضي بهم إلى السعادة في آخرتهم ﴿صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾ [الشورى: ٥٣].

فجاءت الشرائع بحملهم على ذلك في جميع أحوالهم من عبادة ومعاملة حتى في الملك الذي هو طبيعي للاجتماع الإنساني فأجرته على منهج الدين ليكون الكل محوطا بنظر الشارع، فما كان منه بمقتضى القهر والتغلب وهمان إلى إطلاق القوة الغضبية في مرعاها فجور وعدوان، ومذموم عندي كما هو مقتضى الحكمة السياسية، وما كان منه بمقتضى السياسة وأحكامها، فمذموم أيضا لأنه نظر بغير نور الله ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ [النور: ٤٠].

لأن الشارع أعلم بمصالح العباد فقد هو معهم عليهم من أمور دينهم ودنياهم، وعلى البشر كلهم عبوديته عليهم في معاشهم ومعادهم، وهي غايته التي خلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦].

والحكم السياسة إنما تطلع على مصالح الدنيا فقط، وهي جزء من أجزاء الدين [الروم ٧]، ومقصود الشارع بالناس صلاح قلوبهم فوق تقاضي السياسة حيث تكفه على الأحكام الشرعية في حقوقهم وحدودهم، كما هي الحكم لأهل الشريعة وهم الأنبياء وورثتهم من العلماء والحكماء.

فقد تبين من كل ما تقدم الجواب عن الأسئلة:

١ فالسياسة الصحيحة هي التي تكفه على مقتضى الشرع والسنة.

٢ والسياسة التي هي التي تكفه على مقتضى الشرع تقضي في بعض المصالح بالندب أو رفع الحرج.

٣ والسياسة التي هي تكفه على مقتضى الشرع تقضي في بعض الجرائم والعقوبات بما يخالف ما ذكره أئمة المذاهب، بل ترجع كلها إلى الأدلة الشرعية، فهي في حقيقتها أدلة شرعية، كما يشرع في الجناية بين المسلمين السياسة الشرعية [الطرق الحكمية ص ١٦٠ - ١٦١ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ].

فالسياسة كالملك وتدبيره مصلحة عامة في كل شيء، فالعقوبات والحدود لا تختلف في وضعها ولا في مقاديرها لكن المقصود في هذه المصطلحات بالسياسة العدل والسياسة والشرائع.

والسياسة بشرعية هي التي تعد من أمور الدين بخلاف السياسة الجائرة، ونسبتها خليفة عن الله، بتعبيده بالسياسة بعضهم إلى بعض، فهي عبادة وحده وبتعبد كل منهم بسياسة شرعية، بخلاف السياسة التي تكون مرجعيتها عند عقلاء الرجال وكبرائهم فإنها تتغير باختلاف الأحوال والمصالح بحسب ما يظهر من بعض الناس، فهي جائرة، فهي لا شرعية.

■ فلما جاء رفاعة الطهطاوي [١٢١٦ - ١٢٩٠هـ = ١٨٠١ - ١٨٧٣م] ووجه بسل بمفهوم المصلحي الغربي للسياسة بجوار الشرع الإسلامي، رفع عن

٣٤ الإسلام والسياسة (٥)

■ فيما جاء جمال الدين الأفغاني (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ / ١٨٣٨ - ١٨٩٧م) دافع عن السياسة الشرعية وعن منهاج الإصلاح بالإسلام، وكذلك

إن الدين هو قوام الأمم وبه فلاحها وفيه سعادتها وعليه مدارها، فهو السبب المقرر لسعادة الإنسان، ولا إسلام كان النهوض الأول لهذه الأمة، إنه دين قويم الأصول، محكم القواعد شامل لأنواع الحكم، باعث على الألفة، داع إلى المحبة، مربٍّ للنفوس، مطهر للقلوب من أدران الخسائس، منور للعقول بإشراق الحق من مطالع قضاياه، كافل لكل ما يحتاج إليه الإنسان من مباني الاجتماع البشرية، وحافظ وجودها، ويتأدى بمعتقديه إلى جميع فروع السياسة.

وإذا كانت هذه هي شرعة هذه الأمة، وبها وردت، وعنها صدرت، فما تراه من عارض جنبها وهبوطها عن مكانتها إنما يكون من طرح تلك الأصول وبذها ظهريا، فعلاجها الراجع إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها، والأخذ بحكمه على ما كان في بدايته، ولا سيما الدرس والقنوط فإن الأصول [illegible] في النفوس، والقلوب مطمئنة [illegible] فلا يجد القائم بإحياء الأمة إلا إلى نفحة واحدة تسري نفسها في جميع الأرواح [illegible] وقت [illegible] وجعلوا أصول دينهم حجة تحسب عليهم [illegible] يبغون في سيرهم منتهى الكمال الإنساني.

ومن صب إصلاح أمة [illegible] ما ذكرت بوسيلة سوى هذه [illegible] شطط، وجعل النهاية بداية، وانعكست [illegible] وانعكس [illegible] فينعكس عليه [illegible] ولا تزيد الأمة إلا [illegible] ولا تكسبها إلا [illegible]

ومن [illegible] من قوى [illegible] الأصول [illegible] للأمم [illegible] وتلاف [illegible] وتقصير الشرف على [illegible] وتبعيد على [illegible]

وتوسيع دائرة المعارف، وينتهي سؤاله إلى أقصى غاية في الصعوبة في عصر من عصور الأمة.

وربما تدرك الأمة العربية وما كان عليه قبل الإسلام من الجهل حتى تعرف قيمة ما جاء به، وقواها، ونور عقلها، وقيم أخلاقها، وسر الحكمة فيما شرعت على العالم [الأعمال الكاملة للإمام الأستاذ الشيخ محمد عبده ص ١٩٧ - ١٩٩ طبعة دار الهلال بمصر سنة ١٩٦٨م].

■ فيلسوف الإصلاح الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] سار على درب الإصلاح بالإسلام، وبالسياسة الشرعية فكان يقول:

سبب الأمر بالإصلاح في المسلمين سبب الأمر بالإصلاح في سائر الأمم، وهو أن يكونوا على ما يجب أن يكونوا عليه في أنفسهم من الأخلاق التي أدبهم الله بها، وفي معاملاتهم مع غيرهم من الأمم، فإن الله تعالى لم يأمر بشيء إلا لحكمة، ولم ينه عن شيء إلا لحكمة، ولا يسوغ لأحد أن يجهل الحكمة في أمر الله ونهيه.

وإذا كان الدين كما لا يخفى الأخلاق والأعمال، وجب أن يكون على أحسن حالة من الكمال، ولا يجوز أن يتطرق إليه ما يشوهه في عقول أهله، أو يقصر في تأثيره في نفوسهم، أو يعطل شيئاً من أحكامه التي تعود بالخير عليهم.

إن الإسلام دين وشرع، قد وضع حدود، ورسم حقوق، ولا يكتفي الحكم من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود وتنفيذ الأحكام. والإسلام لم يدع ما يقصر ليصير، بل كان من سنته أن يحسر القصور عن نفسه، ويحث على بذل الوسع في كل عمل. فكان الإسلام دين الكمال للبشر، وأنفع ما يستعد به للعمل أن تدرب به الأمم التي تدخل فيه عن سواها ممن لم يدخل فيه. فكان لهذه العصرة والمدرسة الأولى التي يرقى فيها البشر على سنن الحكمة الأعلى [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده جـ ٣ ص ١٠٩، ٢٢١، ٢٢٥، ٢٢٦ طبعة دار الهلال سنة ١٩٧٢م].

وهكذا وعلى مر تاريخ الفكر الإسلامي كان العلماء واعين بتميز الإسلام كدين ورسالة، وبتمييز السياسة الإسلامية عن سائر ألوان السياسات الأخرى، فهي

سياسة شرعية تنبع وتبرز الدين الذي هو وضع إلهي ثابت، علاقة وثيقة هي علاقة الفروع المتطورة بالأصول الثابتة، فلا هي ثابتة ثبات الدين ولا هي مقدسة قداسة الدين، وإنما هي مدنية متطورة محكومة في حركتها ونموها بالمرجعية الدينية الثابتة - في الحدود والقواعد والقيم وفلسفة البشرية.

٣٥ الإسلام والسياسة (٦)

وكما [illegible] السياسة الإسلامية في الفكر والتفكير [illegible] دولتها الإسلامية [illegible] كذلك [illegible] عن دولة الكهانة الكنسية [illegible] فقهاء [illegible] زعم أن الفقيه في الإسلام هو «عالم دين» [illegible] الكنسي الكهنوتي [illegible] وإنما كانت الدولة الإسلامية [illegible] مرجعيتها الشريعة الإسلامية.

ولذلك، كل علماء أصول الدين [illegible] الإسلامية [illegible] الخلافة والإمامة [illegible] ليست من العقائد [illegible] وإنما هي دولة [illegible]

■ [illegible] [٤٧٩ - ٥٤٨هـ = ١٠٨٦ - ١١٥٣م] [illegible] ليست من أصول الاعتقاد [نهاية الأقدام في علم الكلام لألفريد جيوم [illegible] ص ٤٧٨]

■ ويقول عضد الدين الإيجي [٧٥٦هـ = ١٣٥٥م] والجرجاني [٧٤٠ - ٨١٦هـ = ١٣٤٠ - ١٤١٣م] [illegible] الإمامة ليست من أصول الدين [illegible] من الفروع المتعلقة بفعل المكلفين [illegible] في علم الكلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ٣ ص ٢٦١ طبعة القاهرة سنة ١٣١١هـ]

■ ويقول حجة الإسلام الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥هـ = ١٠٥٨ - ١١١١م] [illegible] الإمامة ليست من المهمات [illegible] [illegible] [illegible] ص ١٣٤]

■ ويقول إمام الحرمين الجويني [٤١٩ - ٤٧٨هـ = ١٠٢٨ - ١٠٨٥م] [illegible] الكلام في الإمامة ليس من أصول الاعتقاد [الإرشاد ص ٤١٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠م]

■ وتقي سنة الإسلام ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ = ١٢٦٣ - ١٣٢٨م] أن تكون لأحمد بن حنبل في الإسلام بعد أبي بكر ... لدعاة السنة. (من أركان الإسلام لمحمد سليم العوا ص ٧٠ - ١٢ - طبعة القاهرة سنة ١٩٧٢م)

■ وبعد أن حدون على سنة حقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو سنة الله في خلقه ... (من كتاب الحسبة لابن تيمية ص ١٦٨)

■ حتى ... الإسلام ... عن عبده ... يعتصم في تحقيق الأهداف ... الإسلام ... وسيرة ... تمسكه ... وحاجتي ... فيه ... سنة ... في ... سلطة ... وعدل ... وتقدم ... وفي سنة ... لكل ... وفي ... عن ... سنة ... في ... من ... فيه ... ما ... سنة ... الأمر ... سنة ... الإسلام ... سنة ... سنة ... سنة

٣٦ كيفما تكونوا يولّ عليكم!

ولقد كانت الخلافة الراشدة شورية يقول خليفتها الأول الصديق أبو بكر: «وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

ويقول خليفتها الثاني الفاروق عمر: «رحم الله امرءا أهدى إلي عيوبي فلا خير فيكم إذا لم تقولوها ولا خير فينا إذا لم نسمعها».

كانت هذه الخلافة على هذا النحو من الشورى وتأسست على البيعة والاختيار، الذين شاركت فيهما الأمة جماعة، لأنها كانت صورة تعكس «الجماعة التي تبايعها الإسلام وتولى تربيتها الرسول ﷺ وفق المنهاج الإسلامي في التربية والتعبير ذات المنهاج الذي يبدأ بإعادة صياغة النفس الإنسانية، حتى إذا ما تم تجاوز هذا التعبير النفسي العقلي والفكري والثقافي استطاعت هذه الجماعة أن تختار الدولة المعبرة عن صورتها لتقود الأمة والمجتمع في ملحمة تغيير الواقع وتطبيق الشريعة وبناء الحضارة وتغيير مجرى التاريخ.

لكن لماذا تبدل الحال فتراجعت الشورى في الدولة وحلت الخلافة الناقصة محل الراشدة، وسار «الملك العضوض» بدلا من الاختيار الحقيقي والبيعة الحرة الصادقة؟

إن التعبير السلبي الذي حدث في القاعدة الأمة هو الذي أثمر هذا التعبير السلبي في القمة الدولة، وذلك وفق قاعدة وما يولّ كيفما تكونوا يولّ عليكم، فالأمة التي منها الملك العضوض والخلافة الناقصة غير الشورية قد اختلفت عن الأمة التي أثمرت الخلافة الشورية الراشدة اختلافا كبيرا وكانت

لاستبداد التي صنعت هذا العصر في أمة وقاعدة وبنية عصبة بالحضارة الكبرى وبشرته التي واجهت الإسلام وبدولته وبموذجه في ذلك التاريخ

عاني جسد الشرق العربي الذي قدر له أن يعيش في ظل الإسلام ودولته عقب وفاة الرسول [illegible] كانت هذه الحضارة القوى العصبية الفاعلة في العرب وروحهم التي تستمد من محاضرها الحضرية العصبية كانت تقوض الأمة الإسلامية بكيانها الاجتماعية والحضارية عن المجتمع الإسلامي صروحه الحضارية الإسلامية وتستبدل عقيدة الإسلام وروحه بروح الاستبداد وتستنفد العرب القوى التي بعثها الإسلام وروحه كانت سرعة تقدمه الذي يصدمه وفيها هذا التوجس بكبرياء تلك التي حررت الشرق من هيمنة استعمار بكسروية وقيصرية الرومانية حتى لقد سجل التاريخ معجزة هذه الحضارة التي قدمها العرب للمسلمين في ثمانين عاما أوسع مما فتح الرومان وهم سادة العالم في تاريخ – في تمانية قرون.

لكن هذه السرعة في النضج التي تمت الحضارة بفجرها وبعبقرية صروحه سياسية بنية الحضارة عن تعهد وتوجيه بنموذج الإسلامي بكل هذه السرعة في النضج قد تمت وأنها سيئاً خطيراً، وذلك عندما ادخلت في إصرار الدول الإسلامية والمجتمع الإسلامي وضمن رعاية دولة [illegible] وقد وميلا وبحالا لم تتم صياغتها وهم تحت تصرفه وترتيبه بنية الإسلام فدخلت بها الحضارة في ناصر الجسد الإسلامي بناء عربية قد صنعت وصرحه وهويته وثقافته ومثله الإسلامية وبنائه هذه [illegible] في العرب على «الجماعة – الأمة» بحدث الأحداث في دهر الجسد الاجتماعي الإسلامي

وزاد من فعل وتأثير هذا الجسم العربي على نموذج الإسلامي في حد في احتشاد أن الإسلام قد قرر لهذه الأمم والشعوب وتنوعها وتعددها عند وذلك وفقا لسنن القرآني ﴿إلا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ [البقرة ٢٥٦] ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ [الكهف ٢٩] فتعددت الحضارة في لواء الإسلامي المؤسسات الدينية والفلسفية والعلمية والفنية العربية عن الموروث الإسلامية والبرعية ليبدو الجسم العربي الذي ارتحل في احتشاد الجسد الإسلامي» فبدا هذا الجسد الإسلامي، ونموذجه في «الدولة» يعاني من تأثيرات

هذا الجسم الغريب الذي تحتمه سرعة [illegible] في [illegible] الإسلامي [illegible] تم صد عنه وفق مناهج الإسلام في [illegible] و [illegible]

[illegible] الفرس المجوس في [illegible] [illegible] و [illegible] ثوار [illegible] و [illegible] في الثورة على [illegible] و [illegible] هذا الجسم الغريب في [illegible] الكبرى [illegible] الخلافة [illegible] و [illegible] خلافة [illegible] [illegible] الأمة [illegible] هي الأمة [illegible] صد عنها [illegible] الإسلام في [illegible] لم [illegible] هي [illegible] خلافة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإسلام

٣٧ المساجد والسياسة

ذكر في إحدى زياراتي للجزائر، للمشاركة في ندوة علمية، قبل أحداثها الدامية، أن عيناً مع بعض العلماء والمفكرين للمشاركة في مهرجان إسلامي، دعت إليه جبهة الإنقاذ في مدينة «سطيف» إحياء لذكرى شهدائها سنة ١٩٤٥م، فسافرت في صحبة الدكتور عباس مدني، إلى هناك، وكان يوماً مشهوداً، وشاهدت على الجماهيرية الكاسحة لعباس مدني والجبهة الإسلامية للإنقاذ.

وقبل ذهابنا إلى ساحة المهرجان - في ملعب الكرة - عرجنا على المسجد أكبر مساجد «سطيف» - للصلاة. وعقب الصلاة - التي أمها أمام المسجد - تقدم عباس مدني ليلقي كلمة في هذه المناسبة السياسية، فامتعض أمام المسجد، وزمجر معبراً عن اعتراضه على استخدام المسجد في السياسة الحزبية لكن عباس مدني راحه برفق، وألقى كلمته ثم انطلقنا إلى المهرجان.

وذكر كذلك أن بعض الصحفيين الغربيين قد سألوا عباس مدني عن ما أسموه «احتكار المساجد» لدعاية لجبهة الإنقاذ، الأمر الذي رأوه مجالاً لتكافؤ الفرص بين الجبهة والأحزاب الأخرى، فقال: لقد تركنا لهم الجانب.

إذن نحن أمام «مشكلة مثارة» لا تعني الحكومات وحدها، بل ومختلف تيارات الفكر والسياسة في بلادنا. مشكلة مشروعية استخدام المسجد كمنبر سياسي، الأمر الذي يستدعي تقديم وتقرير بعض الضوابط في عدد من النقاط:

■ إن المساجد هي بيوت الله في الأرض يعمرها المؤمنون بالله ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ [التوبة ١٨]. والدعاء في هذه المساجد وكذلك الدعوة يجب أن تكون خالصة لله ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ [الجن ١٨]

■ ولقد كان المسجد – منذ بداية الإسلام – يمثل أسمى مظاهر التوحيد الإسلامي كما كان هذا التوحيد الذي هو مصدر التوحيد للأمة الإسلامية في الجماعة بمثابة الحد الفاصل لأهل هذه الديانة الواحدة في العقيدة والشريعة والإلهة والحضارة وفي الإسلام وتحت هذه الجوامع الخمسة الموحدة للأمة هناك تعددية وتنوع واختلاف في فروع متفقة ومتشعبة ومتغيرة التي تقتضيها ضرورة وتصالح الزمان والمكان والأفهام والعادات والتقاليد والأعراف

فالتوحيد لأنه فرض عليه ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ [الأنبياء ٩٢] وهي أمة واحدة لأنها هذا التنوع والتعدد في الشعوب والقبائل والألسنة والألوان والعادات والتقاليد والأجناس والبيئات وصفة المسجد هي الحفاظ على وحدة الأمة لأنه يستقبل كل المسلمين على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وألسنتهم وألوانهم، ولهذا لا يكون لغير المسجد الجامع أو لا يتطور المسجد إلى ساحات فسيحة وفق مقتضيات الزمان والمكان للتدافع أو الصراع بين الفرقاء المختلفين

والشريعة الإسلامية واحدة، غير الزمان والمكان لأنها وضع إلهي ثابت وفي غير شريعة الواحد هناك تعددية وتنوع واختلاف في المذاهب الفقهية ولو أن المسجد لأنه لن يكون جامعا للأمة بشريعة واحدة ولا تتطور تتخصص المساجد بالمذاهب الفقهية، أو أن تتحول إلى ساحات صراع بين المختصين في الفقهيات وهذا أمر الأمة الإسلامي في أقطاره المتعددة هي مستقلتي لا المغرب وعدات بلاد المسلمين – لا المفتي الحفاظ على عوامل الوحدة التي هي جامعة ومقدمة على التنوع والاختلاف

■ ولأن الإسلام منهج شامل لعالم الغيب وعالم الشهادة، للدنيا والدين للدنيا والآخرة، للأمة والدولة للفرائض العينية والاجتماعية، فإن السياسة الشرعية والمجتمع هي مهمة من مهام الدين، بها تتأسس أصوله، التي تقوم هي الأخرى بحراسة الدين

وهنا تنتابه المشكلة ويأتي السؤال هل لأن السياسة تعد من أهم مناهج الإسلامي، يجوز أن يكون موضوع يتحصر على مدير المسجد لأنه جزء من الدين، الذي قامت له المساجد في ديار المسلمين؟ للإجابة عن هذا السؤال لابد من التمييز في السياسة بين مستويين

١) مستوى السياسات الكلية المهمة للمصالح العامة لجمهور الأمة من مدارك التي تسميها السياسات الوطنية والقومية والحضارية التي تتعلق بالقضايا التي اجتمع عليها جمهور الأمة. ولهذه السياسات مكانها على منابر المساجد وفي ساحاتها والأمة تمارس [illegible] وفعلاً [illegible] يتحدث الخطباء عن قضايا التحرر الوطني والقومي والإسلامي، ومشكلات التقدم والنهوض الحضاري.

ومستوى السياسات الحزبية التي تختلف فيها المذاهب والأحزاب وهذه يجب أن يكون مكانها المنتديات الحزبية والمنابر الإعلامية الحزبية فالانتصار لقضايا الأمة له مكان على منبر المسجد بينما الانتصار للمرشح في الانتخابات مكانه خارج المسجد والانتصار للشريعة مكانه المسجد بينما الانتصار لمذهب فقهي بعينه ليس مكانه المسجد وذلك حتى يمر المسجد بيت الله الجامع لكل الأمة والمركز العوامل الوحدة بين جميع المسلمين.

٣٨ قانون التنوع والاختلاف

يؤمن المسلمون بحكم دينهم بوحدة الإنسانية في الخلق، وتساوي كل الناس في التكريم الإلهي، وفي التكليف، والحساب، والجزاء.

وهذه الوحدة للإنسانية هي آية من آيات الله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا﴾ [النساء: ١]

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف: ١٨٩]

﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ [الإسراء: ٧٠]

وفي العهد الذي كتبه الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه إلى واليه على مصر الأشتر النخعي [٣٧هـ - ٦٥٧م] يقول له: الناس صنفان: أخ لك في الدين، ونظير لك في الخلق.

■ ويؤمن المسلمون أن الإنسانية قد بدأت حياتها على هذه الأرض أسرة واحدة، وجماعة واحدة، وأمة واحدة، ثم كان التنوع والتعدد والتغاير والاختلاف في إطار الإنسانية الواحدة، وذلك حتى يتم التسابق والتدافع والتنافس في الخيرات، ويتم التعارف والتعايش ويتحقق التعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان.

﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ [البقرة: ٢١٣]

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات: ١٣]

«ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين» [الروم ٢٢]

«ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم» [هود ١١٨ ١١٩]

«لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون» [المائدة ٤٨]

«ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير» [البقرة ١٤٨]

«كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» [البقرة ٢١٣]

■ لقد سد الإسلام بعد الحنيفية وبعد الرسالات ومن ثم بعد تعدد الرسالات وكانت بعد شريعة لاحقة في إطار وحدة الأسرة البشرية التي تبدأ بآدم وتنتهي بمحمد الذي بعد عليه شريعة جامعة وحدة تمثل الإسلام وحده هو الرسالة التي يؤمن بها كل أنبياء الله ورسله لا فرق بين أحد من رسل الله عليهم صلاة وسلام وكتاب القرآن الكريم هو الكتاب المصدق لكل الكتب السماوية وهو على من الشريعة السابقة عليه شريعة ما نسخ حراما أو أحل حراما إلا لحكمة أبدية ومن ثم فإن ما بقي صحيحا منها يعتبر من شريعة محمد

«شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب» [الشورى ١٣]

«آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله» [البقرة ٢٨٥]

«وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه» [الأنعام ٩٢]

«نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان» [آل عمران ٣ - ٤]

وفي الحديث الصحيح الشريف يقول عليه الصلاة والسلام: «المؤمنون إخوة لأب واحد وأم واحدة، دينهم واحد، وأعداؤهم واحد، وهم يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يتكافأ دماؤهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يد على من سواهم، يرد مشدهم على مضعفهم، ومتسرعهم على قاعدهم، لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده، من أحدث حدثاً فعلى نفسه، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه.

ولذلك سلك الإسلام كل الطرق الشريفة المؤدية في سبب واحد هو توحيد المتدينين بالشرائع المختلفة وجمعهم تحت راية الحق، ليكونوا مسلمين في المجتمع الواحد، فحض على العهد الذي كفله بحرية التدين، وبكل التسامح النصرانية على أتباعها بالتسامح وعلمهم على التسامح وعلى السجود عليها حتى يكونوا للمسلمين شركاء في حقوقهم وعليهم واجباتهم.

■ ما تحدثه بعض الكتاب الغربيين والأمم الغربية لا يوجد على الإطلاق في عشرات الصفحات المكتوبة بحكم خاص، بل أوجب الإسلام على المسلمين أن يبروا غير المسلمين وينافسوهم في خيريه مشروعة تنفع الناس وتعود على الجميع بالخير في هذه الحياة ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات ١٣] ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم﴾ [آل عمران ١١٠] ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران ١١٣] ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء ١١٠] ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء ١٢٣]

فكل هذه النصوص على خلاف شرائعهم جاء القرآن مصدقاً لما بين أيدي أتباعها وكرمهم عند الله بتقواهم لله

٣٩ واحدية الحق.. وتعددية الخلق

إن جماع هذا الوجود – في النظرة الإسلامية – هو «الحق» الخالق و«الخلق» في كل عوالم المخلوقات.

وإذا كان هذا التصور قد بلغ قمة التنزيه والتجريد في «وحدانية الخالق» التي تنزهت عن التعدد والتركيب، فإنه قد آمن بأن التعددية هي السنة والقانون في سائر عوالم الخلق، التي فطرها خالقها على الثنائية والازدواج والاشتراك والارتفاق، فطرة وسنة لا تبديل لها ولا تحويل.

فتعددية الازدواج سنة إلهية حكمت خلق الله لجميع المخلوقات ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ [يس ٣٦]

وتعددية الذكر والأنثى سنة إلهية قد حكمت خلق الله للحيوان والنبات وللأنفس والبشر ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ [الحجرات ١٣]. وفي نفس هذه الآية القرآنية التي تحدثت عن سنة التعددية في خلق الإنسان من ذكر وأنثى إشارة إلى سنة أخرى هي تعددية الإنسانية والبشرية إلى شعوب وقبائل أي تعددية في الأمم والجماعات ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات ١٣]

وكما اقتضت السنة الإلهية تعدد البشر إلى شعوب وقبائل وأمم وجماعات كذلك اقتضت تعدديتها في القوميات التي تحددها تعددية الألسن واللغات وفي الأجناس التي تشير إليها الألوان سنة حاكمة وقانونا عاملا وآية من آيات الله ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ [الروم ٢٢]

وإذا كانت سفينة نوح – عليه السلام – قد مثلت الحياة الناجية من الطوفان فقد حكمت التعددية والازدواج عناصر ومكونات هذه الحياة وحتى ذ

ح أمره وفرط سوء فعله حمل فيه من كل زوجين اثنين وأهله إلا من سبق عليه القول ومن آمن [هود ٤٠]

وكلمة الفصل على التعددية كانت حكمة سننية وسنة كونية في عالم الأفكار والاختلاف في الشرائع والمناهج والتعدد في المذاهب والتنوع في الثقافات هي الأخرى سنة كونية لا تبديل لها ولا تحويل في عالم الأفكار كعالم الخلق سواء بسواء ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم [هود ١١٨ ١١٩] لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون [المائدة ٤٨]

فالتعددية بين الأمم في الشرائع والمناهج سنة كونية تقتضيها الابتلاء والاختبار الجاري على الاستباق في طريق الخيرات، بل إن هذه التعددية وهذا الاختلاف قد يكون من مقاصد من مقاصد هذه الآية القرآنية التي توجه الخطاب إلى حكمة الله ومقصده في الاختلاف بينهم، فقال ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك

وإذا كانت التعددية هي منطق التدافع الحضاري والاجتماعي والفكري في هذا التدافع الذي لا وجود له دون فرقاء متعددين فهذا سنن وطريق الصلاح والإصلاح لم يحدث في الاجتماع الإنساني من فساد وإفساد ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين [البقرة ٢٥١] ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا [الحج ٤٠]

وحتى في عالم الأسرة الواحدة ووحدتها فرحمة الله في هذه الوحدة لم تكن فيما تعلوم من الدين ضرورة إلى ما تعلق فيه خطرة أسرية دون اختلاف في الوحدة في العقيدة والشريعة والقيم والمقاصد وإن الله وهي بيوت بوصمة لأنها تقتضي ذلك وتتطلبه فالتعددية الموجودة في الأسرة التي تتكون من نوع الأسرة في الحقوق والواجبات ومن تكامل وتبادل الاختصاص في تعمير الحياة الواحدة الأصول، وفي الاجتماع طبقا وشريحا اختلافا في الأداء والاختصاص وكون الإسلام دين الجماعة لا يعني سير الفرد والأقلية والأصغر وأنه يتضمن التعددية – في التصور الإسلامي – ما يجعله إلى مجتمع فرد

والأصول التي توحد جماعاتها وتدبرها ومذاهبها وطبقاتها، فلا هي «الوحدة» التي لا تعدد فيها، ولا هي «التعددية» التي لا جامع لأجزائها، وإذا كانت التعددية الفكرية إنما هي تنوع في الاجتهاد بإطار وحدة التصديق بالبلاغ القرآني والبيان النبوي لهذا البلاغ، فإن معايير الاختلاف في هذا الاجتهاد هي «الصواب» و«الخطأ»، و«النفع» و«الضرر» وليس «الإيمان» و«الكفر» لأن «الإيمان» و«الكفر» هما معيارا الاختلاف فيما هو معلوم من الدين بالضرورة وهو ما لا يجوز الخلاف فيه - لأنه الجامع لوحدة الأمة التي هي فريضة إلهية وبدونها لا يكون معنى للتعددية والاختلاف.

فكما تفردت الذات الإلهية - الحق - بالوحدانية - التي لا تركب فيها ولا تعدد - كانت التعددية السنة الإلهية في كل عوالم المخلوقات.

٤٠ الإسلام والتعددية (١)

لكل دين من الأديان أو فلسفة من الفلسفات، وأنسق من الأفكار، فلسفته في رؤية الكون التي تحدد مكانة الإنسان في هذا الوجود، وعلاقته بالموجودات.

وإذا كان الإسلام ككل الديانات السماوية يرى الله سبحانه وتعالى المطلق، واجب الوجود والخالق لكل الموجودات، فإنه يرى الإنسان خليفة لله في الأرض حاملاً لأمانة إقامة العمران حتى تأخذ الأرض زخرفها وزينتها، وحتى تتهيأ النفس الإنسانية وترتقي وتسعد، عندما تتوازن علاقاتها مع العزيز والملكات والموجودات.

كذلك، يرى الإسلام في الذات الإلهية المطلقة المقدسة سائر أنواع وألوان المخلوقات، فهو - سبحانه - ليس كمثله شيء، وكل ما خطر على بالك، فالله ليس كذلك.

وفي موضوعنا - موضوع «التعددية والتنوع والاختلاف في إطار الوحدة» يرى الإسلام في هذا الوجود:

• إنها انفرد وتنفرد بالواحدية والوحدانية التي لا تعرف أي لون من ألوان التعدد أو الازدواج أو التركيب.

• وموجودات ومخلوقات ومحدثات تقوم جميعها على التعدد والازدواج والتركيب والتساند والتسخير والارتفاق، فالتعددية في كل الموجودات الحية والجامدة، الإنسانية والنباتية والحيوانية، العلوية والسفلية، وكذلك في عالم الأفكار والفلسفات والمذاهب والتوجهات، وأيضاً في الألوان والأجناس والألسنة واللغات والقوميات.

كل هذه العوالم، يراها الإسلامُ قائمةً على سُنَّة التعددية وقانون التنوع وقاعدة الاختلاف.

[illegible] هذه التعددية [illegible] تنوع [illegible] [illegible]
حقوق الإنسان [illegible] [illegible]
[illegible] لا [illegible]

★ ★ ★

وإن الإسلام هو دين الوسطية الجامعة التي لا تعرف [illegible]
[illegible] والمادية [illegible] أو [illegible] والآخرة
[illegible] والخضوع [illegible] والأمر [illegible]

وإن هذه الوسطية الإسلامية [illegible] هذه
الثنائيات [illegible] وسطا جامعا [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible] الوسطية الجامعة [illegible]
[illegible]

فهو [illegible] في كل عوالم [illegible] لا في
الذات الإلهية وحدها [illegible]
[illegible] وقطيعة بين أجزاء الظواهر والموجودات

وهو يرى التنوع والاختلاف [illegible] وحدة جامعة [illegible]
والاختلاف

فالوحدة [illegible] التنوع والاختلاف
وتتمايز في إطارها [illegible] الاختلاف [illegible]
وعبقرية الأمة [illegible] بين [illegible] التنوع [illegible]
بين المختلفين [illegible]

٤١ الإسلام والتعددية (٢)

لقد خلق الله سبحانه وتعالى البشر جميعا من نفس واحدة ثم جعل كل فرد من أفراد هذه الإنسانية عالما قائما بذاته فيه وهو الجرم الصغير انطوى العالم الأكبر

ففي إطار وحدة الإنسانية المتحدة في أصل الخلقة وفي الإنسانية وفي الكرامة والتكريم وفي الحقوق وفي التكليف وفي الحساب وفي الجزاء في إطار هذه الوحدة تتمايز وتتنوع هذه الإنسانية الواحدة إلى شعوب وقبائل وأمم وأفراد وإلى ألوان وأجناس وألسنة ولغات وقوميات وحضارات وإلى ملل ونحل ومذاهب وديانات وفلسفات وثقافات

فلا علوّ في التعددية، والتنوع يقطع روابط الوحدة ويدخل بها في نطاق العنصرية والتعصب وإنكار العلاقات بالآخرين ولا علو في علو من الوحدة ينكر أسباب التنوع والتميز والاختلاف

★ ★ ★

وبسبب من هذه الوسطية الإسلامية الجامعة، في رؤية علاقة الوحدة بالتعددية والواحدية بالتنوع والأحدية بالاختلاف ينكر الإسلام «النزعة المركزية المفرطة» التي تريد العالم نمطًا واحدًا والإنسانية قالبًا واحدًا منكرة على الآخرين حق التمايز والاختلاف

• «فالمركزية الدينية» التي تريد العالم دينًا واحدًا، ينكرها الإسلام، عندما يرى في تعددية الشرائع الدينية سنة من سنن الله في الاجتماع الديني، لا تبديل لها ولا تحويل ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة ٤٨].

«ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ٠٠٠ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم» [هود ١١٨ ١١٩]

فهو سبحانه قد خلقهم للتنوع والاختلاف لكنه يريد منهم على الرغم من تعدد ألسنتهم وألوانهم وتعدد طبائعهم وتنوع مواهبهم واختلاف وجهات نظرهم في توحيد الخالق المعبود وفي الأمن والعدل والحب والصلاح فيما هو مشترك بين الإنسان والإنسان بقدر ما يحقق عمارة الأرض وسلام البشر والرسالات من آدم إلى إبراهيم إلى موسى إلى عيسى إلى محمد عليهم جميعا الصلاة والسلام

★ ★ ★

يبشر الإسلام «المركزية الديمقراطية» إيمانا منه بمدنية الشرائع السماوية منذ أمم رسالات السماء وبعثة الأنبياء ورفضه «المركزية الاستبدادية» التي تريد العالم كله خلف نمطية واحدة وحدة حتى لو اضطرت إلى الاتهامات ضد فئة أو الشروع في اضطهادات أخرى بل وتحت حكام القضاء التي تحضر بطلان من فئة أو تشريع بتي لا تتبنى أنت

ودعاة هذه «المركزية القسرية» في دول السياسة والإعلام يتجاهلون عمدا أو جهلا أن الحضارة قد استقر بهم في تنوعهم أنه بعد عن الأنبياء من قرن العشرين على عهدنا منهجه «قسرية» لا تجوز رجوع أنبيائه ولا استعادة منهجه «مركزية» ليحيا بينهم وفي الحاضر وفي المستقبل ولا ينبغي ولا يجوز لأن الأنبياء

فدعوى «المركزية الاستبدادية» تتصادم مع الفطرة

★ ★ ★

■ والإسلام يبشر «المركزية الديمقراطية» التي تريد للعالم الحضارة الواحدة وتسلك سبيل الصراع – صراع الحضارات – عسرا على الحضارات وعلى البشر لأن الإسلام يريد العالم «متعدد الحضارات» ومتنوعها

لكنه لا يريد للحضارات المتعددة أن تسير في الطريق المستقيم «المركزية الحضارية» قسرية وإنما يريد الإسلام لهذه الحضارات المتعددة أن تتنافس وتتسابق في كل ما هو مشترك إنساني عام

ففي العلوم الطبيعية [illegible] علوم [illegible] الدقيقة والمحايدة [illegible] وفي علوم تمس الواقع [illegible] التي تحقق زينة الأرض، ورخاء البشر، وسلام الإنسانية، والحفاظ على البيئة [illegible] ميادين واسعة للوحدة والتفاعل، والتساند بين كل الحضارات.

وفي الثقافات والفلسفات والموازين الثقافية ومنظومات العلم والهويات الحضارية والقومية [illegible] التنوع والتمايز، في إطار المشترك الإنساني العام بين مختلف الحضارات.

★ ★ ★

والإسلام ينكر مركزية العرق والجنس واللون [illegible] التي تمرت العنصرية العرقية حتى [illegible] في [illegible] صفة الألوان والأجناس، تركت آثارها الكريهة حتى في [illegible] والعبادات فضلاً عن الأبدية والمساكن والمدارس والمصانع [illegible] عن [illegible] والحقوق والواجبات والامتيازات.

بل [illegible] من يدعي أنه من «شعب الله المختار» [illegible] الولادة [illegible] بعينها، حتى ولو كان ابنا غير شرعي [illegible] حتى لو كان ملحدا.

ينكر الإسلام هذه «المركزية العرقية»، عندما تكون مركزية الجنس الأبيض والأسود والأصفر أو [illegible] عرق [illegible] الأعراق فاختلاف الألوان [illegible] الإنسانية الواحدة [illegible] وتساويها جميعًا [illegible] في هذا الإطار الإنساني الواحد [illegible] من [illegible] آيات الخالق لكل هذه الألوان والأعراق والأجناس [illegible] الأرض [illegible] في ذلك [illegible] [الروم ٢٢]

★ ★ ★

[illegible] الإسلام ينكر المركزية اللغوية [illegible] التي [illegible] لغة واحدة [illegible] على الأمم والقوميات حقها في [illegible] الألسنة واللغات [illegible] ينكر هذه المركزية اللغوية في إطار الدولة الواحدة، إذا هي حرمت الأقليات اللغوية من حقها في تعلم لغاتها القومية كي تحافظ على موازينها الثقافية.

وفي [illegible] ينكر الإسلام [illegible] اللغوية والدينية [illegible] بالشعوبية القومية [illegible] عرى التفاعل والترابط بين الدوائر اللغوية والطوائف الدينية في الأمة الواحدة أو [illegible] الأمة

وحدة تضم تنوعا في الأمن والأعراق واللغات، والوسطية الإسلامية تحمي وحدة الأمة من أن تقتلها التمايزات اللغوية أو التعددية الدينية، كما تحمي هذه الوسطية التنوع اللغوي والديني من أن تقهره وحدة الأمة أو الدولة.

يريد الإسلام بمنهاجه في التعددية للعالم الذي يعيش فيه

أن يعتني بثقافته المتعددة بالتعددية اللغوية والتعددية في الموارد الثقافية والفكرية للأمة وقومياتها، لأن اختلاف وتعدد الألسنة والتعدد هو آية من آيات الله في المخلوقات.

★ ★ ★

والإسلام ينكر «المركزية في السلطة»، داخل الدولة، تلك التي تفرض وحدة الرأي والاتجاه والموقف والاجتهاد، قاهرة الأمة على حزب واحد ورأي واحد وحاكم فرد.

ينكر الإسلام هذه المركزية السلطوية التي تبعث «الفرعونية» من جديد.

وفي ذات الوقت لا يريد الإسلام للتعددية في المجتمع علو التمزيق والقطيعة والتفتيت بين تيارات الأمة وطبقاتها وأحزابها ومدارسها الفكرية، وإنما يريد تنوع الاجتهادات والتنظيمات في الفروع والمتغيرات والمناهج والأساليب، ودليلا في إطار ثوابت الأمة ومقومات المجتمع ومكونات الهوية ومعالم المشروع الحضاري للأمة.

★ ★ ★

ولأن هذه هي وسطية الإسلام الجامعة بين عناصر الحق والعدل من أقطار التباينات، وهي الوسطية التي جعلت من التعددية تنوعا في إطار الوحدة وجعلت الوحدة ترعى وتحتضن التمايز والاختلاف.

ولأن الإسلام ليس «اليوتوبيا» الحالمة أحلام فلاسفة «المدن الفاضلة» التي عزت على التحقيق منذ أقدم العصور، وإنما هو الدين الجامع بين «المثال» المنهم وبين الواقعية الشاغلة التي هي الاقتراب من «المثال»، فلقد أدرك الإسلام أن حياة الأمم والشعوب والمجتمعات والدول الأخرى تشهد عند قضاياها وأن تمتزج فيها بوارع الخير والشر والانتخاب والسلب والاستعلاء والاستضعاف والإثرة والإيثار إلخ إلخ.

فكانت دعوة الإسلام بوسطيته إلى حل التناقضات بين الأفراد والطبقات والأمم والدول والحضارات بنفس منهاجه المتميز في التعددية.

فهو يرفض «الصراع» سبيلا لحل التناقضات [illegible] الصراع [illegible] إلى [illegible] طرف للطرف الآخر، وفي ذلك قضاء على التعددية [illegible] المنتصر الذي صرع خصمه بالساحة و[illegible] ويرث كل الإمكانات.

والإسلام [illegible] عندما يرفض الصراع لا يرضى بالسكون والاستسلام لأنه يؤدي إلى تقليد الضعفاء للأقوياء وتقليد المستضعفين للمستكبرين وتبعية المهزومين للمنتصرين وهو يقضي [illegible] إلى زوال التنوع [illegible] التعددية يرفض الإسلام [illegible] ويدعو [illegible] الصراع [illegible] والسكون [illegible] التدافع الحضاري الذي هو «حراك» وسط بين [illegible] الصراع [illegible] السكون والتقليد.

فالتناقضات يجب أن تحل بالحراك الاجتماعي والسياسي والحضاري الذي هو تنافس وتسابق بين الأفراد والطبقات والأحزاب والأمم والدول والحضارات [illegible] لا ترتفع حرارته إلى حد «الصراع» الذي يصرع فيه طرف الطرف الآخر فتنتفي تعددية الفرقاء والأطراف والأقطاب.

وأيضا لا تنطفئ حرارته فيتحول إلى سكون هو في الحقيقة [illegible] الاستسلام للضعفاء للأقوياء وتقليد المهزومين للمنتصرين.

★ ★ ★

هكذا يرى الإسلام قضية التعددية:

- قانون [illegible] في كل عوالم المخلوقات [illegible] التي لا [illegible] ولا تحويل.
- ويراها وسطا عدلا متوازنا جامعة للتنوع والاختلاف في إطار الوحدة فالوحدة تعني التركب من الأجزاء المتنوعة.

والتنوع لابد أن يكون في إطار الوحدة الجامعة للفرقاء المتمايزين.

- وعموم هذا القانون في قضية التعددية يعني سمو به لكل عوالم الخلق من الذرة إلى العالم من الفرد إلى الإنسانية [illegible] من الملل والشرائع إلى الفلسفات والأفكار والأحزاب.

وصدق الله العظيم ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات ١٣] ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ [المائدة ٤٨] ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ١١٨ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]

★ ★ ★

فهي التعددية في إطار الوحدة

وهي الوحدة الجامعة للتنوع والتمايز والاختلاف

إنها الحالية الوسطية التي تعيش في واقعنا المعاصر ضرورة لإنسانية من علوى الإفراط والتفريط

٤٢ عن الشريعة الإسلامية

الشريعة في اللغة هي مشرعة الماء أي مورد الشاربين من الماء الجاري، ثم استعيرت كلمة الشريعة ومصطلحها للدلالة الاصطلاحية على كل طريقة موضوعة بوضع إلهي ثابت جاءت بواسطة نبي من الأنبياء.

فالشريعة بالمعنى الاصطلاحي هي ما شرعه الله - سبحانه وتعالى - لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل، فهي وضع إلهي وليست اجتهادا بشريا، وهي ثابت وليست متغيرة، ومن هنا تميزت «الشريعة» عن «الفقه» الذي هو اجتهاد بشري في إطار ثوابت الشريعة الإلهية، وهي - أي الشريعة - ثابتة لأنها دين وأصول بينما الفقه متطور لأنه فروع تواكب مستجدات الزمان والمكان والوقائع والمصالح والأفهام، وبذلك كان الشارع للشريعة هو الله - سبحانه وتعالى - وهو لا يوصف بالفقيه، والرسول مبين للشريعة الإلهية، أما الفقيه فليس شارعا وإنما هو مجتهد في فقه الشريعة.

والشريعة تشمل ما تعلق «بكيفية العمل» وتسمى فرعية وعملية، ولها دور علم الفقه، فهو علم الفروع، كما تشمل الشريعة ما يتعلق «بكيفية الاعتقاد» وتسمى أصلية واعتقادية - ولها دُوِّن علم الأصول أي أصول الدين الذي هو «علم الكلام» و«علم التوحيد».

والإسلام عقيدة وشريعة، وإذا كان جوهر العقيدة هو التوحيد الذي يفرد الذات الإلهية بالعبودية والأحدية في الذات والصفات والخلق والأفعال، فإن الشريعة هي كل المعالم والضوابط والوصايا والأحكام والقيم والأخلاقيات التي جاء بها الإسلام لتستقيم بها المسلم على طريق ومنها - الوصول إلى تحقيق الاعتقاد الديني، وهي بذلك تشمل العبادات والمعاملات والقيم سواء منها ما

وفي الشريعة الإسلامية أيضاً أحكام جزئية كانت معروفة في الجاهلية هي من بقايا الشرائع الدينية السابقة أو مما جاء ثمرة للصواب العقلي والحكمة الإنسانية. ولقد أقرها الإسلام واختصتها واعتمدتها شريعته لاتساقها مع فلسفة الإسلام في التشريع وذلك انطلاقاً من أن الرسالة الخاتمة قد جاءت مصدقة ومهيمنة على كل ميراث النبوات والرسالات والشرائع السابقة، ومتممة لما جاء فيها من مكارم الأخلاق.

ففي الإسلام كعقائد أصول الإيمان التي اتفقت فيها كل الرسالات السماوية. وفي الإسلام كشريعة خاتم الشرائع السماوية، المتميزة عن الشرائع السابقة بالعالمية والخلود، والتي ضمت من الشرائع السابقة ما صلح للاتساق مع هذا التميز والامتياز.

الشريعة الإسلامية.. والتحرر من الاستعمار

يبدو من أن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الحاكمة، ولأنها عالمية بعالمية الإسلام، وأنها قد وقفت في التشريع للوقائع المتغيرة والمتطورة عند الأحمال والكليات وفلسفة التشريع، وذلك حتى تفتح الطريق دائما وأبدا أمام الفقه الإسلامي لتنمية القانون الذي يواكب المتغيرات ويستجيب للمستجدات، بينما وجدناها قد فصلت الأحكام في الأمور الثوابت التي مثلت ضرورات إنسانية لا تتغير بتغير الزمان والمكان، من منن الضرورات الخمس الحفاظ على النفس، والدين، والعقل، والعرض والنسب، والمال، ومن منن القيم، وبذلك جمعت الشريعة الإسلامية بين ثبات الفلسفة الإسلامية في التشريع والتفصيل وبين تطور الفقه وأحكام الفروع والمتغيرات تلك التي اكتسبت وتكتسب إسلاميتها من التزامها بروح الشريعة، وحدود الله فيها، وفلسفة الإسلام المتميزة في التشريع.

وفي الشريعة الإسلامية ارتبطت القيم والمقاصد الأخلاقية بكل الأحكام فتميزت فيها المصلحة بـ«الاعتبار الشرعي» ولم تنفصل عن القيم والأخلاق كما حدث في المنظومات القانونية الرومانية واللاتينية التي تعتبر ضبط حركة الواقع وتحقيق المصلحة الإنسانية بالمعنى الدنيوي غير الملتزم بأحكام الدين وحدود الله وقيم الأخلاق. فمنطلقات المنظومات القانونية الوضعية هي «العالم والواقع» أي عالم الشهادة، وحقائق وقوانين علومه، والمواقع الدنيوية، بينما تضيف منطلقات الفقه الإسلامي في المعاملات إلى ذلك عالم الغيب ووحي الله وشريعته السماوية بما فيها من قيم وأخلاق هي التي تحدد نطاق وروح القانون.

وكذلك، تقف المنظومات القانونية الوضعية في معايير «التحسين والتقبيح» عند «العقل المجرد» و«الحواس وتجاربها» بينما تضيف الشريعة

الإسلامية ومناهجها في التفكير إلى هذه المعايير بتجسس و تفتيش، فغاب التشريع بدوافعه وبواعثه و بين انصراف من نظرة الإسلامية إلى مكتب الأساس صاحب العقل والإرادة الحرة في هذا الكون فيه خليفته في استعمار الأرض بمحكوم عقله وبحريته وهما سبيلا العلم والإدراك – بحدود وحقوق الله سبحانه وتعالى – وبالعلم الإلهي الكلي و المطلق والمحيط

وبعد صدر الشريعة الإسلامية في التطور والتاريخ الحضاري للأمة الإسلامية متفردة بالمرجعية و الحاكمية، في فقه الأمة وفي قضائها، وفي مرجعية اجتهادات مجتهديها وتحديد مجتهدي دور الشراح أو مراجعهم في هذه المرجعية والحاكمية منذ ظهور الإسلام إلى أن وفد إلى بلاد الإسلام في ركاب الاستعمار والاستشراق الغربي القانون الوضعي الغربي بمؤسساته القضائية بمحاكمه في التشريع منذ اقتراب الغرب من أرضنا فظاهر بتحول الوضع الغربي – مستعينا بسلطان الاستعمار ونفوذ الغرب – يزاحم الشريعة الإسلامية وقيمها في كثير من المؤسسات الحقوقية والمجالس التشريعية و دوائر القضاء

فالاستعمار قد شرع في تغيير واقعنا ليكون على نمط غربي بعد أن أخذ من تغييراته في هذا الواقع ما يحكم هذا الواقع بمعايير القانون الوضعي الغربي. وبذلك كانت الدعوة إلى استرجاع كامل المرجعية للشريعة الإسلامية في حياتنا الإسلامية واحدة من مقاصد دعوات النهضة الإسلامية الحديثة، ضد استمرار تعقيد وتواجع الإسلاميين من هذا الاختراق الغربي بكل ما فيه – في فلسفته والكثير من أحكامه – للمنظومة الإسلامية في التشريع والتقنين . فالعودة إلى حاكمية الشريعة الإسلامية هي عنوان تجديد الفقه الإسلامي في خصوصيته الإسلامية. وإن هذه العودة في جزء من تحرر الوطني ضد الاستعمار الغربي الذي شوه تواجع الإسلامي وغير الشريعة التي تحكم حركة هذا الواقع

كذلك، أصبحت الدعوة إلى الاجتهاد الإسلامي المعاصر، الذي يستمد من الأصول و عناصر الشريعة، الأحكام التي تحكم حركة المستجدات في الواقع الإسلامي الجديد أصبحت هذه الدعوة هي الأخرى، مطلبًا من مطالب الأمة التي تريد الاحتكام إلى شريعتها، مع مواكبة الواقع الجديد بفقه إسلامي جديد، لا

تطور الواقع – في المتغيرات الدنيوية – هو سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل، ودائم يواكب الاجتهاد الإسلامي في فقه المعاملات، هذا الواقع المتطور، فستنفتح الباب للوافد القانوني الغربي، شاء الناس أم أبوا، ومن هنا كان الاجتهاد الإسلامي للمستجدات الدنيوية ضمانة من ضمانات الاستقلال القانوني لمجتمعات الإسلام، فهو شرط من شروط الحرية والتحرير.

ولعل مما ييسر هذا الاجتهاد الفقهي معاصر النهوض بالتقنين الحديث لتراث الفقه الإسلامي في المعاملات، ففيه ثروة غنية من الاجتهادات والأحكام تمكن بالتقنين الحديث أن تصبح منظومة قانونية حديثة ومضبوطة تسد فراغاً كبيراً، وأيضاً تحرك العقل المسلم لاجتهادات جديدة للمستجدات الجديدة.

إن العودة إلى حاكمية الشريعة الإسلامية – علاوة على تحريرها للعقل المسلم – فإنها تحرير للواقع الإسلامي من الاحتلال التشريعي الذي جاء في ركاب الغزو الاستعماري الحديث.

٤٤ وحدة الأمة الإسلامية (١)

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الناس من نفس واحدة، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء ١]

ويقول الحق سبحانه وتعالى في سورة الحجرات وهي سورة عظيمة ومليئة بالآداب التي يجب أن يتحلى بها المسلمون: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات ١٣]

ولما كانت الإنسانية قد بدأت بفرد واحد فقد أصبح البعد في الإنسانية والتعدد مراد الله سبحانه وتعالى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الروم ٢٢]

وقد نتج التنوع في اللغات والتنوع في الثقافات والفلسفات والشرائع والحضارات ومن ثم التنوع والاختلاف في المفاهيم والمصالح والعديد من المصطلحات التي تتم المذاهب في هذه البعد والثقافات والحضارات. صحيح أنه لا مشاحة في استخدام المصطلحات، أي في وحدة ألفاظها وتنوعها من قبل جميع الأمم، لكن عددًا من هذه المصطلحات – ومنها مصطلح الأمة – تتغير مضامينه بتمايز الثقافات والفلسفات والحضارات.

فقد يتحدث من الفلسفة الغربية الشيوعية أو الليبرالية عن وحدة الأمة تتوحد فيه السوق والاقتصاد، فالوحدة الاقتصادية المشتركة عندهم هي الرحم التي ولدت منها الأمة، وعلى رصيد السوق المشترك تنمو بعض المشتركات التي تتمثل في الجانب الفكري والثقافي، تكوين نفسية مشتركة ترتبط الأمة بروابط المشاعر والأحاسيس والقيم والذكريات واللغة والتاريخ والآلام والآمال.

وفي الأسواق تفكرة ولسنة التي انحرفت إلى العنصرية ومعنة يكون العنصر والعرق والدم هو معيار الانتماء إلى الأمة وتكوينها وتطورها في النهضة النازية، التي أراد تحويل الأطلس النهضوية إلى شعب ومة فجعلوا اليهودي هو المولود من أم يهودية بصرف النظر عن العوامل الأخرى المكونة لثقافته وهويته، بل حتى بصرف النظر عن مدى إيمانه وتدينه باليهودية، وقد نحت هذا النحو الأيديولوجيات الدارزة والفاشية، وتلك التي تقسم الإنسانية على أسس عرقية دموية وجنسية وجغرافية.

وهناك قواميس عربية ومنذ وه بالتعريف تخصص بين «الأمة» وبين غيرها على ما بينهما من تغاير واختلاف، فقد تضم الدولة الواحدة أكثر من أمة متعددة وقد تجد الأمة الواحدة وتتوزع على عدة دول، كما هو حال الأمة الإسلامية الآن.

وفي الإسلام، حيث تنطبق المفاهيم من القرآن العربي المبين، يتميز مفهوم الأمة ومضمون مصطلحها. فليست السوق الاقتصادية والعوامل الطبيعية هي المعايير الأولى والحاكمة لتكوينها، وليس العرق ووحدة الأصل والنسب وبقية أسس من عوامل تشابه لأنها في السوق الإسلامي كما مرّ بضوابط والمعالم والسمات والقسمات. ومن ثم فأبوابها مفتوحة دائمًا وجوارها مباحة أبدًا، وتحقيقها منظور باستمرار وفق حيوية الجوامع التي تصنّ أمها

إن «الأمة كما يقول الراغب الأصفهاني [٥٠٢هـ ١١٠٨م] هي كل جماعة يجمعهم أمر ما، إما دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد سواء أكان ذلك بتسخير أم اختيار».

ولقد كان هذا المعيار المرن.. والمتطور هو الذي حكم نشوء الأمم الإسلامية على مر التاريخ. فقد بدت بأمة «الدين» الجماعة المؤمنة بالإسلام – ثم استوعبت وضمت – بعامل الوطن – العرب غير المسلمين في دار الإسلام، ثم جمعت – بعامل الدين – الأقوام غير العرب الذين دخلوا في الإسلام

وهي في ذلك – عن وصف بعض من الجوامع – التي انطلقت منها وعليها أمم أخرى – وصفها كليات في إطار جامعها «الأول» الإسلام، صغرت مع جامع «القبيلة» و«الشعب» و«اللغة» و«الجنس» و«الدولة» فكانت الأمة الإسلامية «المحيط» الذي احتضن هذه الجوامع دون تناقض مع أي منها ودون وقوف عند أي منها كمنتهى

٤٥ وحدة الأمة الإسلامية (٢)

لقد رفض الأمة الإسلامية الوقوف عند عصبية القبيلة بكيانها لقبيلة، وإنما جعلتها نبيه في حدود الأمة وصنعت منها وظلت تصنعه مع العشيرة والأسرة المتحدة ورفض الوقوف عند حدود الوطن الإقليم ووضعت هذه الوطنية في محيط دار الإسلام الجامعة للأقاليم والأوطان ورفض الوقوف عند حدود الدولة عنده استمرار وحدتها وحدة الأمة في ظل نجوب الإسلام التي رفعت ورفضت الوقوف عند حدود اللغة عند جعلت الإسلام هو القرآن الكريم تعد الألسنة واللغات التي تتكلم بها فصحت الأمة لغات عدة واحتضنت ثقافات فرعية متنوعة في العادات والتقاليد والأعراف ورفضت الوقوف عند العنصر والعرق عندما عبرت عنه الجاهلية بنسبها ونسبها للإسلام وعاشته في ورفضت الأمة في مفهوم الإسلامي الوقوف عند وحدة الدين حتى وإن كان هذا الدين هو الإسلام وبهذا المنهج الواعي لصور الإسلام تجتمع في أعماق كل منا وحدانا لا وبد من شريعة متعددة ولا بد أن تكون حتى تحكم سلوكه وتبيح وتؤسسه لتحكم في وحدة [المائدة ٤٨] وقد جاء في كتب علم الأحكام وتصنيف بعض يدب من مكلف لا يخرج من حكم من ثلاثة وعلى كل أحد أن اشرع الأخرى إلى كلمة سواء هي توحيد الخالق والتعبير الجامع والأصل بالعقل والجزاء الأخرى وجعلها الاختلاف سنة من سنن الله التي لا تبديل لها ولا تحويل وترك الخيار في هذه الاختلافات الدنيا في الدار

سبحانه وتعالى يوم الدين ومقرر كل من مساوه في الحقوق والواجبات بين لأمة بمقتضى دستور في الدولة والسياسة والاجتماع وبمقتضى فمنذ تأسيس دولة المدينة بصورة سنة [١ هـ – سنة ٦٢٢م] ضمت الأمة بجميع المسلمة العرب وموالفهم العرابين – ونص دستورها الصحيفة على أن

يهود أمة مع المؤمنين [illegible] وللمسلمين [illegible] على
من حارب أهل هذه الصحيفة [illegible] والنصيحة [illegible]

وفي أول [illegible] [١٠ هـ [illegible] ٦٣١م]
أصبحوا جزءاً أصيلاً من الأمة [illegible] على [illegible]
[illegible] على المسلمين [illegible] حتى يكونوا
للمسلمين [illegible]

وعند [illegible] الأمة الإسلامية [illegible]
[illegible] هذه الحقوق كاملة لأهل [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]
الحديث [illegible]

وفي حديث [illegible] [١٦٣ - ٢٥٥ هـ = ٧٨٠ - ٨٦٩م] عن العوامل المكونة
[illegible] الأمة [illegible] بلغة وليس [illegible] واسحق [illegible]
السلام [illegible] بلغة [illegible] التربية [illegible]
والهمة والأخلاق والسحنة هي التي تسبب الأمة سبكاً واحداً [illegible]
واحداً [illegible] الأجزاء والأخلاط [illegible] ولادة جديدة [illegible]

هكذا تميز المفهوم الإسلامي للأمة [illegible]
[illegible] الأمة [illegible]
[illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]

٤٦ وحدة الأمة الإسلامية (٣)

واليوم تتنوع شعوب الأمة الإسلامية في الأجناس والألسنة والأقوام وتتوزعها الأقاليم والأوطان والدول. لكن هذا التنوع لا يعدو أن يكون تمايزا في إطار «الأمة الواحدة»، التي وحدها الإسلام في العقيدة والشريعة والحضارة ومنظومة القيم والأخلاق المعيارية.

أما وحدة هذه الأمة - أي الجماعة الإسلامية، فإنها - من الناحية الشرعية حقيقة قرآنية تعبر عن إرادة إلهية: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. ومع كونها فريضة شرعية فهي ضرورة حياتية أيضا. وهذه الوحدة التي صنعها الإسلام، وصنعها بصبغته، قد أهلت الأمة الواحدة لأن تعيش في وطن واحد سماه علماء الإسلام ومؤرخوه «دار الإسلام». ولقد عاش هذا الوطن الإسلامي حينا من الدهر تحت سلطة «دولة» واحدة، وحينا آخر تعددت فيه الدول. لكن كل تاريخ الإسلام والمسلمين، إلى ما قبل التجزئة التي فرضتها الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة على دار الإسلام، قد احتفظ - حتى مع تعدد الدول - بوحدة «الدار - الوطن». فكان المسلم - بل والمواطن من أهل الكتاب - يتنقل بحرية تامة عبر الأقاليم والإمارات والولايات - فيما بين المحيطين - ويقيم إلى شاء وحيث أراد، فيعامل - دون إجراءات جديدة - معاملة المواطنين في المكان الذي يستقر فيه له كل حقوقهم وعليه ما عليهم من واجبات. فجمعت دار الإسلام بين «الوحدة» في حقوق المواطنة وواجباتها، وبين تنوع الدول والحكومات». ولا تزال أسماء العائلات والأسر المنسوبة إلى أقاليم دار الإسلام والتي تعيش في بلاد إسلامية أخرى شاهدة على هذه «الأممية» التي ميزت دار الإسلام، أممية في الأمة، وليس لطبقة من الطبقات.

[illegible] الفكر السياسي الإسلامي [illegible]

[illegible] الإسلام جنسية [illegible]

[illegible] الأمة واحدة لا تعرفها [illegible] بالمعنى الغربي الذي عرفته [illegible]

[illegible]

[illegible] الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] وهو مفتي الديار المصرية [illegible] في المسلم إذا دخل [illegible] إسلامية [illegible] جنسية عندنا؟ وهل حقوق الأجنبي [illegible] الكابيتولاسيون [Capitulations] موجودة بين ممالك الإسلام [illegible] بعضهم بعضاً"

جاء في فتوى الأستاذ الإمام على هذا السؤال

[illegible] المسلم من البلاد الإسلامية [illegible] الإقامة [illegible] عرفه وينفذ فيه حكمه هو البلد الذي [illegible] الأحكام [illegible]

[illegible] الجنسية [illegible] عرفه [illegible] الأحكام [illegible]

[illegible] الجنسية [illegible] العرب [illegible]

[illegible] الإسلام [illegible] الجنسية [illegible] الحقوق [illegible] الجنسية [illegible] المسلمين [illegible] الجاهلية [illegible] وفخرها [illegible] هو مؤمن تقي وفاجر شقي

الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب، رواه [illegible] وروى كذلك عنه [illegible] من دعاوى عصبية.

وبالجملة فالاختلاف في الأصناف البشرية كالعربي والهندي والرومي والشامي والمصري والتونسي والمراكشي مما لا يجري به في اختلاف الأحكام والمعاملات بوجه من الوجوه ومن كان مصريا وسكن في بلاد المغرب وقام بها جرت عليه أحكام بلاد المغرب ولا ينظر إلى صفة المصري بوجه من الوجوه.

وأما حقوق الامتيازات المعبر عنها «بالكابيتولاسيون» فلا يوجد شيء منها بين الحكومات الإسلامية قاطبة، هذا ما تقضي به الشريعة الإسلامية على اختلاف مذاهبها.

لا جنسية في الإسلام ولا امتياز في الحقوق بين مسلم ومسلم والبلد الذي يقيم فيه المسلم من بلاد المسلمين هو بلده ولا حكومة عليه سلطان [illegible] حكام غيره والله أعلم.

هكذا استقر الفكر السياسي الإسلامي على أن وحدة الأمة الإسلامية في الدين وحضارته قد انتشرت وتسيرت وحدة دار الإسلام حتى مع تعدد الأمارات والولايات والحكومات [illegible] يستطيع أن يقول إن خلافة الإسلام [illegible] عندهم [illegible] وحدة وكرامة قد تمايزت في دار الإسلام [illegible] الولايات والأقاليم.

٤٧ وحدة الأمة الإسلامية (٤)

عندما فرض الاستعمار الغربي – وخاصة بعد إسقاط الخلافة العثمانية [١٣٤٢هـ ١٩٢٤م] – الهزيمة الكاملة على عالم الإسلام، وقام حواجز «الجنسية» – بمعناها الغربي – بين دوله وأقاليمه، وذهب بعض المفكرين الإسلاميين المعاصرين إلى شكل جديد يحقق «وحدة» دار الإسلام، ويحافظ على وحدة الأمة دون تجاهل الواقع المعاصر، وتعدد الدول والحكومات، وتتابعت المؤتمرات والندوات التي تؤكد على هذه الفكرة، ومن أبرز الاجتهادات الإسلامية في هذا الميدان كتاب «فقه الخلافة وتطورها» للفقيه الشريعة الإسلامية والقانون العربي الدكتور عبدالرزاق السنهوري باشا [١٣١٣ ١٣٩١هـ ١٨٩٥ – ١٩٧١م] «فقه الخلافة وتطورها» وفي هذا الاجتهاد الجديد لإعادة شكل جديد للخلافة الإسلامية يحقق وحدة الأمة، يكاد دار الإسلام وحكم الشريعة الإسلامية في السنهوري رحمه الله يستحيل اليوم بصور الأمة نظام الخلافة الراشدة الكاملة، فلا مناص من إقامة حكومة إسلامية واحدة على رأس كل دولة ضرورة تعترف إلى يحزبها العالم الإسلامي حاليًا.

وهذا النظام الإسلامي الذي قص بحب أعاده نصب عيونك وهذا ما يسعى إلى إعادته مستقبلًا للخلافة الراشدة الكاملة.

إن نظام الخلافة الراشدة التي يحب أن تكون هي المرجع في المستقبل يجب أن تتصف بخصائص الشريعة الإسلامية لا تعرض شكلًا معينًا لنظام الحكم، وإنما يجب علينا أن نأخذ في الاعتبار الاتجاهات القومية والشرعية الموجودة في بعض الدول الإسلامية، وهي اتجاهات نراها اليوم تسير في طريقها نحو الوحدة لكل ما يمكن أن يحقق صورة من صور الوحدة بين الشعوب الإسلامية مع احترام كل نوع من أنواع الحكم الذي تختاره

ا وحده لاسلام في صوره متصرفه غير مرتبطه بدوله مركزيه لم تكن ممكنه لأن واقع تكوين متصرفه للشعوب لمسلمه بكثير من الوجوه لا تلائم هذه نهوضه السياسيه مع صوره تتضمن قدرا من وحده بين الشعوب لاسلاميه

على أن الخلافه بكامل معناها الصحيح كنت سيستلزم لاعترا بكون لهم حكومه مركزيه واحده، عندك قد يصبح مستحيلا، بل يكفي عندنا ان يتقرر حكومه لاسلاميه متحده، تشهد بعض شئونها منها هيئه واحده تمثل بعضها مع سلامه بقاء على رأس حكومات وبكل هي هيئه لخلافه ولا سيما إذا الحق بهذه الهيئه مجلس مستقل منها يكون قاصرا على النظر في الشئون الدينيه للمسلمين.

هكذا قدم الدكتور عبدالرزاق السنهوري باشا - سنه ١٩٢٦م، عقب سقوط الخلافة العثمانية – اجتهاداً «فقهيّاً وسياسيّاً» لتجديد الخلافة الاسلامية، ووحدة الأمة الإسلامية في سكا عصبة مع الإسلامية يوحد لأمه ويحقق تكاثر دار الإسلام وكما انبعثت الإسلامية حديثه من مراعاة البعد في الحكومة وتنوع في بنائها السياسي والدستوري، ليوجد تصاعد في محيط عالم الإسلام.

ويعد عرفة من جهد السنهوري هذا، عندما يعود بالخلافة الإسلامية الحديثة نصب في دائرة الفعلية الإسلامية، ويرحب بصفة هذه الخلافة دائرة تهدف تحقيق شورى الخلافة، موجهة أساسا لتحقيق التعاون بين الشعوب الإسلامية، ليهدم هدم نظام الخلافة تمهيدا لاغتصاب ووراثة تركيب في النصف الأول من عقد التاسعات – في القرن التاسع عشر الميلادي – كما حدث في العثماني [١٢٥٤ - ١٣١٤هـ/ ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] على يد جماعة الاتحاد والترقي، بعد أن تكاثف وتضامن دار الإسلام، وهذه الخلافة الإسلامية الحديثة، منصبة الأرض، ستحدد بعضها بعضهم أيضا، وهم مصيره بين هذه الدساتير، وليست أنهم لا يتفقوا على الدين والأخوة كما يتفق عليهم سائر الأمم، ولو اتفقوا فليس ذلك بدعا منهم في الشعوب، فهذه سنة الله في خلقه، بل تقتضي حكمة الله في قيام [الخلافة ١٠]، ستقتضي بالوجوه سنا تحول عنهم هذه بسبول المتوقعة عليهم في كل حين.

لا يلتمس بقولي هذا أن يكون مالك الأمر في الجميع شخصاً واحداً، فإن هذا ربما كان عسيراً، ولكني أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ووجهة وحدتهم الدين، وكل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع فيه حياته بحياته وبقاءه ببقائه، إلا أن هذا بعد كونه أساساً لدينهم تقضي به الضرورة وتحكم به الحاجة في هذه الأوقات»

ثم عاد جمال الدين الأفغاني ليصوغ هذا الاقتراح في شكل نظام لامركزي، تصبح به الخلافة العثمانية إدارة أقاليمها وولايتها، وتحدد به شتات بيت الولايات، وتفتح أبواب النهوض أمام الشرق الإسلامي كي يستطيع التصدي للزحف الاستعماري الغربي، ولقد قدم هذا المشروع إلى السلطان عبد الحميد [١٢٥٨ - ١٣٣٦هـ = ١٨٤٢ - ١٩١٨م] في العقد الأخير من القرن التاسع عشر

٤٨ وحدة الأمة الإسلامية (٥)

اليوم تتحرك خريطة عالمنا المعاصر نحو إقامة التكتلات والاتحادات سواء بروابط إقليمية وحضارية أو أيديولوجية، فالوحدة الأوربية وإن استهدفت المصالح المادية - اقتصادية وعسكرية - إلا أن الأيديولوجية البيزنطية والتراث المسيحي والبعد الحضاري الغربي هي منطلقات ومكونات في صنع هذه الوحدة، وإلا فليست مصادفة أن يكون القادة الثلاثة المؤسسون للاتحاد الأوربي - الألماني أديناور [١٨٧٦ - ١٩٦١م] والإيطالي «دي جاسبري» [١٨٨١ - ١٩٥٤م] والفرنسي شومان [١٨٨٦ - ١٩٦٣م] - هم من الديمقراطيين المسيحيين، ومن الكاثوليك المخلصين!

بل إن هذه العوامل - الأيديولوجية والدينية والحضارية - هي التي تجعل الاتحاد الأوربي يفتح أبوابه لشعوب أوربا الشرقية والوسطى التي تشترك مع شعوبه في هذه المنطلقات، بينما يمانع في دخول تركيا المسلمة إلى «نادية المسيحي»!

★ ★ ★

وعندما حدث حريق المسجد الأقصى [في جمادى الآخرة سنة ١٣٨٩هـ - ٢١ أغسطس ١٩٦٩م] اهتز ضمير العالم الإسلامي، فانعقد أول مؤتمر قمة للبلاد الإسلامية [في رجب - سبتمبر من نفس العام] وتأسست - في العام التالي - منظمة المؤتمر الإسلامي، وهي التي تمثل - في حالة ما إذا دبت فيها الروح والحيوية - عصبة الشعوب الإسلامية، فإذا حدث وعادت حكوماتها عن خلط الإسلام بالعلمانية في تشريعاتها، والتزمت بالإسلام عقيدة وشريعة وحضارة وقيمًا وعدت - بدلًا - دولًا إسلامية كاملة الإسلامية أمكن - يومئذ - أن تتطور «منظمة المؤتمر الإسلامي» إلى «منظمة الدول الإسلامية»، وبهذا التطور،

تكون قد استجابت لضرورات الواقع المعاصر وتحدياته في التكتل على أساس المصالح السياسية وحققت أيضا المبدأ الإسلامي في وحدة الأمة الإسلامية وتكامل دار الإسلام

★ ★ ★

إن أمتنا الإسلامية تملك وطنا يبلغ مساحته ٣٥٠٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع تعيش فيه أمة تبلغ تعدادها مقدارا ونصف مليار أي نحو ربع البشرية ونصف المتدينين بالديانات السماوية وهي تمتلك مع وحدة العقيدة والشريعة والحضارة والقيم والتراث الفكري من الثروات المادية ما يؤهلها لأن تكون العالم الأول بل إنها قد كانت العالم الأول على ظهر هذا الكوكب لأكثر من عشرة قرون بينما عمر العرب كعالم أول لا يتعدى قرنين من الزمان

إن الأمة الإسلامية التي تمتد وطنها من غابة ولي [illegible] غربا وشرقا ومن حوض نهر [illegible] إلى جنوبي خط الاستواء شمالا وجنوبا تمتد

- [illegible] وقدم فلاح علم [illegible] في الزراعة وفي [illegible] من بلادها هو [illegible] أكثر من مائتي مليون فدان صالحة للزراعة [illegible] لأن تكون سلة غذاء لعالم الإسلام
- كما تمتلك من طول الشواطئ [illegible] والنهرية [illegible] ما يؤهلها لأن تكون مصدرا غنيا للثروات البحرية [illegible]
- ووطن هذه الأمة هو العالم الأول في البترول والغاز والمنجنيز والكروم والقصدير والتوكسيد

وهو العالم الثاني في النحاس والفوسفات

وهو العالم الثالث في الحديد

وهو العالم الخامس في الرصاص

وهو العالم السابع في الفحم

وهو ينتج ثلثي الإنتاج العالمي من البترول والغاز، و٢٤٪ من المنجنيز و٤٠٪ من الكروم، و٥٦٪ من القصدير، و٢٣٪ من التوكسيد، و٢٥٪ من النحاس، و٢٥٪ من الفوسفات، و١٢٪ من الحديد، و١٠٪ من الرصاص

■ ولأن أغلب ثروات العالم الإسلامي مركوزة في باطن الأرض ولأن زكاة الركاز الخمس وفق حديث رسول الله ﷺ «في الركاز الخمس» رواه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والإمام مالك والإمام أحمد في أحد قوليه من بنود الزكاة وجد ٢٠٪ من قيمة هذه الثروات المستخرجة من باطن الأرض لو قامت عليه مؤسسة تنموية إسلامية لاستطاعت تنمية عالم الإسلام اقتصادياً واجتماعياً وبالحلال تنمي مجتمعات الأمة الإسلامية.. مع عتق رقابنا من الأغلال التي يكبلنا بها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي

وجدير بالذكر أن وحدة أمة الإسلام، وتكامل دار الإسلام وسيوف المسلمين الإسلامية في النصوص والنهوض، وقامة العدالة الاجتماعية في الثروات والأموال وفق فلسفة الإسلام في الاستخلاف لا يعني أي من ذلك ولا كل ذلك عزلة المسلمين عن مشاركة في الحياة الدولية سواء من خلال المنظمات الإقليمية مع الدول غير الإسلامية أو من خلال المنظمات الدولية بل ومن خلال الانفتاح والتفاعل مع الحضارات غير الإسلامية فالفقه المعاصر يرى العالم كله «دار عهد» تحكمها القوانين الدولية التي يجب أن تشارك العالم كله في صياغتها ويعمل على احترامها والله سبحانه وتعالى قد جعل شعوب وقبائل تتعارف وإذا كانت الموازنة بين المصلحة والمفسدة هي معيار الحلال والحرام والمستحب والمكروه في أغلب ميادين السياسة الشرعية فإن تحقيق المصالح الشرعية المعتبرة للمسلمين وللإنسانية كلها ودفع المضرة والمفسدة عن المسلمين وعن الإنسانية هما معياران للموالاة والمعاداة في علاقات المسلمين بغير المسلمين وهذه هي المعايير التي أوجزت التعبير عنها آيات القرآن الكريم التي تقول ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ۞ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين (٨) إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة ٧ – ٩]

إن الأمة الإسلامية ترسم لنفسها في عالم «متعدد الحضارات» تتفرد فيه كل حضارات الأمم والشعوب مع تمايز كل هذه الأمم في تهويداتها وتفرد خصوصياتها المعرفية وحضاريتها منها في ذلك مثل الإنسان الذي تصدع كل

٤٩ إنسانية الحضارة الإسلامية

لو شئت أن أكيف مفهومي للحضارة الإسلامية في كلمة جامعة لقلت:

الحضارة الإسلامية هي الحضارة الإنسانية، ذلك أن خصوصية الحضارة الإسلامية هي عين إنسانيتها.

■ فبي عندما تدعو الناس إلى لبها وجوهر مكوناتها وهو دين الإسلام إنما تدعوهم إلى الدين الجامع للشرائع والسنن والنبوات والرسالات، أي إلى كل مواريث الإنسانية في الدين والتدين عبر التاريخ الإنساني الطويل.

تدعوهم إلى الإسلام الجامع، الذي هو اكتمال وكمال الدين لله الواحد، والمصدقُ لما بين يديه، والمهيمنُ على ما بين يديه، أي المتضمن له والمضيف إليه، وليس النافي له، أو الناقض لما فيه.

وعن هذه الحقيقة أفصح حاطب بن أبي بلتعة [٣٥ ق هـ - ٣٠ هـ / ٥٨٦ - ٦٥٠م] عندما حمل رسالة النبي العربي، ورسول الإنسانية محمد بن عبد الله ﷺ إلى «المقوقس» - عظيم القبط - فقال له:

«إن لك ذنبا لن تدعه إلا بما هو خير منه، وهو الإسلام، الكافي به الله فقد ما سواه، وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد، وما دعاؤك إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل، ونسبة النبيين عن ابن المسيح وكذا مرتبته».

وصدق الله العظيم: «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله» [البقرة ٢٨٥] وصدق رسوله الكريم: «الأنبياء إخوة لعلا، أبوهم واحد وأمهاتهم شتى».

■ وإنسانية الحضارة الإسلامية نابعة من إنسانية الإسلام وعالميته، تلك التي جاءت لتسلك الشرائع المحلية في شريعة عالمية.. والديانات القومية في دين إنساني، والنبوات المرحلية في نبوة خاتمة خالدة.

ى إنها جاءت لتنقل بالإنسان من ضيق الأفق المحلى إلى استشراف الأفق الإنسانى وتنقذ الإنسانية من التشرذم والتعصب الذى هو نقيض وحدة الإنسانية والعالمية

وعن هذا المعنى عبّر «ربعى بن عامر التميمى» – فى جوابه عن سؤال «رستم» قائد الفرس الأكاسرة

ما الذى جاء بكم؟

فكان جواب ربعى:

«... الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»

وصدق الله العظيم: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف، ١٥٧]

■ وبساطة هذه الخصائص الإسلامية هى التى لا تسمح بالخصوصيات ولا للمحليات ولا للقوميات ولا للتنوع ولا للاختلاف والتعدد، وإنما هى للإنسانية الجامعة، التى تستوعب التنوع وتحتوى الاختلاف وتجمع صور التعبير فى إطار الإنسانى الجامع والقواسم الإنسانية المشتركة، ولا تدعو إلى اختلاف فى الدين أو تطرف فى الحق كما تقرر غير الموضعين على مر التاريخ طالما

والتعددية فى الملل والشرائع تتعايش فى عصر الرسالة الجامعة المعبود الواحد وبالعدل والتسامح وبالتعبير الحضارى المتقدم كما فى العمران الدنيوى، وفى اتحاد يوم الدين

والتعددية فى المذاهب تتعايش فى إطار الشريعة الإلهية الواحدة

والتعددية فى الأمم والشعوب والقبائل والأجناس والألسن والقوميات والمناهج والحضارات والثقافات، آية من آيات الله وسنة من سننه التى لا تبديل لها ولا تحويل، وهى تتعايش فى إطار الإنسانية الواحدة، والمشترك الإنسانى فى الفطرة الإنسانية السوية، وفى المعارف المعلومة من العقل بالضرورة، والتى لا يختلف فيها العقلاء

■ وإسلامية هذه الحضارة، تجعل العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، فتحرر المؤمنين بها من ذل الطواغيت، وتستكثرهم في ذات الوقت الذي تضمن فيه لغير أهلها حريتهم وعزتهم. وفق إعلان الفاروق عمر بن الخطاب

«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟» فهي لا تقيم تناقضا بين عزة أهلها وعزة أمم حضارات الإنسانية جمعاء

■ إنها حضارة الوسطية المتوازنة الجامعة

الجامعة بين الفرد والطبقة والأمة، فالإسلام دين الجماعة

والجامعة بين الدولة المدنية والمرجعية الإسلامية، التي لا كهانة فيها

– والجامعة بين ملكية الله للأموال والثروات، وبين اختصاص الإنسان بالحيازة وملكية المنفعة الاجتماعية بحكم استخلافه عن الله مالك الرقبة في الثروات والأموال

والجامعة بين الوحدة في العقيدة، والشريعة، والحضارة، والأمة، ودار الإسلام، وبين التمايزات والخصوصيات في المذاهب والشعوب والأقاليم والأوطان والأعراف. وصدق الله العظيم، الذي أنزل الكتاب كما أنزل الميزان، والذي جعل الوسطية جعلا إلهيا ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [البقرة ١٤٣]

■ وهذه الحضارة الإسلامية – كبغيتها العربية – مستثناة من قانون شيخوخة وموات الحضارات

ذلك لأنها – رغم مدنية علومها وبسيطة معارف أهلها – مؤسسة على المطلق الخالد والكلي المحيط وحي الله ونبأ السماء العظيم

فبالإسلام الخالد الحاكم المحفوظ إلهيًّا اصطبغت روح هذه الحضارة الإسلامية، ولذلك فإنها تجري عليها سنن النهوض والتراجع والصحة والمرض، لكن تتجدد بتجدد الإسلام الخالد، فلا تموت، فهي – والعربية – خالدتان بخلود القرآن الكريم

★ ★ ★

هكذا، نجد أن إسلامية حضارتنا هي عين إنسانيتها

بها الكلمة السواء التي إليها يدعو عقلاء كل الحضارات في عالمنا المعاصر

وهي الأرض المشتركة التي يتعايش عليها الثقافات الإنسانية المتمايزة

وهي طوق النجاة لعالم اليوم من الصراعات المدمرة التي يتسرب بها مفكرون ويسهر عليها مراكز بحث ودراسات ويخطط لها باحثون أسرى يبحثون وتسعى لإنفاذ نيرانها حكومات ومنظمات وأحلاف وجيوش

٥٠ طبيعة الاجتهاد الإسلامي الحديث

إن طبيعة الاجتهاد الإسلامي، وآفاقه، وأدوات هذا الاجتهاد، وشروط أهله كلها – بالطبع – مرتبطة بطبيعة الإسلام: الإسلام الدين والإسلام السياسي والاجتماعي والاقتصادي والحضاري، فالإسلام – كدين وضعه الله سبحانه وأوحى به إلى رسوله ﷺ – قد اكتملت أصوله وأركانه وعقائده وشعائره، وكانت منهاجه الذي هو شريعته، يوم أن اكتمل نزول القرآن الكريم، الذي بينت مجمله السنة النبوية الشريفة (وبالتحديد ما هو تشريعي منها)، وفي ذلك جاء قول الله سبحانه: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي وأرضيت لكم الإسلام دينا﴾ [المائدة ٣]، وقول الرسول – عليه الصلاة والسلام – «لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي».

لكن الإسلام الدين – كما هو معروف – لا يقف عند العقائد والشعائر وإنما يمضي ليتخذ موقفاً من شئون الحياة الدنيا وتنظيم حياة الإنسان الاجتماعية. ولما كانت شئون الدنيا متغيرة ومتطورة دائماً وأبداً، فقد وقف فيها الوحي والسنة التشريعية عند الكليات والمثل والمناهج والفلسفات والمقاصد والغايات، دون النظم والتفاصيل والجزئيات. ومن هنا كانت ضرورة الاجتهاد ملحة ودائمة حتى تستوعب روح الشريعة الواقع المتجدد، وحتى لا يخرج هذا الواقع عن النسق الإسلامي العام، وحتى تستجيب التشريعات لما يستجد من المستحدثات.

وقديماً، عندما كانت الحياة بسيطة، وعندما كانت الثقافة الموسوعية هي الطابع الذي يميز الأعلام من كبار المفكرين الإسلاميين، عرف تاريخنا الفكري المفكر الموسوعي الذي استوعب علوم الشريعة ومشكلات الواقع الذي عاش فيه فاجتمعت له وفيه كل مؤهلات وأدوات الاجتهاد.

أما اليوم، وبعد أن صمر الإبداع الفكري الإسلامي منذ العصر العباسي الثاني فالعثماني، وبعد ان تطور واقعنا وتعرض مرعاة لروح الشريعة لعقود من الزمن لاستعمار والحضارة الغربية، وبعد ان تعقدت شئون الواقع، فلم تعد تلك العلوم التي يلم بتخصصها واحد، وبعد أن غدا التخصص هو عنصر سيوء في العلوم وفي تطبيقاتها وفي مدى العصر الإنساني اليوم وأمام هذا التصور لتحديد في ميادين الفكر وميادين الواقع، فلابد وأن يتحد الاجتهاد الإسلامي أسلوبا جديدا ليلبي احتياجات هذا الواقع بتحدياته وهل يستطيع ولي الأمر وأصحاب الحل والعقد لم يعودوا هم الأقدرين من علماء الشريعة وحدهم، بل لابد أن يشملوا كل خبراء «الدنيا» مع الأقدرين من علماء الدين ولابد من تطوير المؤسسات الفكرية التي تجمع هذه الخبرات الدنيوية والدينية معًا حتى يمكن تحقيق الاجتهاد الإسلامي من جديد إن الاجتهاد هو عقد قران بين روح الشريعة ومقاصدها وبين واقع مصالح ومصالح المتجددة، على النحو الذي يحقق مصلحة مجموع الأمة بما لا يخرج عن روح شريعته ومقاصدها وكما يلزم لمؤسسة عقهاء أن يعرفوا نقرأ وعلومه وأسبابه وعلومها، والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفصل، والعام والخاص وتراث الأولين في الشريعة إلخ إلخ كذلك يلزم لهذه المؤسسات أهل الذكر والخبرة بمناهج العلوم الحديثة تلك التي توصلت إلى حد الذي يستحيل أن يقطع فيها العالم الموسوعي كما كان في القديم فالاجتهاد الإسلامي هو المعاصر الحديث صانع القرار الإسلامي في قضايا الواقع المتغير والمتجدد يحررون مشاكله ويعرفون مقدار تعقد الواقع ومشكلاته يعرفون أن صانع القرار لابد من توجيهه حتى تتضح وتتضح المؤسسات وهذا لا يعني الحجر على الإبداع الفردي، فهو المنطلق الذي لابد وأن يتاح لأصحابه كل الفرص والإمكانات، والمقصود هنا هو تخصيب مناخ الفكر وإزالة وخداع الواقع وأهل الذكر في مشكلاته، لبناء الاجتهاد أو صناعة القرار الإسلامي عبر المؤسسات القادرة على تصميم هذه العملية أقرب ما تكون إلى الدقة والصواب

هذا ملمح من ملامح الاجتهاد كما أراه

وملمح آخر أن من سمات عليه بعض السلوك فحين نرصد بعض الممارسات التي هي وافد غربي وجد أن غربي يمسك ورقة نرصد أنه يعني بس فقط بعض بين الدين الإسلامي وواقع الذي يعيشه المسلم في أنه يصلي ويصوم ويحج يعني عصر حاضر ماضي ومستقبلهم عن تراثهم حضارتي وتحويله إلى هامش للحضارة الغربية الأمر الذي يفقده جوهر شخصيته، وهو الاستغلال الحضاري لنحن نرصد هذه الظاهرة لكي نقدمها نحن لا نبتدع صورة «رد الفعل العاصف» الذي يسقط للتمسك بكل قديم بحجة أنه قديم بل يجب أن نميز بين النصوص وبين مقاصدها هذه النصوص وشرعتنا مقاصد وهم مقاصدها هو الله كما يقول الإمام الشافعي ابن العم وسنة محمد نصوص ويجب أن نميز بين نصوص تؤدي القطعية الدلالة والثبوت وبين النصوص الأخرى وخاصة أحاديث الآحاد والموضوعة، أو الضعيفة، هذه تلك التي لا تتسق منطقها عندما نعرض على روح الشريعة ومنطق القرآن الكريم ويجب أن نميز في السنة النبوية الشريفة، بين ما هو «تشريعي» يتعلق بتبليغ الوحي وتفصيله وتبيينه، وبين «غير التشريعي» المتعلق بأمور دنيوية يتحاور فيها البشر الذي هو قانون وسنة من سنن الله في هذا الكون ويجب أن نميز بين الشريعة – التي هي نهج ومقاصد – وبين تطبيقات السلف والخلف، الآدميين فالشريعة «دين وضعه الله» وهي من الثوابت، أما تطبيقات السلف واجتهاداتهم الآدميين فإنها ليست ديناً، وهي ليست ثوابت ملزمة لمن يعيش واقعاً مغايراً للواقع الذي عاشوا فيه واجتهدوا له

قد تبدو هذه الفصايا عند المستنيرين أمراً بديهياً من بديهيات الإسلام وهو حكمه بديهيات – وهي كذلك بالفعل – لكن ما «الحيلة» ونحن نشهد من مظاهر التعصب على صوفان «العلمانية» والانزعاج من شيوع الانغلاق على روح الإسلام، نشهد «ردة فعل نصوصية» تعتصم في جمود بكل ما هو قديم

نشهد جماعات تتكون، وتحكم على كل المسلمين بالكفر والجاهلية من تستبيح حرمات الدم والمال انطلاقاً من نصوص هي أقرب ما تكون إلى القصص والإسرائيليات، تسمونها «أحاديث آخر الزمان» ونشهد جماعات تعتزل مساجد المسلمين وتنهض لبناء مسجد خاص بها فيسيرون على نهج كما حدث في مدينة الجزائر منذ سنوات حيث دفعة، يتضررون من «سنة» حتى بنو مسجدهم في

المكان الذي «تبرك» فيه. ويشهد جماعات تبلغ بها الغلو إلى الحد الذي يجعلها «تتعبد» لا بالنصوص الدينية فقط، وإنما «بوقائع التاريخ». فإذا كانت دعوة الإسلام قد انتصرت في خيبر، فإن الدعوات التي لا تحقق الانتصار في جيل هي أنظرهم غير إسلامية! وإذا كان صلح الحديبية قد استهدف مهادنة قريش لعشر سنين، فإن المعاهدات المشابهة إذا زادت مدتها عن عشر سنوات تصبح غير إسلامية... إلخ... إلخ.

نعم نحن نشهد «العلمانية» التي تتخلص من كل الموروث الإسلامي، بينما تجمد أنصارها عند النصوص المفكرين الغربيين. ونشهد رد الفعل الغاضب ضدها الذي يجمد أصحابه عند كل موروث! والمطلوب هو التمييز بين «الدين» الذي وضعه الله وأوحى به، وتطبيقات السلف لهذا الدين على واقع عصرهم الذي تغير وانقضى. التمييز بين «الثوابت» و«المتغيرات». التمييز بين المقاصد وروح الشريعة وظواهر النصوص. التمييز بين النصوص المتعلقة بالعقائد والأصول والنهج والحدود والحلال والحرام وتلك التي جاءت تقنينا لواقع دنيوي هو متغير بالضرورة. فذلك ملمح آخر من ملامح الاجتهاد، كما أراه.

بالطبع هناك ملامح أخرى، لكن نقف عند هذه الأمثلة - وهي كافية في الدلالة وصالحة كي نقاس عليها - حتى لا نطول بنا الحديث فنخرج عن حيز المقام.

٥١ فى النموذج الثقافى

على المستوى الإنسانى وفى مختلف الميادين، ينهض «النموذج» بدور محورى فى تحديد «الأسوة» و«القدوة» التى تنهض بدور «البوصلة» المحددة والمرشحة لتوجهات الإنسان فى مختلف ميادين الحياة.

ففى الأسرة «نموذج الأب» وفى الأمة «نموذج البطل» وفى التاريخ «نماذج الانتصارات» وفى العلاقات الدولية والإقليمية «نموذج الوطن» وفى العقائد والأيديولوجيات «نموذج الدين» إلى آخر النماذج التى تأسر الإنسان على توجه بعينه وطريق بذاته عند مفترق الطرق وتعدد الخيارات. وفى اللحظة التى يتم فيها اختيار «النموذج» يحدث الإفصاح والإعلان عن انتماء «الذات»، ومن ثم تميزها عن «الآخر»، الذى عدلت عن اختياره «نموذجا» فى هذا الميدان من ميادين الاختيار.

والميدان الثقافى ليس فقط واحدا من هذه الميادين التى يتم فيها اختيار الإنسان «نموذجا» دون الآخر بل إن «النموذج الثقافى» يكاد أن يكون بعد اختياره والانتماء إليه، والولاء له المعيار الذى يحدد ويرجح «النماذج» التى يختارها الإنسان فى العديد من المجالات والكثير من الميادين.

فالثقافة التى صنعت هوية الإنسان هى الموجّه لاختياراته لنماذج الأسوة ومناهج القدوة والمثل والمعالم التى تجعله يوالى هذا ويعادى ذاك وينشط بعد المقصد ويعدل عن سواه، ويضحى فى هذا السبيل ولا يلتفت إلى ما عداه. والنموذج الثقافى هو المحدد «للنموذج المستقبل» الذى يسعى الإنسان إلى صنعه وتحقيقه فى الواقع الاجتماعى الذى يعيش فيه.

وإذا كان الله – سبحانه وتعالى – قد خلق الناس جميعا من نفس واحدة فلقد اقتضت حكمته وحتى يتم استباق الناس على طرق الاستعمار للأرض وتنافسهم فى تحصيل المنافع وتدافعهم لحيازة الخيرات المادية والمعنوية شاء الله – سبحانه – أن تتوزع البشرية إلى تعددية فى الشعوب والقبائل والأمم

والالسن [illegible] واختلاف وسرائه وضرائه على نفس و مقوماته والحضارات والثقافات

وإذا كانت «الذات» إنما تعرف بالسمات الثوابت التي تميزها عن الآخر وتميز الشخص الذي يخضع لهذا الآخر وهذا واقع يتم تعريفه الإسلامية الحديث، وتمثله صراع هو واقع الاحتلال واقع ثقافي وحضاري مع نتائج غربي شديد وغير [illegible] وخروج حرب سواء في تحديد هذا الآخر الثقافي، الذي يعرف بالتحديد بمفهوم مصدره التصور الثقافي الإسلامي عن التصور الغربي الذي يعني ذلك تحديد المشترك الإنساني العام في العلم عن العلوم والمعارف التي لا تحد بحدود وقوانينه وتعرف معارفه وتدريبها في العصر الذي تحدث في مجتمع الذي تثقف عنه وتشارك «الذات الثقافية» بالإنسانية جمعاء

والإسلام هو المكون الذاتية الثقافية وهذا المفهوم تصوره الثقافي وتصوره عن الآخر الغربي قائم فقط حيث يكون التغيير والتأثير والأمر نحن نحصر علاقة بتصورنا الثقافي [illegible] بالآخر هي علاقة «التصور والمعرفة» التي هي [illegible] بين عنوين هو الأمر الذي نرى هذه العلاقة «قطبية» وتصادم وهو الذي نعرفه الذي نرى هذه العلاقة علاقة صدامية وتحاشد

فكيف نحدد الخصائص الإنسانية عن التي حسبه مع شركاء العالم في حدود الإنسان كيف نحدد ذلك الثقافة الإسلامية عن هذه الثقافة الغربية نحدد الذي يجمع كل البشر مع اختلاف ألوانهم وألسنتهم وتعارفهم على سواء وذلك بالتفكير والعقل لتحديد الإنسان الإنساني في كثير من خصائصه التي تميز كثيرا من التجارب والخبرات والعبادة والشعائر

هذا الله سبحانه وتعالى لم تختص بأنه يتكلم ويعبد ويتقي لا يعصى ويطاع ولا يترك ولم يقدم ولم يتخذ ولم يتخذ عن البعد والتنوع والاختلاف ولكن هذا التنوع عدة في عوالم البشر والكون والإنسان والأفكار

وليس كالتصوير والتقديم والأسوة معاصر يتحكم في عالم الثقافة والأفكار والحضارات إنه المدخل والمعيار لتمييز «الذات» عن «الآخر» وإلا [illegible] «الذات» و«الآخر» من تميز أو اختلاف

٥٢ النموذج الثقافى.. ماذا يعنى؟

«النموذج» هو التصور والمثال الذى يتحول إلى «معيار» فارق ومميز فى النسق الفكرى، المنظومة فكرية أو عقدية أو حضارية أو ثقافية عن غيرها من المنظومات المتميزة – هى الأخرى – فى النموذج والتصور والمثال.

و«الثقافى» هو جماع ما يعمر النفس الإنسانية ويصوغها ويهذبها من سائر ألوان الإبداع وعطاء إبداع الإنسان وعطاء المخلص وهو «الثقافى» مع «المدنى» الذى هو جماع ما يتحدد به ويعمر الواقع المادى، ويرتقى ويتهذب، فمثلا جماع «الحضارة» و«العمران» فالثقافة عمران النفس الإنسانية، والتمدن عمران الواقع المادى، ولذلك كان الاشتراك الإنسانى فى «التمدن» أى فى عمران الواقع المادى أكثر مما هو فى «الثقافة» التى هى عمران النفس الإنسانية، إذ فيها تتجلى الخصوصيات بين الأمم والتصورات لاستعصاء النفس، ومن ثم مقومات تهذيبها وعمرانها على النمطية والقولبة والتكرار الوارد فى عمران الواقع المادى.

ولأن الإسلام – كمنظومة عقدية، تكون من حولها نسق فكرى – قد مثل «الرحم» الذى ولدت منه الأمة الواحدة، والدولة الواحدة، والدار الواحدة، والصبغة التى صبغت حضارة الأمة ومنزلها عبر الزمان والمكان، وذلك فضلا عن الوحدة فى العقيدة والشريعة، حتى لكأنما قد خرجت أمته من بين دفتى قرآنه الكريم، لأن هذه هى المكانة المحورية للإسلام فى حياة الأمة، فلقد صاغ الإسلام إنسان هذه الأمة، وحدد له معالم الطريق لبناء العمران الدنيوى، ولضمان النجاة الأخروية صاغ الإسلام لإنسانه وأمته المعايير التى تؤيد الثقافة التى نهضت بمهام العمران وتهذيب الإنسان المسلم، إن فى خطابه التزامه بالنموذج والمعيار والمثال والتصور، وإن فى الخطاب انحرافه عنه لأن الضمير الذى

صنعة المجتمع الإسلامي بحيث لا انحراف عن هذا النهج، هو الاستقامة والحرص على ما يتعارض مع تعاليم الإسلام وقيمه التي لا تتغير ولا تتبدل.

تلك هي مكانة الإسلام في صنعة المجتمع المثالي.

ولقد أبدع الإسلام على هذا الدرب في صنعة المجتمع المثالي، صنعة لا مثيل لها في تاريخ الإنسانية وصنعة تختلف كل الاختلاف عن الصنعات الأخرى التي كانت أو ما زالت في أيدي المجتمعات الأخرى قديمها وحديثها، على اختلاف أنواعها وأشكالها. وهي صنعة تتميز بالتوازن والتكامل بين الجانب المادي والجانب الروحي، بين الفرد والمجتمع، بين الحاضر والمستقبل، بين الدنيا والآخرة، بين العقل والعاطفة، بين العلم والإيمان، بين الحق والواجب، بين الحرية والمسؤولية، بين الحقوق والواجبات، بين الحاكم والمحكوم، بين الغني والفقير، بين القوي والضعيف، بين الرجل والمرأة، بين الأبيض والأسود، بين العربي والأعجمي، بين الشرق والغرب، بين الشمال والجنوب، بين الأمم والشعوب، بين الأفراد والجماعات، بين الدولة والدولة، بين العالم الغيبي والعالم الشهادة، بين الدين والعلم، بين الروح والمادة، بين الفكر والعمل، بين الحرية والانضباط، بين الفردية والجماعية، بين الاختلاف والائتلاف، بين الاستمتاع بالحلال بنية التقوى في الدنيا وطلبات الحياة عبادة لله، وبين الامتناع عن الحرام في كل الأحوال.

الإسلام هو الذي منح هذا المجتمع الشامخ هذا الروح الذي يتحدى الزمان والمكان، وهو الذي منحه الطابع المتميز الذي لا يشبه أي طابع آخر في أي مجتمع من المجتمعات الأخرى، قديمها وحديثها، وهو الذي منحه الشخصية المتفردة التي لا تتكرر في أي مجتمع من المجتمعات الأخرى، قديمها وحديثها، وهو الذي منحه الهوية المتميزة التي لا تتشابه مع أي هوية من الهويات الأخرى، قديمها وحديثها، وهو الذي منحه الصبغة الخاصة التي لا تتماثل مع أي صبغة من الصبغات الأخرى، قديمها وحديثها، وهو الذي منحه الصفة الخالدة التي لا تتغير مع أي صفة من الصفات الأخرى، قديمها وحديثها، وهو الذي منحه الاسم الذي لا يتبدل مع أي اسم من الأسماء الأخرى، قديمها وحديثها.

الإسلام هو الذي صنع هذا المجتمع الفريد من نوعه، الذي لا يشبه أي مجتمع آخر، والذي لا يتكرر في أي مجتمع من المجتمعات الأخرى، قديمها وحديثها.

الإسلام هو الذي صنع هذا المجتمع الذي يتحدى الزمان والمكان، والذي يتحدى التغيير والتبديل، والذي يتحدى الفناء والزوال، والذي يتحدى النسيان والإهمال، والذي يتحدى الضعف والانهيار، والذي يتحدى الفرقة والانقسام، والذي يتحدى الجهل والتخلف، والذي يتحدى الظلم والاستبداد، والذي يتحدى الفقر والحرمان، والذي يتحدى المرض والأوبئة، والذي يتحدى الكوارث والنكبات، والذي يتحدى الحروب والصراعات، والذي يتحدى الفتن والمحن، والذي يتحدى الشدائد والأزمات، والذي يتحدى المصائب والنكبات، والذي يتحدى الأعداء والخصوم، والذي يتحدى الشيطان وجنوده، والذي يتحدى الدنيا وزخارفها، والذي يتحدى الهوى والشهوات، والذي يتحدى الغرور والكبرياء، والذي يتحدى الحسد والبغضاء، والذي يتحدى الكذب والنفاق، والذي يتحدى الخيانة والغدر، والذي يتحدى الظلم والعدوان، والذي يتحدى الفساد والإفساد، والذي يتحدى الشر والأشرار، والذي يتحدى الباطل وأهله، والذي يتحدى الكفر والكافرين، والذي يتحدى الإلحاد والملحدين، والذي يتحدى الشرك والمشركين، والذي يتحدى النفاق والمنافقين، والذي يتحدى الرياء والمرائين، والذي يتحدى العصبية والعنصرية، والذي يتحدى التعصب والتطرف، والذي يتحدى الإرهاب والإرهابيين، والذي يتحدى الجريمة والمجرمين، والذي يتحدى الفساد والمفسدين، والذي يتحدى الانحلال والمنحلين، والذي يتحدى الإباحية والمباحيين، والذي يتحدى الشذوذ والشاذين، والذي يتحدى الإلحاد والملحدين، والذي يتحدى الكفر والكافرين، والذي يتحدى الشرك والمشركين، والذي يتحدى النفاق والمنافقين، والذي يتحدى الرياء والمرائين، والذي يتحدى العصبية والعنصرية، والذي يتحدى التعصب والتطرف، والذي يتحدى الإرهاب والإرهابيين، والذي يتحدى الجريمة والمجرمين، والذي يتحدى الفساد والمفسدين، والذي يتحدى الانحلال والمنحلين، والذي يتحدى الإباحية والمباحيين، والذي يتحدى الشذوذ والشاذين.

الحضارة. وذلك حتى تتحقق المقاصد الإلهية من وراء خلق الإنسان واستخلافه في الأرض لاستعمارها وعمرانها، وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة [البقرة: ٣٠]، هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها [هود: ٦١].

فالإسلام هو صانع وصانع هذا النموذج الثقافي للأمة الإسلامية التي تصنعه، وفق المعايير التي وضعها الدستوري فيتحقق بذلك النموذج الإسلامي في الحياة.

٥٣ من أين تأتى معارف الإنسان؟

لقد أقام الغرب نهضته الثقافية الحديثة والمعاصرة على المذهب الوضعي وبدأ إبان ثورة فلسفة التنوير الأوربية على الكنيسة والمقدس واللاهوت والوضعية هي المذهب الذي يرى أن الفكر الإنساني لا يمكن أن يسمى علماً ولا معرفة حقيقية إلا إذا كان مصدره الواقع. فالظواهر الواقعية والمحسوسة وما بينها من علاقات أو قوانين، هي مصدر المعرفة الحقة والحقيقية، فالحق هو ثمرة التجربة، وحتى العقل، فليس له من عمل إلا مجرد تنسيق معطيات التجربة وتنظيمها. والمثل الأعلى في الثقافة الوضعية الغربية لليقين المعرفي هو العلوم التجريبية. أما غير الظواهر المحسوسة فوهم، ولذلك رأى المذهب الوضعي وفلاسفته أن تاريخ العقل قد مر بحالات ثلاث: الحالة اللاهوتية، ثم الحالة الميتافيزيقية، ثم الحالة الواقعية الوضعية التي تأسس عليها النموذج الثقافي لعصر النهضة الأوربية.

فالفلسفة الوضعية الغربية، ومن ثم نموذجها الثقافي الذي شاع في كل أرجاء الحضارة الأوربية، قد أقامت المعرفة على مصدر واحد هو الواقع المادي وحقائق عالم الشهادة لأنها جاءت ثمرة للتنوير الأوربي الذي حل العقل والعلم والفلسفة محل الله والدين واللاهوت، والذي اعتبر أن المرحلة اللاهوتية من مراحل تطور العقل البشري هي مرحلة طفولة هذا العقل تجاوزها إلى المرحلة الميتافيزيقية، ثم إلى المرحلة الوضعية الواقعية والمادية. فالكون والواقع هما المصدر الحق للمعرفة الحقة.

لكن التصور الإسلامي لم يقف بمصادر المعرفة عند العالم والكون وحدهما وأيضاً لم يهمل هذا الكون أو يخرجه من نطاق مصادر المعرفة والعلوم. وإنما جاء حديث القرآن الكريم عن أن هذا المصدر الكوني لا يفي وحده بتفسير حقائق

المعرفة عبر تاريخ المعارف الإنسانية. فقال ﴿ولكن كثيرا من الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ [الروم ٦ ٧] ولم يفكروا في تفسيم وحي الله بالسموات والأرض وما بينهما بالحق وللأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون ﴾ [الروم ٦ ١٠] ثم يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ﴾ [الروم ٦ ١١]

فالمعارف عامة عن الحياة الدنيا وعالم الشهادة هي المعارف الوضعية وهذه لا تستطيع أن تعرف الحق الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وحقائقها ومعارف لقاء الله في اليوم الآخر بعد هذه الحياة الدنيا. ولا سبيل إلى تفسير عقيدة الأمم التي أخذها الله بالبأساء والضراء وتضرع لا تفسير هلاكها بالمعارف الوضعية وحدها

لا سبيل إلى تفسير هذه المعارف التي تتحدث عنها الوحي الإلهي بمعارف عالم الشهادة وحدها فنحن هنا أمام سنن غير معتادة لا سبيل إلى معرفتها بحقائق الواقع المادي وحده

ولذلك، فإن النموذج الثقافي الإسلامي، في مصدر المعرفة وفي طبيعة عالم الشهادة والواقع المادي، كمصدر للمعرفة، فإنه لم يكتف بهذا المصدر وإنما أضاف إليه عالم الغيب وهو السماء، وكتاب الوحي، والأدلة والمعارف وحدد هذه المصادر المعرفة التي لا تصدر عن الواقع المادي ولا يستقر بها بإدراكها ولا تخضع لتجارب الحواس فقدم هذا النموذج الثقافي الإسلامي المعرفة على أساس ثنائي وعندما تعارض مصدرين كما إذا تعارض الوحي وكتاب الكون المنظور الأمر الذي جعل النموذج الثقافي الإسلامي يدلل بدلا من إضعافه على سبق وتفوق كما هو الحال في النموذج الثقافي الذي أنتجته الوضعية الغربية

ومن لقد اعتبر القرآن الكريم أن هؤلاء الذين لا يعتمدون المعرفة الكاملة إنما يفقون بعلمهم عند ظاهر الحياة الدنيا فعلمهم قاصر وحكمهم وتقييمهم أعمالهم وهم لا تدرك العقول والحواس ﴿ولكن كثيرا من الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [الروم ٦ ٧]

فالإسلام - وبنموذجه الثقافي والفلسفي - لم يبخس الكون والعالم والواقع حقه - كمصدر للمعرفة - ولكنه لم يكتف به وحده مصدرا للمعرفة، وإنما أضاف إليه آيات الوحي الإلهي لتنضم إلى آيات الله في الأنفس والآفاق.

وكذلك كان حال التصور الإسلامي مع سبل المعرفة وأدواتها، فعلى حين وقفت الفلسفة الوضعية عند «العقل» و«التجربة» كسبل للمعرفة، وجدنا الإسلام يضيف إليهما «النقل» و«الوجدان» وهي السبل التي سماها الإمام محمد عبده «الهدايات الأربع» التي تتعاون وتتساند وتتفاعل لتحقق الثقافة الإنسانية التوازن الجامع بين «العقل» و«النقل» وبين «التجارب المحسوسة» وبين «الأسماء».

٥٤ علاقة المعارف بالإسلام

في العقود الأخيرة عقدت الكثير من المؤتمرات بل وقامت عدة مؤسسات تدعو إلى «إسلامية المعرفة» وعلى الرغم من أنجاز ومناقشات هذه المؤتمرات وجهود هذه المؤسسات لا تزال هذه الدعوة محاطة بكثير من الغموض وفوق ذلك يثير الكثير من الجدل بين أنصارها وخصومها حتى ليكشف هذا الجدل وتلك هي المفارقة الأكبر أنها غير مفهومة على النحو الجيد عند كثيرين من هؤلاء الخصوم والأنصار على حد سواء.

فالبعض من خصوم إسلامية المعرفة يظن أنها تعني الدعوة لاكتفاء المسلمين بعلوم حضارتهم عن علوم الحضارات الأخرى بل والحكم بكفر علوم تلك الحضارات.

والبعض - من رافعي شعارات إسلامية المعرفة - يكتفون في تقديم نماذجها بنقل نظريات العلوم الغربية الاجتماعية والإنسانية والطبيعية ويمرون عليها مجموعة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ثم يقدمونها إلى القراء على أنها هي «المعرفة الإسلامية».

لذلك كانت ولا تزال هذه القضية في حاجة إلى الجلاء الذي ينصف حقيقتها من ظلم كثير من الخصوم والأنصار على حد سواء!

وإذا نحن شئنا تعريفًا بسيطًا ودقيقًا ووافيًا لإسلامية المعرفة أو للتأصيل الإسلامي للمعرفة - فإننا نستطيع أن نقول إنها الإيمان بوجود علاقة ما بين المعارف والعلوم التي يكتسبها الإنسان وبين الإسلام الذي يتأثر به هذا الإنسان الذي يكتسب هذه المعارف ويحصل هذه العلوم وذلك انطلاقًا من تأثيرات عقائد الدين وأحكام شريعته ومعايير التدين به على العادات والتقاليد والأعراف والمواريث والآداب والفنون التي صاغت وتصوغ «النموذج الثقافي» لهذا الإنسان الذي يخوض مدارس البحث والاكتساب للمعارف والعلوم.

فالمعتقد الديني يلوّن نظرة الإنسان للحياة، ويضع فلسفة رؤيته للكون ويؤثر

في تحديد مقاصده من وراء العلاقات الاجتماعية وينهض به الرئيسي في تحديد معايير الحلال والحرام، والمقبول والمرفوض، والولاء والبراء والانتماء والمفارقة وقسمات الدار، وسمات الحضارة التي تسهم في تشكيل المجتمع الإسلامي في مختلف شئونه التي تمس المعارف والعلوم والمعارف والعلوم.

وإذا كان التصنيف الموضوعي للمعارف والعلوم يتم بتجلية موضوعات مباحث هذه المعارف والعلوم فإن

- العلوم الشرعية ومن ثم علوم العقيدة وأصولها وفقهها وتفسيرها وعلوم القرآن الكريم وعلومه، والحديث النبوي الشريف وعلومه، إلخ
- والعلوم الإنسانية والاجتماعية من مثل الاجتماع والاقتصاد والسياسة والفلسفة، والنفس، والآداب والفنون... إلخ
- والعلوم التجريبية والتطبيقية من مثل علوم الطبيعة والكيمياء والفلك وعلوم الأرض والهندسة والطب والبيولوجيا والزراعة والصيدلة إلخ

إذا كان تصنيف العلوم - بحسب موضوعاتها هذه العلوم لا تضع كل هذه العلوم في خانة واحدة فإن نوعية وطبيعة العلاقة بين الدين وبين المعارف والعلوم تتمايز وتختلف هي الأخرى فطبيعة العلاقة التي تربط الإسلام بمعارف وعلوم الدين وبين علوم الشريعة عقيدة وشريعة وأخلاقا ومنهجه لا تشرع وتوحي وتأسس - أي الوضع الإلهي لطبيعة هذه الموضوعات هذه العلوم الشرعية حتى تسمي هذه العلوم علوما شرعية ومعارف دينية بإطلاق وتعميم، ودونما خلاف على هذه التسمية بين الجمهور العلماء والباحثين، حتى إن الاختلاف يستمر فيها وفكر الإسلامي في علاقة العلوم والمعرفة الإنسانية تمكنت في موضوعاتها محكمة بنصوصها ومحكماتها ومقاصدها ومبادئها التي هي وضع إلهي ثابت ووحي سماوي خالص يمثل الإطار المحكم لأي تفكر أو اجتهاد وتجديد في هذه المعارف والعلوم

فعلاقة معارف العلوم الشرعية كاملة وشاملة كما تستجيب للإطار النصوصي كاملة وشاملة، وكما هو الحال مع مادية المعارف التي تكتسب هذه

فلا خلاف على العلاقة العضوية والعروة الوثقى بين الإسلام وبين معارف العلوم الشرعية لكن حال هذه العلاقة، ودرجة هذه الاستجابة تختلف كثيرا عن معارف العلوم الاجتماعية والإنسانية وفي حين تتسم طبيعة

٥٥ الإسلام وفلسفة العلوم

الدين الإسلامي – وهو وحي الله – سبحانه وتعالى – ونبأ السماء العظيم هو موضوع العلوم الشرعية الإسلامية – العقيدة وأصولها والفقه وأصوله والقرآن وعلومه والسنة وعلومها – إلخ – فغاية هذه العلوم هي إقامة الإسلام ومن ثم فدرجة الإسلامية في معارف هذه العلوم كاملة وليس على هذه الإسلامية للمعارف الشرعية خلاف بين العقلاء

لكن حال علاقة الإسلام بمعارف العلوم الإنسانية والاجتماعية تختلف عن حال علاقته بهذه العلوم الشرعية؛ أي إن نسبة إسلامية المعرفة في العلوم الإنسانية والاجتماعية – اقتصادًا واجتماعًا وسياسة وفلسفة ونفسًا وآدابًا وقيمًا – إلخ – ليست كاملة ولا سامية ولا منطلقة لأن موضوع هذه العلوم الإنسانية ليس هو دين الإسلام وإنما هو النفس الإنسانية التي ليست دينًا خالصًا لكن تجاربها وخبراتها واختباراتها وفلسفاتها وأحلامها وأشواقها تتأثر وتتلون وتتصبغ بعقائد الدين ومبادئه وأحكامه وفلسفته في التشريع فمناهج وتجارب وحقائق ومقاصد هذه العلوم الإنسانية والاجتماعية موضوعها النفس الإنسانية – على المستوى الفردي والاجتماعي – ولأن هذه النفس الإنسانية قد اصطبغت وتأثرت وتلونت بعقائد المطلق الديني ومعايير الحلال والحرام الشرعية وصاغتها بعادات وتقاليد والأعراف والمواريث المصطنعة أو المتأثرة بمطلقات الدين وأيضًا للتنوع وتعقد عوائد النفس الإنسانية وفرادة واختلاف تجاربها الاجتماعية والروحية والفنية كان تلون وتمايز المعارف الإنسانية في ميادين هذه العلوم فمهما تعد ضوابط موضوعيتها تظل مستعصية على الحياد الذي تتميز به حقائق وقوانين ومعارف العلوم المادية – الطبيعية – ومن هنا فإن نسبة الإسلامية لمعارف العلوم الإنسانية والاجتماعية هي حقيقة لا يمارى فيها العقلاء وإن كانت درجتها أقل من إسلامية العلوم الشرعية

س إ تنبرار المعنف لدينى نصر فاعله فى نفوس بدس عرفو من لدين
وتحدو قبه تمص كف نفوس حمص الر الاعدى [١٢٥٤ ١٣١٤هـ =
١٨٣٨ ١٨٩١م] كبر الحر- احمدص عن هم عرفو من بوحدنية بله
وعبسته وحدسكه وبنه نره نصر قسم ثقافت وعدنه وعصبسه وحتى
و رقهم بحر ه، قسطر كره به ب علا لنفوس هولاء المتحدين قبه

ف عرفه وثقى بى حد كبير نبر مصنفة الدينى وبين بستوى الأسدى فى
معارف العلوم لإنسانية والاجتماعية

وبلى هذه العلوم الانسانيه والاجتماعية، فى العلاقة بالمطلق الدينى
حقائق ومعارف وقوانين لعلوم بصنعة فغير هذه العلوم التى تعتبر هذه
موضوعاتها يكون الحياد كاملا، و بموضوعيه تامه فى الحقائق و معارف
و نفوس المستخلصة من التجارب فى موضوعات هذه العلوم كالعلوم
تجارب الصوء وتجارب والفيزياء والكيمياء والعلك وطبقات الارض
موضوعاته وثبتة ثبات موضوعاتها المادية، وما تصور عليه وابتركم
بعرفى و تجربات والاصطدام الاعمراب بقوى لقدرات الإنسانيه على سبر
عوارها، والتقدم على درب كشف اسرارها وبسب واحدة من احداث و عناصر
ديانات وعقائد وفلسفات وثقافات بقائمين على بحث والتجربة فى هذه
هذه العلوم

فلا اسلمة على الاطلاق فى حقائق و نواميس والمعارف المستخلصة من
التجارب العلميه على صور وموضوعات هذه العلوم بصنعة وبتعارف فى
الاسمة فقط – فى توظيف هذه الحقائق لمجاهده بالعلوم بالمعرفة
قادرين على مستوى الفردى والاجتماعى بصنع توظيف هذه الحقائق
لمجاهده بأخلاقيات الدين وقيمه، بتحقق مقاصده الشرعيه بتحقيق
لدين فى توظيفه فيما يخالف حكم الله

فحدوث تجارب زراعه العنب مثلا – لا يختلف باختلاف عقائد القائمين
بزراعته لكن هذه العقائد هى التى تحدد وتصنع توظيف هذه الحقائق
العلميه المحايده فالبعض يوظف لاستثمار العنب كى يكون خمرا و البعض
يوظفها فى زراعة العنب عند عند الحلال

وكذلك الحال مع حقائق وقوانين علوم الوراثة والجينات، وهي ثابتة ومحايدة، تقف العقائد عند حدود ضوابط وطرائق، فالبعض يشوه بها خلق الله ويحيط بها الإنسان، بينما تضبط الأسماء وطرائقها وتطبيقاتها بمقاصد الشريعة الإلهية وأخلاقيات الدين، وقيم الإيمان الديني.

فإسلامية المعرفة، أي العلاقة بين المطلق الديني وبين المعارف الإنسانية النسبية، قائمة دائماً وإن أنكر نسبتها ومدى نيتها هي التي تتفاوت وتختلف في الدرجة، وذلك باختلاف حقول وموضوعات المعارف الإنسانية، فهي غائبة جداً في العلوم الشرعية، وكثيرة في العلوم الإنسانية، وواقفة في العلوم الطبيعية عند فلسفات تطبيقات قوانين هذه العلوم.

٥٦ عن اسلامية المعارف والعلوم (١)

بعض الجلساء – وبعض الجهلاء – يحاولون تشويه قضية إسلامية المعرفة وعلاقة الإسلام بالمعارف والعلوم بادعاء أن هذه الإسلامية تعني وجود «كيمياء مسلمة» وأخرى «كافرة»، وتعني وجود «فيزياء مسلمة» وأخرى «كافرة»، وهكذا في سائر العلوم الطبيعية.

بينما الذي تعارف عليه، ويلح عليه دعاة إسلامية المعرفة هو أن الإسلامية في علاقة الإسلام بمعارف وقوانين وحقائق العلوم الطبيعية لا تعدو ضبط فلسفات ومقاصد تطبيقاتها بأخلاقيات الإسلام في الاجتماع والعمران.

ذلك أن حقائق تجارب علوم من مثل الفيزياء والكيمياء والطب والوراثة والفلك وطبقات الأرض ... هي حقائق موضوعية وثابتة ثبات موضوعاتها المادية وما يتطور فيها والتراكم المعرفي والتحديدات والإضافات ... تنمو القدرات الإنسانية على سبر غورها والتقدم على درب كشف أسرارها وليست نابعة من اختلاف وتمايز ديانات وعقائد وفلسفات وثقافات ... على البحث والتجريب في ميادين هذه العلوم، فلا نسمه على الإطلاق في الحقائق والقوانين والمعارف المستخلصة من التجارب العلمية على مواد وموضوعات هذه العلوم الطبيعية. وإنما نرد الأسمة فقط في توصيف هذه الحقائق المحايدة والقوانين الموضوعية، فالتدين على المستوى الفردي والاجتماعي يضبط توصيف هذه الحقائق العلمية المحايدة بأخلاقيات الدين وقيمه في الاجتماع والعمران، لتحقيق مقاصده الشرعية ومثله الأبهية. بينما الانفلات العلمي من الدين قد يوظف هذه الحقائق العلمية فيما يخالف أحكام الدين.

فحقائق تجارب زراعة العنب – مثلا – لا تختلف باختلاف عقائد القائمين بزراعته، لكن هذه العقائد هي التي تحدد وتضبط اختيارات الزارعين لهذا العنب

اى بضبط توظيفهم لحقل علم ز عة بعين فالبعض من يوصف بمؤسسة ر
الاكثر ربحا وفو قه عد بمثقف ديبوبه بحثه فيرى في حق بعين حصرا
الوظيف امحب لحد ذو عبم زعمه سمت بمثقف بعض بخلاف من
اخلاقيات اديبه وقيمه وحكمته عد بوصف نموذ عبم زرعه بعين في
بضبط خلا ، د كب وضيفه العلم بمبغي د خلاقيات الا ب

وكت بد بع حقيقة بقد س علوم بورثه واحبيب وهي نابعة
لا بتغير بتغير عبس عليها تقف العقائد عند حدود ضوابط توظيف هذه
الحقيقة المقدسة مهددة بمبغير بوظيف ما كان منغلت من ضوابط الدين
في بشاءه خلق به وخلعه لانسان بقد بضبط لاسنه وصانف وبتلمس
هذه بعلوم المحايدة بمقاصد الشريعه الإلهيه وخلاقيات الا ب

ومثل تلك علوم لطاقه الذريه تلك التي تدرس اليوم على يد انيوبى
وسلمه في البصريه حتى ب تخلد وبخدمها الشرقي عن الغربي و ي
بتغير حد بعيب وبو بدبب بالبدت واسكر فلا اب بلاسلام ولا لعلم ا عبه
في بتوبر الحد بو واختلاف لمعارف بهذه العلوم ، بتسبب حر الاسلامه
و عبم ا بسبب قتل في وصانف وبصنفات هذه العلوم أو بعبير بين
الاسلامه وعدمه بدي في فلسفه مقاصد ضرورة لبوصية و حفاظ
د بعض عن الاساسيين ، وبدين لا بحتكمون لاسي سعة بتبوء بحثه
بوصف بحرية هذه العلوم لذريه في الحراب واد مار بيتم تقف بها حتى
بحتكم د لإسلام وقيمه عند العلا - و سنه و بتغير

و لاسلامه بتعرفه في مبادئ العلوم انتشعه وفلسفه وبحد ده
لا ذخر لها ولا بتغير في حقائق وقوانين هذه بعلوم وعلاقتها بهذه العلوم
خاصة فقد بقلسفه بوصف حقائق و قوانين لمحدده بتقاصد هذه
بوصف فقط لا غير

وهكذا فان اسلامه لمعرفه بمعنى العلاقه بين انصفه دينية ، وصفه
دنيوي انسان وبين معارف الانسانية التي هي كسبيه وبسبة هذه العلاقة
قائمة دائمة و دائما بكن نسبة هذه العلاقة، وغيرها هي التي بتغير وبختلف
في الدرجة وبتك باختلاف حقول وموضوعات معارف الانسانية

فنسبة الأسلمة للمعارف والعلوم عالية جدا في العلوم الشرعية لأن الإسلام - الدين - هو موضوع هذه العلوم، ونسبة هذه الأسلمة كبيرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية لأن كون موضوع هذه العلوم النفس الإنسانية يحد من جمود وموضوعية حقائقها، ويفتح الباب واسعا لعلاقة الدين بحقائقها ومعارفها. بينما تقف الإسلامية والأسلمة في العلوم الطبيعية، الدقيقة والمحايدة - عند فلسفة التوصيف والتطبيق للحقائق المحايدة في هذه العلوم، وذلك عندما تضبط وتحكم تصنيفاتها ووظائفها بمقاصد الإسلام

٥٧ عن إسلامية المعارف والعلوم (٢)

إذا كانت إسلامية المعرفة لا تعني أكثر من إدراك العلاقة بين دين الإسلام بضوابط قيمه وأحكامه ومنظومة أخلاقه، وبين المعارف الإنسانية المكتسبة والنسبية، وذلك على نحو متفاوت ومتدرج بتفاوت أصناف المعارف والعلوم حيث تكون نسبة الأسلمة عالية وشاملة في العلوم الشرعية، لأن الدين هو موضوعها، وحيث تكون نسبة الأسلمة كبيرة ومنحوطة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، لأن التغير الإنساني هي موضوعها، بينما تقف نسبة الأسلمة في العلوم الطبيعية عند فلسفة تطبيقاتها وتوصيف حقائقها المجردة.

إذا كانت هذه هي حقيقة إسلامية المعرفة، التي تبدو بديهية من البديهيات، فإن إنكار هذه الإسلامية يبدو أمرا غريبا، خصوصا في إطار الإسلام الذي يكاد الإجماع أن ينعقد على أنه منهج حياتي شامل، ومن ثم فإن علاقاته منحطة [illegible] المختلف بين المعارف والعلوم.

لكن العجب يتزايد أكثر وأكثر عندما نرى أن المنكرين لوجود علاقة للإسلام بالمعارف والعلوم الإنسانية والاجتماعية لا ينكرون وجود علاقات للفلسفة والإنسان والمرجعيات الفكرية غير الإسلامية بذات المعارف والعلوم الإنسانية والاجتماعية.

■ فلا أحد ينكر وجود فلسفة مادية أي وجود علاقات وثمرات وتأثيرات لشرعة المادية والمنهج والمعتقد المادي في تمييز نسق فلسفي، أي علم اجتماعي بالصبغة المادية، فلم يكون الإنكار والاستنكار فقط للعلاقات والتأثيرات بين الإيمان وأشرعة الإنسانية الإسلامية وبين الفلسفة على النحو الذي يثمر معرفة فلسفية إسلامية مؤمنة؟! أم إن «خلال المادية حرام على الإنسانية» عند المنكرين لإسلامية المعرفة.

■ ولا أحد ينكر وجود فلسفة وصفه بقف بحقيق العلم عد ابو تح وقو نسه ومعرفه فلم يكون لانكار بتصر معرفي بد نه انعام و عرف ارد هو صاف إلى اسباب الكون بعد الطبيعي» وصم إلى معارف الواقع المادي بيا السماء عن المغيبات بتي لا تستقر مراكيف عقل الإنسان وتجاربه الحسيه؟ ام ان تاثير الواقع في الفلسفه امر مفهوم وتاثير «الدين» في هذه الفلسفة هو وحده المرفوض؟

■ ولا أحد قد أنكر أو استنكر وجود «علم اجتماع ماركسي» تلوّن بالفلسفه لمادية الماركسيه المادية الجدلية والمادية التاريخية – وبالمعارضة لشوعة في دولة مجتمع البروليتاريا اللاطبقي فلم ينكر لانكار و لاستنكار فقط وجود «علم اجتماع اسلامي» كتمره بعلاقه الاسلام بالمجتمع وحتى هذا العلم في عهود ومجتمعات تتنكر للاسلام وكتمره الاعتراف بأن الدين ظاهرة في المجتمع والعمران

■ بل نجد بعض الذين ينكرون ويستنكرون اسلامه المعرفة وحتى علم اجتماع للاهوت التحرير» الى التفسير الاجتماعي للإنجيل لمسيحي يقوم في الأوساط الكاثوليكية بأمريكا اللاتينية – ورجوا بعضهم استبعاد «يوسف هذا النوع من الفلسفة في العلوم الاجتماعية بوصفه اسلامي

فلم يستنكر هذا البعض لصفه الاسلاميه في علم اجتماع سلامي؟ ام ان تنكير «لاهوت التحرير» في علم اجتماع أمريكا اللاتينية جائز وتنكير الاسلام في علم الاجتماع عندنا حرام؟

■ ولا احد ينكر ولا يستنكر ما قرره «ماكس فيبر» [١٨٦٤ – ١٩٢٠م] عن علاقه البروتستانتيه بالراسمالية – فلسفه واقتصاد واجتماعا – بل لعل هذا الذي قاله «ماكس فيبر» احدى المسلمات عند الذين ينكرون ويستنكرون وجود علاقه بين الاسلامي وبين وجود فلسفه و جتماع و قتصاد متغيره مع رقيه بالاسلام ومصنفه بفلسفة الاسلام «متغيره في علاقه الجنس العربي ومجتمعه بالبرواز و لامور وجد فلاف من نظريه خلدونه و لاستدلال الحكمة لعلاقه بين عدد تحققي بلبروه وهو انه سعد ه وبعد ي بين الجليفه و عدد و بوكير وهو الاسس مت بمنفعه في البرواز و لامور

فلم يكون «خلال» البروتستانتية الذي قرره «ماكس فيبر» رغم أن هذه البروتستانتية تدع ما يقتصر بقيصر، ولا تجعله لله، لم يكون «خلالها» هذا «حراما» على الإسلام، رغم منهجه الشامل للدين والدنيا من ولادته و لآخره ورغم تقرير القرآن الكريم لفلسفة متميزة في علاقة الإنسان فردا ومجتمعا بالثروات و الأموال؟

إن العجيب و الغريب والذي يستحق كل الإنكار و الاستنكار هو أمر هؤلاء المنكرين لإسلامية المعرفة فهم مثل قوى الاستكبار في الحضارة التي اتخذوها لهم مرجعية قد افتقدوا الاتساق في المعايير التي يصدرون بناء عليها المواقف والآراء والأحكام

٥٨ عن إسلامية المعارف والعلوم (٣)

إذا كان «التغريب» هو الداء الذي صنع ويصنع ذلك الشذوذ الفكري الغريب لدى الذين يقبلون تأثيرات البروتستانتية في فلسفة الليبرالية، بينما ينكرون إسلامية المعرفة الفلسفية والاجتماعية والاقتصادية كثمرة لتأثيرات الإسلام في الاجتماع والعمران.

ومثلهم أولئك الذين قبلوا ويقبلون تأثيرات المادية في الفلسفة والاجتماع الماركسي، ومع ذلك ينكرون ويستنكرون تأثير الإيمان الإسلامي في أسلمة المعارف الاجتماعية الإسلامية.

إذا كان «التغريب» هو الداء الذي صنع هذا الشذوذ الفكري، فقد يكون مفيدًا في علاج هؤلاء المرضى الذين لا يستشهدون إلا بكل ما هو غربي، ولا يحتجون إلا بما هو غربي، ولا يسلمون إلا بما هو غربي، قد يكون مفيدًا في علاج مرضهم هذا «الغربي الغريب» أن يلجأ إلى «الصيدلية الغربية» ليأتي منها بعلاج لهذا المرض الذي بلغ بهم هذا الحال الشاذ والعجيب.

■ فالمستشرق الإيطالي «كارل نلّينو» [١٨٧٢ – ١٩٣٨م] قد كتب دراسة عن «محاولة المسلمين إيجاد فلسفة شرقية» أثبت فيها أن للإسلام علاقة بالفلسفة، وأن هذه العلاقة، وذلك التأثير، هو الذي ميز هذه الفلسفة الإسلامية عن الفلسفة اليونانية، أي إن هناك برأي هذا المستشرق إسلامية للمعرفة الفلسفية في حضارة الإسلام ومعارف المسلمين.

■ والمستشرق الإنجليزي ألفريد جيوم يؤكد على الوسطية الإسلامية التي جعلت الإسلام يؤلف بين العقل والنقل، ويواخي بين الحكمة والشريعة، قد صبغت الفلسفة الإسلامية بهذه الصبغة المتميزة، فتميزت المعرفة الفلسفية الإسلامية بسمة الدين، وامتازت بهذه السمة عن الفلسفات الأخرى التي انحازت

إلى العقلانية المادية المجردة - وحدها - وإلى المثالية الذاتية الخالصة وحدها فأصبح بالإسلام كنظام حضاري فلسفة تدرس بوصفها من ضمن معتقدات البشر فلم يعد الإسلام معنى إسلامية في هذا العلم الاجتماعي الجديد

■ والمستشرق الفرنسي «سانتيلانا» [١٨٤٥ - ١٩٣١م] وهو خبير في القانون الروماني وفي الفقه الإسلامي يؤكد على علاقات التبعية للقانون الغربي بالطابع الفقهي المدني للقانون الروماني وعلى علاقة وسطية الإسلامية - الجامعة بين الأخذ بالتصور الديني الإسلامي وفقه المعاملات الإسلامي عندما ربط فقه كل منهما بالتصور الديني والشخصي الأخلاقي ويؤكد هذا تأثيرا للإسلام في المعرفة القانونية في عالم اجتماعي وإسلامية المعرفة القانونية في حضارة الإسلام يؤكد هذه الدلالات على هذه الجغرافية التي تضرب بين الفقه الإسلامي والقانون الروماني فجغرافية الفقه سلامية وإسلامية عندما يتعلق الأمر بالفقه والقانون بالنسبة للأول [في الحضارة الغربية] مجموعة من القواعد التي تحدد أشكال سلوك الأفراد في علاقاتهم الاجتماعية وتستمد من الإرادة والإدراك وخلاق البشر وعاداتهم أما التفسير الإسلامي للقانون هو خلاف ذلك. فالخضوع للقانون الإسلامي هو واجب اجتماعي وفرض ديني في الوقت نفسه، ومن ثمة خرجت الأحكام والتنظيم الاجتماعي فقط، بل يعترف خصيصة دينية أيضا فالتصادم للقضائي والديني والقانوني والأخلاقي، هما سكلا لا ينفصلان عن الإرادة التي تستمد منها المجتمع الإسلامي وجوده وتنظيمه فكل مسألة قانونية هي في نفس الوقت وبصفة الاحتمالية مسألة القانون لتوحد بين القواعد القانونية والتعاليم الأخلاقية وحكم الأخلاق والأدب في كل نص ترسم حدود القانون فالشريعة الإسلامية شريعة دينية تعبر عن صلاة.

فالدين الإسلامي وشريعته الإلهية قد صنعت القانون الإسلامي بصبغة ميزته عن القانون الروماني في إطار سلامة المعرفة في هذا العلم الاجتماعي - علم القانون وفقه المعاملات - يؤكد عليها هذا المستشرق الكبير

فهل تحدى هذه الشهادات العربية [illegible] روسيا [illegible] العربية [illegible] العلاج [illegible] الذي جعل نفرا من متفقهة [illegible] بوجود العلاقة بين مختلف الفلسفات والمرجعيات الفكرية [illegible] وبين المعارف والعلوم الإنسانية والاجتماعية [illegible] إلا إذا كان [illegible] الإسلام فإنهم ينكرون ويستنكرون أية علاقة له بالمعارف والعلوم

إن علاقة الإسلام [illegible] وفلسفة في رؤية [illegible] والمصير والحكمة من وراء الخلق ومكانة الإنسان في هذا الوجود [illegible] علاقة هذا الإسلام بالمعارف والعلوم الإنسانية والاجتماعية هي [illegible] من [illegible] يشهد عليها نفر من علماء الغرب. فهل يراجع الموقف [illegible] هذا [illegible] من متفقهة [illegible] تغربوا؟ أم إن علم «الأئمة» لم يصل بعد إلى هؤلاء [illegible]

٥٩ الاختلاف حول المرجعية الحضارية

في الاحتكاك الفكري بين حضارتنا الإسلامية والحضارة الغربية التي وفد إلينا نموذجها في ركاب الغزوة الاستعمارية الأوربية الحديثة، كانت المرجعية الحضارية الإسلامية منفردة بميادين الإصلاح الإسلامي جميعها، فكل تيارات الفكر ومذاهبه كانت مرجعيتها الإسلام، ولا شيء غير الإسلام، وكانت الخلافات بين «أهل الرأي» و«أهل الأثر» و«الذين يوازنون بين الرأي والأثر» جميعها في إطار المرجعية الإسلامية تحكمها جميع التصورات والاجتهادات والتأويلات التي تتخذ من حاكمية الإسلام في العقيدة والشريعة والقيم، الإطار المرجعي الذي لا تتعداه، وذلك بصرف النظر عن خطأ هذه الاجتهادات من الخطأ والصواب، ومدى قربها أو بعدها من التصورات الأدق لحقيقة الإسلام. المهم أنه لم تكن هناك «شرعية معترف بها» لمرجعية فكرية في التقدم والإصلاح لغير مرجعية الإسلام.

ولذلك لم نجد غير تاريخنا الحضاري والفكري الطويل، ورغم التمايزات الفكرية والتدافع المذهبي، إطلاق فريق من الفرقاء وصف «الإسلامي» على مذهبه أو فرقته أو اجتهاداته، فجميعها كانت «إسلامية» دون حاجة إلى هذا الوصف «بالإسلامية»، اللهم إلا عندما كان الحال مع «المقالات» أي النظريات غير الإسلامية، أي ذات المرجعية اليونانية أو المجوسية أو العبوصية التي تحدثت عنها كتب [الملل والنحل] فقد حرص علماء الأمة على وصف مختلف التصورات النظرية الإسلامية بوصف «الإسلامي» تمييزاً لها عن التصورات النظرية غير الإسلامية فكان التأليف في ذلك تحت عناوين [مقالات الإسلاميين]

من مثل ما كتبه أبو القاسم البلخي [٣١٩هـ - ٩٣١م] وأبو الحسن الأشعري [٢٦٠ - ٣٢٤هـ ٨٧٤ - ٩٣٦م] تحت هذا العنوان

كان هذا هو واقع فكرنا الإسلامي قديمًا، عندما كانت «السيادة الشرعية» للمرجعية الإسلامية وحدها في طول وعرض دار الإسلام وتاريخ الإسلام والمسلمين.

لكن هذا الحال قد تغير بعد وفود المرجعية الغربية - ذات الطابع المادي والوضعي والعلماني - إلى بلادنا العربية والإسلامية - منذ قرنين من الزمان، فلقد تخلق في واقعنا الفكري تيار ثقافي وفكري مؤثر - بل وحاكم ومسيطر في بعض الأحايين - يذهب في التقدم والإصلاح مذاهب الغربيين لا مذاهب الإسلاميين، وذلك عندما يدعو إلى استلهام النموذج الغربي - فلسفة وتطبيقًا - مرجعية ينطلق منها فيما يدعو إليه من نهوض حضاري لأمتنا.

وإذا كان التنوير الغربي، الذي أخذ العقل محل الدين ووضع العلم مكان الوحي، واستبدل الفلسفة باللاهوت، عندما أعلن فلاسفته أنه لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده، والذي اعتبر الدين صفحة من صفحات طفولة العقل البشري قد طوتها الفلسفة الوضعية التي لا تعترف بغير معارف وحقائق وآيات عالم الشهادة والكون المادي، ولا تستعين بغير العقل والتجربة في إدراك المعارف والعلوم، منكرة معارف عالم الغيب وآيات الوحي الإلهي، وضاربة عرض الحائط «باليقين» و«الوجدان» كسبيل للمعرفة - إذا كان هذا التنوير الغربي يشتد صراعه مع الكنيسة ولاهوتها، قد أقام قطيعة معرفية مع الموروث الديني للحضارة الغربية إبان عصر نهضتها، فقد رأينا أنصاره في بلادنا يسيرون في ذات الطريق، وذلك عندما استبدلوا فلسفته العلمانية في التقدم والإصلاح والنهضة بالمرجعية الإسلامية في النهوض والتجديد، فتخلقت لدينا تيارات «اللحمين» و«اليسار» «الليبرالية» و«السمولية» «اللاشتراكية» و«الرأسمالية» «الجمود» و«التقدم» تعود جميعها إلى التطاير الغربية الوضعية العلمانية - لهذه المذاهب والتيارات؛ فهم يختلفون لكن في إطار المرجعية الحضارية الغربية.

وفي مواجهة هذه التيارات التي استعارت النموذج الغربي مرجعية لمذاهبها في التقدم والنهوض، تبلور في واقعنا الفكري تيار الإحياء والنهضة والتجديد والتقدم والإصلاح، انطلاقًا من مرجعية الإسلام، بل وأخذ هذا التيار يميز نفسه بصفة «الإسلامي» وذلك تمييزًا لمرجعيته الإسلامية عن المرجعية الغربية - الوضعية العلمانية المتخللة من ضوابط الإسلام.

وقد عرف هذا التيار الإسلامي أيضاً تمايز العصائر الكبرى في أطر مرجعية الإسلام، وذلك عندما تفاوتت مواقع هذه العصائر وخصوصها من التقليد والتجديد إزاء الموروث الإسلامي، وعندما تمايز مواقفها من الناقد الغربي، وعندما اختلفت خطوطها من العقلانية والتأويل.

فالدراسة الخارطة: الفكر المعاصر في واقعنا العربي والإسلامي تحدد أن تبدأ بتحديد وتمييز المرجعيات الفكرية أولاً، وبعد ذلك يتم التحديد والتمييز للعصائر والتيارات في إطار كل مرجعية من المرجعيات الحاكمة لمواقف الساعين إلى التقدم والنهوض والإصلاح.

تعتمد الإسلام على قرآنه الكريم لا شبهة العصبية فى الحكم على الآخرين بل وفى معاملته بين المسلمين وبين هؤلاء الآخرين

فخيرية الأمة الإسلامية لا تعرف الإطلاق والتعميم وليست هى مسروقة بشروط ووجبات وممارسات وإجراءات، يدخل فى إطار هذه الخيرية فقط من حصّل هذه الشروط وتحلى بصفاتها ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران ١١٠] وليست هى بمجرد أن هذه الأمة لقوى عسكرية أو لتمكنهم فى الأرض أو لصناعتهم أو لثرواتهم بل لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتؤمن بالله [النحل ٤٠ ٤١]

فمجرد الاعتناق النظرى للإسلام دون العمل بأركانه وفرائضه وتحقيق مقاصده لا يحقق الخيرية لمعتنقيه على الآخرين ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء ١٢٣]

وحتى فى داخل الأمة الواحدة للدين الواحد، يدعو الإسلام إلى عدم التعميم والإطلاق فأهل الكتاب من اليهود ليسوا سواء ولا هم كتلة واحدة صماء فمنهم من أدى عليه القرآن فقال ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ١١٣ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ١١٤ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران ١١٣ ١١٥]

ومن هؤلاء اليهود الملاعين الملعونون ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ٧٨ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة ٧٨، ٧٩]

ويضيف لهذا المنهج القرآني في عدم التعميم والإطلاق، أنه يفصل ليوم بالتمييز بين اليهودي- هذا إن وجده- الذي يعتز بانتمائه ويتمسك به وبالتوراة وبالتلمود الآخر ويصر بالمعروف وينهى عن المنكر ويسارع في الخيرات يميز بينه وبين «اليهود» الذين عصوا واعتدوا، ولا ينتهوا عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون وعصيانا وليس سمعنا وأطعنا وأشربوا في قلوبهم العجل الذهبي وربا البنوك

بل إنه يدعوهم إلى تغيير هذه اليهودية الكاذبة سماوي، جاء بشريعته موسى عليه السلام وإلى قبوله هو به المصدق لما معهم الذي لا يسعهم إلا فهذه اليهودية لا تكفي إيمانهم الإسلامي لا إذا اعتنقوها ويرسلها وأنبيائها لا تفرق بين أحد منهم بل تعتبر بينها وبين «اليهودية» التي يواجههم اليوم عند الصهيونية وفي إسرائيل اليهودية الحاخامية والتلمودية تلك التي تعرف دائرة معارفها «اليهودي» ليس بأنه المؤمن بالإله الواحد، وبشريعة موسى وهارون وإنما بأنه «المولود من أم يهودية».. فاليهودي في هذه «اليهودية» يحدده معيار عنصري هو الولادة من أم بعينها فهو يهودي بسبب الولادة لا بسبب الدين، بل إنه في هذا المفهوم يكون من شعب الله المختار بسبب هذه الولادة وحدها حتى ولو كان من ولد أو عن تخلى عن دينه ولا عتبر بالدين

فالتمييز وعدم التعميم والإطلاق الذي يتعلمه من القرآن الكريم فصلا عن أنه الدين الذي يتسم به غايته هو المنهج العلمي الدقيق وسيرته العملية تتسم بالإنصاف وبالعدل هو سبيله في عفوه وقبوله لآخرين وعدم اغترار بخداعهم الصهيونية فكثيرون يتحسسون أي نقد لأي من ممارسات اليهود، كما نجدهم يحسنون الظن بكل يهود

وكذلك الحال حال المنهج القرآني مع نصارى أهل الكتاب فهم ليسوا سواء فمنهم من هم أقرب الناس مودة للمسلمين ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ٨٢ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [المائدة ٨٢، ٨٣] ومن نماذج هؤلاء كان النجاشي ملك الحبشة على عهد رسول الله ﷺ وكل «الأريوسيين» الذين يؤمنون بالله وحده ويعتبرون عيسى بن مريم عليهما السلام عبدا ورسولا

ما الذين حولوا النصرانية من التوحيد إلى الشرك، وجعلوا عيسى معبودا مع الله، فإن القرآن يميزهم عن هؤلاء الموحدين ويضعهم - زعم أنهم أهل كتاب - في حزبه ورمزه الكفر والشرك عندما يقول: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ٧٢ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ [المائدة ٧٢، ٧٣] وصدق الله العظيم، فمن القرآن الكريم نتعلم المنهج العلمي في التمييز الدقيق، الذي يرفض التعميم والإطلاق.

٦١ المنهاج النصوصي

إذا كان الإمام أحمد بن حنبل قد قنن أركان «المنهج النصوصي» على النحو الذي أشرنا إليه، فقد صاغه شعرًا كذلك، عندما قال:

دين النبي محمد آثار ... نعم المطية للفتى الأخيار

لا تخدعن عن الحديث وأهله ... فالرأي ليل والحديث نهار

ثم إن هذا المنهج عندما طبقه أهله في ميدان العقيدة أثمر تصورهم على هذا النحو، في فكر الإمام أحمد أيضًا:

- **الإيمان**: قول وعمل، وهو يزيد وينقص، تبعًا لبقاء العقيدة أو شوبها، وتبعًا لزيادة العمل أو نقصانه.
- **والقرآن**: كلام الله، وفقط، فليس بمخلوق، كما تقول المعتزلة، وليس شريكًا لله في قدمه، كما يلزم المعتزلة بقاء القول بخلق القرآن.
- **وصفات الله**: التي وصف بها نفسه وأثبتها لذاته، يصفه بها ويثبتها لذاته على النحو الذي وردت عليه في النصوص والمأثورات، لا يلجأ في بحثها إلى «رأي» أو «مأوى».
- **وعالم الغيب**: لا ينبغي أن يخوض في بحث شيء منه، بل يجب أن يفوض حقيقة علمه إلى الله سبحانه.
- **ورؤية أهل الجنة لله**: عقيدة حق يجب أن يؤمن بها المؤمن، دون «تأويل» أو «تمثيل» كما وردت بها ظواهر النصوص.
- **وعلم الكلام**: منكر، منكر، الاشتغال به منكر، وأخذ العقائد بأدلته منكر، بل ومجالسة أهله منكر، مهما كان دفاعهم به عن الإسلام.
- **والقضاء والقدر**: لا يكتمل الاعتقاد بدون الإيمان بهما، وهما من الله.

■ **والذنوب الكبائر لا تجعل المؤمن كافرا ولا تخلده في النار** على عكس ما ذهب اليه الخوارج في الأمرين وهو ما سنعرضه في البند التالي

■ **وخلافات الصحابة** لا يخوض فيها بل يحب الله عنهم ويكف عن الوقوف عند محاسنهم وفضائلهم

■ **وترتيب الخلفاء الراشدين في الفضل** وهو ما تتبعهم فيه أهل السنة

■ **وطاعة ولي الأمر وجبه** حتى ولو كان فاجرا فاسقا، والخروج عليه منكر بل يجب النصح له والصبر على ما قد يأتيه من أخطاء وما يعتريه من مظاهر الفساد في حياته الشخصية

■ **والتراحم والمعاملات الحسنة والاجتهاد** بما يتفق مع الشرع في كل ما لم يرد به النصوص في القرآن والسنة ... إلخ ...

هذا هو منهج أهل السنة في العقيدة وتلك هي أبرز خصائصه التي تميزه عن غيره من مناهج الفكر في الماضي والحاضر وهي التي جعلت منه المنهج الأصيل الوحيد الذي يمثل الإسلام.

وعلى الرغم من وضوح الفكر السني إلى هذا الحد فإن أعداء الإسلام قد استطاعوا بكل وسائل التزوير والتشويه أن يصوروا أهل السنة على أنهم فرقة متخلفة ومتزمتة لا تعرف إلا العنف والإرهاب وأنهم لا يريدون من الناس إلا أن يكونوا مثلهم وأن يفكروا مثلما يفكرون وأن يعيشوا كما يعيشون.

وهذا هو الموقف الذي يحدده الشيخ محمد الغزالي حيث يقول: «إن تعبير عن «الواقع» الذي سادت فيه نظم الحكم التي عدت في القاعدة، أكثر من كونه تعبيرا عن أصول ومبادئ الفكر الإسلامي في هذا الموضوع. فقد رأى أهل الحديث بين الحكم الفاسد والمرتشي والقوي وبين الثوار الذين عبروا الانتصار وصاروا يخضع صابر على جوره وثوره وعلى هذا تخلوا عن مبدأ فعال من المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج بالسيف على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ضلال وفسق وقد عرض عليهم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة قد يقع أعظم مما يحدث بالقتال لأنه ما سلت سيف في الإسلام كما سل في الفتنة ولا وحدة ولا سلطان

ويرى ابن القيم هذه القضية وضوحاً عندما يؤكد على أن مصدر هذا الموقف هو «الواقع» وليس «الواجب» الذين يقولون «إن الواجب شيء والواقع شيء» والفقيه من يصل بين الواقع والواجب ويتقن الواجب بحسب ما يسقط عنه إلا من تلقى العداوة بين الواجب والواقع فكل زمان حكم والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم وإذا عم الفسوق وغلب على أهل الأرض فلو منعت إمامة الفساق وشهاداتهم وأحكامهم وفتاويهم وولاياتهم لعطلت الأحكام وفسد نظام الخلق وبطل أكثر الحقوق فأمام الضرورة والغلبة بالناس ليس إلا الاصطبار والقيام بأضعف مراتب الإنكار أي الإنكار بالقلب.

ونحن نعتقد أن حدة الخطر الخارجي الذي هدد وجود الدولة والأمة والعقيدة لعدة قرون الخطر البيزنطي والبيزي والصليبي هي التي جعلت التناقض الرئيسي بين الأمة وبين هذا الخطر المهدد للوجود وليس بين الأمة ونظم الجور والفساد المهددة للحرية والعدالة بين الناس.

فكان هذا الفكر وهذا الموقف السياسي لأهل الحديث والذي تتفق الأشعرية معهم فيه كان يعبر عن «الواقع» وليس يعبر عن «الواجب» الذي

٦٢ التوحيد الإسلامى

لقد بلغ الإسلام على درب عقيدة التوحيد الذروة فى تنزيه الذات الإلهية عن أى تعددية أو تركيب أو مماثلة أو شبه لأى من المخلوقات والمحدثات، وكل ما عدا الذات الإلهية مخلوقات ومحدثات، وضاع الإسلام للخالق سبحانه تصور تجريدى بلغ فى التجريد أقصى ما يطيقه عقل الإنسان ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ١ اللَّهُ الصَّمَدُ ٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤] وهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]

حتى لقد جهد علماء أصول الاعتقاد الإسلامى كى يعبروا بأبلغة البشرية عن هذا التصور التنزيهى التجريدى الذى جاء به الإسلام للذات الإلهية فلم يجدوا إلا طريق الوصف بالسلب فقالوا عبارتهم الشهيرة «كل ما خطر على بالك فالله ليس كذلك».

فهو - سبحانه - مفارق، ليس فقط للمخلوقات، وإنما - أيضًا - لكل التصورات الإنسانية عن هذه المخلوقات. قدم الإسلام هذا النموذج للتوحيد فى مقابل اليهودية التى تحولت - بالتحريف - إلى وثنية صورت لأنه مصارعا وجعلته إلها لبنى إسرائيل وحدهم، وللشعوب الأخرى آلهتها الأخرى، وفى مقابل نصرانية أغلب العبوصية والفلسفات الباطنية والحلولية توحيدها، فسقطت فى التجسد وتعددية التثليث.

ولم يقف الإسلام بهذا التصور التنزيهى والتجريدى للتوحيد عند نطاق الاعتقاد الدينى فى ذات المعبود وفقط، وإنما أشاعه روحًا سارية فى ثقافة الإنسان المسلم، وذلك عندما جعل من عقيدة التوحيد ثورة لتحرير الإنسان الموحد من العبودية لسائر الطواغيت. ففى العبودية للمعبود الواحد قمة التمرد من أسر واستعباد كل من وما عدا الله، ومن هنا يحول التوحيد ويتحول إلى حياة

[illegible] والعبادات ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ۝ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ [الأنعام ١٦٢ ـ ١٦٣]

وهذا التصور الإسلامي الذي يخلص العبودية لله الواحد في كل اتجاهاتها النفسية والشعورية والاجتماعية: ﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ۝ لا شريك له﴾ هو الذي يحرر الضمير البشري من كل عبودية لغير الله، ومن كل خضوع لغير سلطان الله، ومن كل شعور بالتبعية لغير الله.

■ ففي الأرسطية اليونانية كان التصور للذات الإلهية باعتبارها المحرك الأول للعالم خلقًا يشبه علاقته بالمخلوقات التي لا تستطيع الصعود إلى مرتبة الموجود في جوهره وذاته.

■ وفي الوثنية الجاهلية كان التصور يجعل من بعض الآلهة أربابًا تتصرف في بعض الأمور، فتتنافس في الجاهلية على تكوين الأحلاف لتحقيق أغراضها، ولكن سلطانهم في حين لا يتجاوز السموات والأرض وما بينهما ﴿العنكبوت ١٣﴾ ولكنهم كانوا يشركون معه سبحانه وتعالى الطوعيات والإفك في تدبير العمران الدنيوي فيجعلون في هذه الأوثان أربابًا وفي الحرث أو النعم انصرافًا لمن لا يملكون إلخ إلخ فجعلوا لله خالق ومدبر يتفرد بخلقه وفعله عند بعضهم لا يشاركه، وجعلوا تدبير العمران للشركاء وتصرفت ﴿قدرة هذا لله برغمهم وهذا لشركائهم﴾ [الأنعام ١٣٦]

■ وقريبًا من هذا التصور الذي يعزل الذات الإلهية عن تدبير العمران الإنساني، وتحرر سدنة هذا العمران من شريعة السماء وتدبير الخالق، قريب من هذا التصور جاء التصور اللاهوتي النصراني، عندما قال «دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله» فحرر «قيصر» ـ أي الدولة والمجتمع والعمران ـ من قانون الله وشريعة السماء وتدبير الخالق، جاعلًا ذلك إلى المرجعية الإنسانية وحدها.

■ ولذلك كان التصور الإسلامي يعني بوضعي وبناء صنعة في ذلك الضمير فهو عندما يرى العالم مكونًا من الله وصنعته، يعرف الإنسان لصانعه بحركته فيه وفي كل هذه وقواه، ولدوره والاجتماع البشري ونموه وتوسيعها الإنسان بالعقل والحرية، بحيث كان هذا التصور يعلمني

٦٣ الخلافة .. والاستخلاف

في التصور الإسلامي، لا يقف نطاق فعل الذات الإلهية عند «الخلق» وإنما له سبحانه مع الخلق التدبير، لكن ذلك لا يعني تجريد الإنسان من الفعل والقدرة والاستطاعة، لأن نظرية «الاستخلاف» الإسلامية تحدد مكانة الإنسان في هذا الكون خليفة الله في استعمار الأرض ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠] ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ [هود: ٦١]

وحتى ينهض الإنسان بتكاليف عامة العمران، وأمانات الاستخلاف ميزه خالقه بالاختيار والحرية والقدرة والاستطاعة ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا﴾ [الأحزاب: ٧٢]

فكانت مكانته هي مكانة الخليفة، وهي وسط بين ادعاء السيادة في الكون، وصورة المخبر المجرد من أي سلطان، فهو سيد في الكون لا سيد الكون، وهو بعبارة الإمام محمد عبده: «عبد الله وحده وسيد لكل شيء بعده»! فقدرة الإنسان ليست على حساب القدرة الإلهية كما أن قدرة الله لا تنفي قدرة الإنسان، لأن القدرة الإنسانية هي إرادة إلهية خلقها للإنسان كي ينهض بأمانة الخلافة والاستخلاف.

ولقد عبر الإمام ابن حزم الأندلسي عن هذا الاستخلاف الذي جعل الله فيه الإنسان حاكما، كمستخلف عن الله الذي له الحكم والحاكمية والأمر والتدبير فقال: «إن من حُكْم الله أن يجعل الحكم لغير الله»!

فلا تناقض بين حاكمية الله وبين حاكمية الإنسان، لأن حاكمية الإنسان هي قضاء إلهي، وبدونها لا تتحقق المسئولية، ولا يتم العمران ولا يقوم الاستخلاف.

وانطلاقا من هذه الرؤية الإسلامية لعقد الخلافة والاستخلاف، وفي ضوء منظار الرؤية، تتعلق بين المخلوق والخالق، تتصور الرؤية الإسلامية الكثير من القضايا والمشكلات:

■ فحقوق الإنسان التي رفع الإسلام شعارها في مواجهة العرض والواقع وصروراته هي حقوق للإنسان لخليفة، ولذلك فهي محكومة بحقوق الله وليست كالحقوق في التصورات الأخرى محكومة فقط بالمصلحة الدنيوية، فمنفعة الجماعة بل ومصلحة الدين في التصور الإسلامي لا تبرر أن تكون الشريعة معتبرة قيود عقد وعهد الاستخلاف في الحلال والحرام لدى الشريعة – هي الضابط والسقف لهذه الحقوق الإنسانية.

■ وحط الإنسان من الأرض وما فيها وموقعه منها هو موقف الخليفة المستخلف فيها ومهمته في الاختصاص والاستثمار والاستمتاع محكومة بنفس عقد وعهد الاستخلاف، ذلك أن المالك الحقيقي – مالك الرقبة في هذه الأشياء هو الله الذي أوجدها الخلق الإنسان في طبيعة وملابسات تجعل له مكانة الخليفة وتمنحه وتوكيل له فيها ملكية لمنفعة الحيازة ومهمة الاختصاص والاستثمار والاستمتاع هي محكومة بحدود الله في عقد وعهد الاستخلاف وفي النكير على من يتعدى هذه الحدود الإسلامي ﴿ ... في ما جعلكم مستخلفين فيه﴾ [الحديد ٧]

■ وإذا كان الله قد جعل في المستخلف في الأرض في ظل الإسلام في دولة الخلافة هي المستخلفة عن الأمة لتمثلها وتحكم بشرع الله من الأمة إليها، فتميز التصور الإسلامي للدولة وللمهمة السياسية لها يجعلها تتميز عن الدولة الحديثة وهي السيد والحاكم على الأمة، فالمستخلفة عن الأمة والمخولة منها وهي كالأمة مسترشدة بالشريعة التي هي عقد وعهد الاستخلاف.

وهذا التصور الإسلامي في نشأة وتجربة يتميز عن التصور الغربي للدولة الحديثة الكهنة الكنيسة كل منهما الإله والكنيسة التي تحكم باسم الإله ولا وجود للإسلام والدولة تغتصب التي هي تفويض بالكهنة الكنيسة على الأمة، فتصير السلطة والدولة هي مصدر الحق ولا وجود لشريعة إلهية تسمو فوق سلطة الإسلامي

[illegible] الخلافة [illegible] الشريعة [illegible]
[illegible] التي هي مستحقة عن الأمة [illegible]
عنها، وليست مستحقة [illegible] دون الأمة [illegible] عن الله

[illegible] الدولة الإسلامية [illegible] الخلافة [illegible]
[illegible] الإسلامية [illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] الخلافة الإسلامية هي [illegible]
والأمة بهذا الدين"

[illegible] الإسلامي في [illegible]
[illegible] هي [illegible] الإسلام في الخلافة والاستخلاف

٦٤ دعوى تاريخية أحكام القرآن الكريم

في علاقة «النص الديني» - كتابًا وسنة - «بالاجتهاد» واجه الفكر الإسلامي ويواجه - قديمًا وحديثًا - نزعات من الغلو، تراوحت بين الإفراط والتفريط.

فهناك النزعة «النصوصية الحرفية» التي وقف أصحابها عند ظواهر النصوص رافضين التأويل بإطلاق ومنكرين المجاز في النص الديني ومتخذين موقفًا غير ودي من «الرأي» و«النظر العقلي» في النصوص الدينية بسبب الخلط عندهم ما بين «الرأي» و«الهوى».

وهناك النزعة الباطنية التي دعت إلى نوع من الغلو في «التأويل» وإلى تعميم هذا «التأويل» المعاني وغير المضبوط بضوابط اللغة العربية وتوليد الإسلام فزعمت أن لكل ظاهر باطنًا ولكل تنزيل تأويلًا حتى قد تجاوزت كل المعاني والأحكام التي جاء بها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

واليوم وبعد أن رسخت «فلسفة» التنوير الغربي - الوضعي العلماني على سرائح من النخب الثقافية العربية والإسلامية التي تغربت، فتبنت مقولات فلسفة التنوير الغربي إزاء النص الديني - وهي الفلسفة التي رأت في هذا النص وضعًا بشريًا، ناسب طور الطفولة للعقل البشري، ثم تجاوزه هذا العقل إلى حد ما في مرحلة «الميتافيزيقا» لتجاوزه تمامًا - بالحكم عليه «بالتاريخية» - في المرحلة الوضعية - ليوم يواجه نفر من متفقهي المتغربين النص الديني الإسلامي بما واجه به فلاسفة التنوير الغربي - في القرنين السابع عشر والثامن عشر - النص الديني في اليهودية والنصرانية داعين إلى تاريخية معاني وأحكام القرآن الكريم باعتبارها معاني وأحكامًا تجاوزها الواقع الذي تطور وعفا عليها التاريخ!

و شريعة الإسلامية عندهم هي شريعة مرحلة محدودة لا تصلح لمرحلة
حضارية وكان الشورى التي يحب أن تحل محلها الديمقراطية الغربية
إلخ وهم يبحثون لهذه النزعة «التاريخية» أو اللاتاريخانية» صدى عند بعض
المفكرين المعاصرين لكنها تفتقر تماما إلى أساس المقاصد والغايات

فالمستشار محمد سعيد العشماوي مثلا يدعو إلى إسقاط حكم القرآن
والشريعة بدعوى أن الإسلام وإن كان قد وصلنا إلى أعلى
مراتب حكم القرآن بكونه لا أستاذ فيه وحلم به حتى يحس في نفسه
حتى يقوم في الحكم بعد الرسول ﷺ فإن القرآن لم يحدد
به غير موجه إلى الأمة ولا ملزم بها بعد وفاة الرسول

ولعشماوي يبرر رفض قاعدة الأصوبية التي أجمعت عليها الأمة
والقائلة بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهي القاعدة التي تجعل
من عموم لفظ وارد على سبب خاص يقصر اللفظ العام في ضوء السبب الخاص
عندما يوجد ما يرفض العشماوي تلك القاعدة يعتبرها قد تسببت في قصور
الإسلام الحضاري لانحصاره العملي في أنه تجربة لأمة ما في عصر
التألق الحضاري

لكنه يصطدم بنفس العوائق التي اصطدم بها أرباب النزعة
القرآنية في الحكم أي أن الشريعة في الغرب ليست منفصلة عن الدولة بحيث
يمكن أن تتبع بعد أن
تتبع فهي مخصصة بسبب النزول وليست مستقلة وكل ما في الغرب يرجع إلى
الأساس الذي لا أساس بقيمته سواء تصميم حكم سياسي أو قاعدة صياغة
وجد خلافة أنها حكم موقت ومحلية بعصر في وقت محدد وفي مكان
معين وقد رسول فيهم بشر ويقدم يوحى إليه فوقف الحضارة بصحته
وسكت بذلك السلطة التشريعية الإلهية»

وليس من عثرة العشماوي هذه سيحول دون أن يكون له بعض
المعجبات بشجاعة بعد ما فيها من تهافت

فأحكام القرآن موجهة للناس عبر الزمان والمكان ومن ثم لا يمكن أن
يكون موقتة ومحلية كما يقول وسبب النزول هو اكتشاف وليس
العلة كما يقول

وأسباب النزول هي في تعريف علماء هذا العلم: «مناسبات نزول الأحكام وليست عامة في نزول الآيات وتشريع ما فيها من أحكام» وبعبارة الزركشي والسيوطي وهما أبرز من ألف في أسباب النزول: «فقد عرفت من عادة الصحابة والتابعين أن أحدهم إذا قال نزلت هذه الآية في كذا فإنه يريد بذلك أنها تتضمن هذا الحكم، لا أن هذا كان السبب في نزولها، فالذي يتحرر في سبب النزول أنه ما نزلت الآية أيام وقوعه فقد نزلت آيات في أسباب، واتفق الصحابة والتابعون على تعديتها إلى غير أسبابها، ما قرر العشماوي [illegible] أنه تعلقت بحادثة بذاتها، فهي مخصصة بسبب النزول [illegible] وأسباب النزول بكذبه، فالآيات القرآنية التي لها سبب نزول لا تتعدى ٥ ٧/ [illegible] القرآن فأين هي التاريخية التي ربطت كل آيات القرآن بتاريخه وأسباب النزول».

ورحم الله ابن تيمية الذي قال عن مثل هذا الذي يقول به العشماوي [illegible] قول لا يقول به مسلم ولا عاقل على الإطلاق، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٦٥ في التزوير الفكري!

لقد أراد المزورون لكتاب محمد عبده عن «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» أنهم يزورون النعمة على ما كتب الأستاذ الإمام عن أصول الإسلام وما نتجت هذه الأصول الإسلامية المتميزة من نموذج حضاري متميز ومن علاقة متميزة بين الدين والدولة، أفاض الإمام في الحديث عنها في هذا الكتاب.

كما أرادوا النعمة على ما كتبه الأستاذ الإمام عن أصول النصرانية، وما صنعته هذه الأصول من استشهاد للعلم والعلماء، ومن رجعية وتخلف وجمود دخلت الحضارة الأوربية عصورها المظلمة التي لم تخرجها منها سوى حضارة الإسلام، الإسلام الذي صنع الإصلاح الديني والأوربي وفتح به باب أوربا إلى النهضة الحضارية الحديثة.

وإذا كان هذا الكتاب (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) قد جاء آية من آيات الفكر المقارن بين الإسلام والنصرانية، والمقارن بين حضارة الإسلام والحضارة الأوربية، وكذلك بين تاريخ الإسلامي وتاريخ أوربا النصرانية، فقد كانت للأستاذ الإمام في آثاره الفكرية الأخرى ثمرات عبقرية ونافذة وموضوعية في تقويم المعتقدات الدينية لغير المسلمين.

فهو يقارن بين اليهود، قد كتبوا بجعل الدين رابطة جنسية، ولم يجعلوه هداية روحية، لذلك كانوا يتصرفون فيه باختلاف المذاهب والآراء، ويحرفون كلمة عن مواضعه بحسب الأهواء، أي أنهم فرغوا اليهودية الحقة من جوهرها من الدين، وذلك عندما حولوها إلى عصبية عنصرية، ومجرد تراث تاريخي.

أما النصرانية - برأي الأستاذ الإمام - فلقد تحولت في صورتها الرومانية إلى وثنية حاربت التوحيد الذي جاء به عيسى عليه السلام، ثم

فرض الرومان والبيزنطيون هذه الصورة الوثنية على الكنائس الكبرى بواسطة قرارات المجامع المسكونية التي فرضت هيمنتها على كنائس الشرق بالاضطهاد والترهيب والترغيب.

وبعد رد الإمام محمد عبده [illegible] النصرانية قد تقلد إلى الوثنية من عهد «قسطنطين» [٢٧٤ - ٣٣٧م] بعد [illegible] ثلاثة قرون [illegible] وادعى التدين بالنصرانية [illegible] لآخر الأسبوع [illegible] على [illegible] «[illegible]» [illegible] مجموعها [illegible] وقد [illegible] الكريم [illegible] تعالى أعطى موسى [illegible] عليه السلام [illegible] وهي [illegible] وأنه أعطى عيسى [illegible] عليه السلام [illegible] [المائدة: ١٤]».

ومع هذا [illegible] الإمام [illegible] اليهودية والنصرانية [illegible] تحولات [illegible] عن أصولهما [illegible] الإسلام مع أهل الكتاب في شئون الدولة والسياسة والاجتماع والمعاملات [illegible] أن رفض عقائد [illegible] من الأديان [illegible] وكل [illegible] لعقائد غيره من الأديان - لا يعني الجور على أهل هذا الدين، [illegible] الإسلام [illegible] رسول الله [illegible] [illegible] المسلمين [illegible] على امتداد تاريخ حضارة الإسلام.

٦٦ جدل الإيجابيات والسلبيات فى التاريخ

صحيح أن التغيرات السلبية التي حولت الخلافة الراشدة السورية إلى خلافة ناقصة وملك عضوض قد تمت منذ وقت مبكر في تاريخ الإسلام، لكن هذه التغيرات لم تمثل كارثة عظمى في ذلك التاريخ، بل إن «الدولة» التي حدث في إطارها الانحراف كان حجمها محدودًا وتأثيرها ليس كتأثير الدول الأخطبوطية التي تعرفها منذ عصرنا الحديث، فلقد كانت «الأمة» أعظم من «الدولة» وكثير من المهام والميادين والمسئوليات التي تتولاها «الدولة» الآن والتي تصلح بطلان الدولة وتفسد بفسادها كانت تتولاها «الأمة» وتمولها تمويلًا هنيئًا بواسطة الأوقاف، حتى إن صناعة الحضارة الإسلامية وازدهارها قد حدث في ظل انحراف «الدولة»، لأن هذه الحضارة قد صنعتها «الأمة» لا «الدولة»، بل إن الجهاد الذي كانت تقوده «الدولة» كان إنجازًا شعبيًا يحارب فيه الناس أداء لفريضة دينية، وتمول الأوقاف الخيرية المرابطين في سبيل الله على ثغور دولة الإسلام.

ولقد عظم من دور «الأمة»، ورجح كفتها على «الدولة»، فلم تعم الكارثة بانحراف الدولة عن السوري، أعظم من دور الأمة، إن علماءها وفقهاءها في جملتهم لم يستنفدوا طاقاتهم في مصارعة الدولة، وإنما شغلوا أنفسهم بتربية الأمة، ونشر الإسلام ولغته العربية، وصناعة الحضارة، فلقد امتدت الأمة وقامت بتربية وازدهرت الحضارة، وتم الإبداع للعلوم الحضارية الشرعية منها والمدنية، رغم ما أصاب «الدولة» من تراجع عن السوري وما اعتصمت به من «الملك العضوض».

لكن هذه الجهود الحضارية العملاقة، التي قاد الفقهاء صناعتها، والتي أبدعتها الأمة كانت تواجه غير انحراف الدولة والمخاطر الخارجية العديد من المعوقات والسلبيات.

فتعطش كثير من العرب على الترف الذي وجدوه إلى أقاليم التي فتحوها فدب إليهم من قوة حضارته الجيشة وصارت دول ولايته وفكريتها الإسلامية في مواقعين شغلتهم شواغل الدنيا عن الجهاد فقد اشتغلوا بالصبر الصحة عن مكاره قريضة الله التي كتب على المؤمنين بالإسلام.

وصاحب ذلك استمرار وتصاعد تحديات الحضارة الغربية المتفوقة عسكريا وفكريا طلب الجيش لحشود صليبية الإسلامية ثم حملات الصليبية والغزوات الصليبية التي امتدت قرابة من الزمن [٤٨٩ ـ ٦٩٠هـ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م] وقد من مخاطر هذه التحديات الحضارية التي استعانت فيه بصيغة دينية لشن حملات لغزو بعد [٥٦٠ هـ ١٢٥٨م] واجه العالم الإسلامي وهو في حالة الانحطاط الإسلامي لابن خلدون [٧٥٨ هـ ١٣٦٠م] ولقد هذه التحديات الحضارية التي تعرض لها العالم الإسلامي في مختلف مراحل تاريخه الطويل وفي مختلف مناطق انتشاره الجغرافية سعوبة وعربية وهي التحديات التي تعرض لها العنصر العربي في الخلافة العباسية بعد سقوط الدولة العباسية في بغداد على يد التتار سنة ٦٥٦هـ ١٢٥٨م وقد أكثر هؤلاء الغزاة من العرب ومن تعريب مؤسساتهم العسكرية فأصبح الخلفاء العباسيون في أيديهم عسكرية وعقدية عسكرية أو فكرية عقدية فقد بأهل العقلانية المؤمنة، فأحلت محلهم «النصوصيين الحرفيين» وهم من الوسطية التي كانت تجمع بين العقل والنقل، وتؤلف بين الروح والنص وتجمع بين الشكل والمضمون، وبين ظاهر الشريعة وجوهرها، وبين حرفية النص وعقلانية المقصد، بين الثوابت والمتغيرات، بين الشعائر والعبادات، وبين ما هو متغير من ضوابط شرعية وما هو

وقد أدت هذه التحديات الحضارية الخارجية والداخلية العسكرية والفكرية إلى تعاقب قوى الاستبداد والتخلف والتجزئة والردة الحضارية في العالم الإسلامي حتى سقوط الدولة العثمانية آخر الدولة الإسلامية الكبرى والحكم والتقليد

فيما كان العصر الحديث ونهض العرب بنهضته الحديثة وبدأت عروبته التي [illegible] عالم الإسلام عقب سقوط غرناطة [٨٩٧هـ - ١٤٩٢م] الذي يضرب قلب العالم الإسلامي [illegible] على مصر [١٢١٣هـ - ١٧٩٨م] [illegible] في [illegible] والنهوض [illegible] [illegible] عن [illegible] التراجع الحضاري وهو [illegible] الهيمنة الغربية [illegible] في [illegible] والاقتصاد [illegible] الجهاد [illegible] الجبهتين [illegible] الأفلاك [illegible] المأزق الذي تردينا فيه!

٦٧ الراسمالية ليست نهاية التاريخ!

على المستوى العالمي أفلست وتفلس وتراجعت وتتراجع وسقطت وتسقط الفلسفات و«الايديولوجيات» والنظم «الدنيوية» التي وقفت عند الدنيا وحدها عازلة لها عن الآخرة ومانعة هدى الله عن تدبير العمران البشري وحاجزة بنا السماء العظيم عن أن يكون دليل عمل الإنسان في هذه الحياة الدنيا.

فسقوط الشيوعية وهروب كهنتها من «معابدها الملحدة» وتحول حلمها في العدل الاجتماعي إلى «كابوس رهيب» لم ولن يكون نهاية السقوط لهذه النظم الدنيوية – العلمانية – الوضعية – المادية.

وإنه «يعتبر حالم وحلم عبثي» تصوير سقوط الشيوعية باعتباره الانتصار التاريخي والأبدي للرأسمالية وتسميته ذلك بنهاية التاريخ. فالمرفأ النهائي والأمر البشرية لا يمكن أن يكون هذه الرأسمالية المتوحشة التي تجعل ٢٠٪ من أبناء الشمال في الحضارة الغربية يملكون ويتحكمون ويستهلكون ٨٦٪ من ثروات هذا العالم وتبني جعلت وتجعل الملايين في بعض الحواضر الإسلامية يسكنون المقابر مزاحمين الأموات بينما تباع «الشقة» السكنية بأكثر من عشرين مليون من الجنيهات وتبني جعلت وتجعل التفاوت الفاحش في دخل الفرد يصل في الأمة العربية المسلمة ما بين ٣٣٠٠٠ دولار و١٠٠ دولار فقط لا غير!

فمأزق الإفلاس والعجز عن تحقيق حلم الإنسان في العدل الاجتماعي الذي أسقط الشيوعية حيث سيأخذ بخناق هذه الرأسمالية المتوحشة وخاصة في وطن العروبة وعالم الإسلام ذلك أنه كان قطاع من المسلمين قد عانوا ويلات الشيوعية نحو من سبعين عاما وقال كل المسلمين ومعهم أمم وشعوب وحضارات الجنوب قد اكتووا بنيران الرأسمالية واستعمارها وإمبرياليتها منذ قرنين من الزمان!

فنسا ... ولا يمكن أن تكون ... براء ... لهذه الحرب ... الحكومة الأمة ... الرأسمالية وأنت نحن عقلين ... إن شاء الله ... على تاريخ ... هذه ... الرأسمالية المتوحشة ... سلبها كمثل كل نظم التي عانت في ... البشرية فعاملة ... مع بعضها البعض في الأساس واحدة، محاولة نفس الروح ... والرغبة في ... هذا الإنسان

وإن كانت الجماعة الكبرى التي ركبت ... الشعوب وهي الجماهير ... كانت دعوى تحقيق ... فكيف ... الجماعة بدلاً من الفقر ... وسلب الأمم على الثروات ... والأموال ... بدلاً من سيادة الفقر ... فيها، وطغيانها بهذا الاستبداد ... فكيف ... شعوبه ... حتى عندما اكتشف الجماهير ... شعوبه قد انكشف عن بؤس ... حتى من الرأسمالية ... الدولة ... الرأسمالية ... وقراصنة ... بحكمة ... الرأسمالية ... حتى ... تتحكم ... ولم تنته ... حتى رسخت ... الفقر ... الديمقراطية ... قصداً عن ... تكون ملكية الأمة ... والجماعة ... كما كان الزعم والحلم الذي ... الجماعة ... قد ... عريضة من الجماهير

وإن كان من ... تعيش ... تستحضر ... الخلاف ... من ... مضى ... الجماعة ... الرأسمالية المتوحشة ... فذلك ... هو سر ... الجماهير ... الشعوب ... في ... كل ... الشعوب ... تسعى ... في هذي ... الشعوب ... الشعوب ... حتى ... خروجاً من هذا ... نؤمن ... التي تحسب في ... الخلافات ... والأسباب ... والأديان ... والعلم ... الشعوب ... التي ... الحضارة ... وإن ... الإنسانية ... المعاصرة ... الجماعة

★ ★ ★

... لكل ... المعاصر ... الإسلامية ... المعاصرة – ... عدة ... عفو ... إلى إحياء ... نظام ... الوقف ... الإسلامي ... وإدارته ... في ... المعاصرة ... الإسلامية ... وهو ... في ... يمثل ... الأهم ... في ... الجماعة ... حيث ... لأكثر من ... عشرة ... قرون ... الوقف ... الإسلامي

■ الذي هو ... الذي ... الإنسان ... من ... الإنسان ... وممكنة ... المعاصرة ... أن ... الجماعة ... تحقيق ... الشعوب ... والذي ... هو ... يحقق ... دون ... الأهم ... الشعوب ... ممكنة ... الأمة ... والجماعة ... في الثروات ... والأموال ... لأن ... الأمة ... هي ... المستخلفة ... عن ... الله ... في ... هذه ... الأوقاف

- وهو [illegible] ذلك [illegible] تعظيم دور الأمة في مواجهة «الدولة» التي [illegible] خصوصًا [illegible] تقلص [illegible] الحرية الإنسانية، وخصوصًا هذا الشكل «الدولة» الذي [illegible] عن الدولة القومية في الحضارة الغربية، فالوقف عندما يحقق جوهر ملكية الأمة في الثروات والأموال إنما يوسع في ذات الوقت مساحة سلطان الأمة مقلصًا بذلك طغيان «الدولة» واستبدادها.
- وهو [illegible] الوقف [illegible] مع [illegible] وفوق [illegible] أية فعالية من [illegible] التنمية المستقلة في عالم الإسلام الذي يشكو [illegible] التبعية [illegible] تكتل مشاريعه [illegible] التنمية بالوقف [illegible] حدود الاستقلال [illegible] بالمعنى الاقتصادي [illegible] مستقلاً بالمعنى «الفكري» أيضًا، فالتنمية به هي تنمية بإثبات ومذهبية الإسلام. تميز هذا النمط من التنمية عن نظائره في الفلسفات والحضارات غير الإسلامية فهو استقلال اقتصادي وخصوصية مذهبية وعزة فكرية أيضًا.
- وأخيرًا [illegible] فهو [illegible] الرجاء الدنيوي [illegible] الاقتصادي [illegible] إلى سعادة في الدار الآخرة التي هي خير وأبقى، فهو نموذج من العدل الاجتماعي الذي يوضع في ميزان أصحابه يوم الدين!

٦٨ النهوض بالمرأة .. ووسطية الإسلام

يقول الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [البقرة ١٤٣]

أي أن الوسطية في هذه الأمة الإسلامية هي خير الهدي وأيسر الطرق وأقصر السبل يأخذ به المسلمون أو يدعوه، فهي صفة من صفات الأمة الإسلامية وشرط من شروط شهودها على الناس، ومن ثم فوجوب الاستمرار بهذه الأمة لشهود في أمة الإسلام

ولأن هذا هو المعنى القرآني الصحيح للوسطية كان النبي ﷺ نبيا للإسلام العربي في حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه «الوسط العدل لعلهم أنكم فيه وسط» رواه الترمذي ولذلك نقول في هذا المؤتمر الحكمة هي أساس الحل فيقول رسولنا لهذا العصر الذي عندنا كقاعدة ولكنك في مصر تعمل لا تفكر أن تعدل لا أريد جمع أنصاري وأنصاركم وأنا على حق وأنصاري على حق وأنصاركم على باطل وأنا أعرف الحق وأنصاري يعرفون من كل من يدعي وأدعي عليه فالحق لا يقوم ولا يتحقق بطريقة أنصاري يعرفون واحدة في طرف وواحد من أطراف الاختصام وكذلك تفكر لا تكون عادلا ولا منصفا لأنك هل جئت من جو من أنواعه وكذلك النقابة لا تكون عادلة ولا منصفة إذا هي تحاسب جميع من يخالفون بالمعروف والعموم وكذلك المجتمع الاقتصادي والمعاشي لا يمكن أن يكون عادلا إذا اتخذها صفة من الصفات في المجتمع الذي يتطور فيه الصفات في جوهر الجوهر

وقد سعى هذا الحقيقة من خلال الوسطية الإسلامية المتجددة أن الإسلام لا يمكن أن يكون حتى عالميا إسلاميا كاملا وعادلا إذا ما تأدى على حساب المرأة وعلى مرأى ومسمع الكثيرون الأمر فالوسطية في المجتمع المسلم الشهود لأمة الإسلامية على الناس لا تقوم إلا إذا تحقق لها أن تعرف الحقيقة والواقع المتغيرين ولا يكون المتغيرين في كل من هذه

لفكر وسلوكه والاجتماع مرصوفون على سمة واحدة هو عبقة موقنة بسيطة بالله
واعلى التوحيد في الاعتقاد والعبادة من فروع الاسلام الذي هو خلاصة
لمضامين العدل الذي هو فريضة إلهية، واسم من أسماء الله الحسنى ومعنى
والروح السارية في حضارة الإسلام والمعبرة عن عبقرية الجماعة

وهذه الجماعة من خلال سلامة الاجتماع استحالت شخصية الإسلامية
ذات الإرادة الإسلامية الحرة التي صاغت على مرحلة زمنية طويلة
تاريخ الشهود الحضاري للجماعة المسلمة بوصفها وحدة عضوية في قيادة
الناس نحو الخير وهي الجماعة من الرجال والنساء تقوم بها النساء

قدوة الشهود الحضاري للجماعة المسلمة هو المصنوعات

وقد جاء الفقه الجماعي للقرآن الكريم ليقيم الحياة
الزوجية على أساس ﴿وليست الجماعة بعضهم أولياء بعض﴾ [التوبة ٧١] ﴿هن لباس
لكم وأنتم لباس لهن﴾ [البقرة ١٨٧] ﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا
غليظا﴾ [النساء ٢١] ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل
بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ [الروم ٢١] ﴿هو الذي خلقكم من
نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف ١٨٩] ﴿ولهن مثل الذي عليهن
بالمعروف﴾ [البقرة ٢٢٨]

ومن فقه هذا البناء القرآني لتلك الجماعة المسلمة الذي تقوم فيه
الجماعة على أساس من التكامل بين الرجال والنساء وفق الطبيعة التي
فطرهم عليها الخالق سبحانه وتعالى جاء الحديث النبوي الشريف
واصفا هذا التكامل بين الرجال والنساء بأنهم شقائق الرجال. وقد جاء في الحديث
الذي رواه أحمد والدارمي وهو الفقه الذي تأسس في مدرسة النبوة التي صنعت وخرجت في
أقل من ربع قرن أكثر من ألف فقيه وفقيهة تعلموا من جماعة الصحابة الذين عاشوا الرحلة
الصحبة بين صنوا الرسالة الخاتمة وصفوة الرسل محمد ﷺ فتأسست على
فقه القرآن والسنة النبوية وعلى نهجه الفريد وصنعت خصائص الإسلام

وإذا كانت لهذه الجماعة المسلمة في النهضة والتقدم تقوم بها نهضة هذه
هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، فإن النهضة الإسلامية المنشودة والإطار
الحضاري الذي تسعى إليه، لن يتحقق إلا إذا قام على ساقين اثنتين هما
والرجل كما جاء في الحديث الآنف الذي يحقق يوم طير الإسلام ذلك هو
الطريق للنهضة الإسلامية المتوازنة. أي العدالة في تحقيق بناء النهضة
الإسلامية في الاجتماع الإسلامي الذي ينهض فيه الإسلام

٦٩ شبهات حول مكانة المرأة فى الإسلام

لقد ظهر الإسلام ونطاق الرق شائع وسائد فى كل المجتمعات العالمية منذ قرون وقرون. ولقد ضبط الإسلام نظام الرق على النحو الذى يؤدى إلى تصفيته وطى صفحته، ولكن بالتدريج، وذلك عندما أغلق وحرم الأبواب والمصادر والروافد التى كانت تزيد من الاسترقاق وتمد ونهر الرقيق صباح مساء بالمزيد من الأرقاء من منبر الحروب غير المشروعة، والإغارات العدوانية واختطاف الصغار والاسترقاق عند العجز عن سداد الديون وبيع الآباء والأمهات المعدمين لأنفسهم ولأولادهم ... فلم يبق الإسلام من مصادر الرق القديم إلا الحرب المشروعة وحدها ثم نشأ على ذلك فوسع المصادر التى تحرر جموع الرقيق بالقربات والكفارات بل وجعل ذلك مصرفاً من مصارف الزكاة وبيت مال الأمة والدولة ثم هو بالإضافة إلى ذلك قد جعل للأرقاء حقوقاً مدنية قاربت بين وضعهم الاجتماعى ووضع الأحرار فضلاً عن المساواة فى التكاليف الشرعية حتى تحول الاسترقاق إلى عبء مادى على مالكى الأرقاء بعد أن كان مصدراً للثراء والاستغلال.

هذا هو موقف الإسلام من الرق والاسترقاق وإذا كانت التطبيقات والممارسات التاريخية وخاصة بعد الفتوحات ووضع الرق فى البلاد المفتوحة وتراجع التطبيقات للمثال الإسلامى إذا كانت هذه التطبيقات التاريخية لم تتسق مع المقاصد الإسلامية فى تحرير الأرقاء بالتدريج، الأمر الذى مد فى عمر نظام الرقيق حتى إلغائه فى العصر الحديث فإن وضع الأرقاء فى الحضارة الإسلامية قد ظل متميزاً وممتازاً عن وضعهم فى الحضارات الأخرى بما لا يقبل الجدل ولا المقارنات.

ولقد عرف نظام الرق حالات «التسري» أي اتخاذ مالك الأمة والجارية غير «سريته» أي مملوكه بقصد تمتع مالكها ويهيئها للمعاشرة الجماع على نحو من أنحاء الزوجة ويتم ذلك عند بعض الفقهاء ليس بمجرد الجماع وإنما بحصولها في حيازته مخصصة أي رفعها إلى مرتبة الزوجة لحرة من حيث علو مرتبتها وخصائصها به وحبسها عن الخروج من حرمته كما كان الزوجات في تلك العصور. وفي رأي بعض عمر بن الخطاب رضي الله عنه حصنوا هذه الولائد فهذا تسري في الإسلام فضلاً عن أنه يحصن المرأة ويعفها للرجل وهو حتى أمهات الأولاد وليس مجرد الشبع الجنسي ويشهد على ذلك أن الكثير من الأمراء والخلفاء والقواد والعلماء كانت أمهاتهم «سراري» أي «مهات ولد» وفي هذه التسمية «أمهات الأولاد» شهادة على أن هذا كان المقصد الأول من نظام «التسري».

وقد وضع الإسلام للتسري وهو سرية الملك بيمين قيدت أنواعه التي وضعت بقصد احتلاط الأنساب، ليتحقق الاختصاص بين الرجل والمرأة يعاشر من جاء فمنع مجامعة الأمة المملوكة إذا كانت حاملاً حتى تضع حملها وتطهر من نفاسها وتعتبر الحامل استبراء الإسلام بقضاء عدتها وذلك حتى تبرأ رحمها من احتمال الحمل.

ونظام التسري هذا نظام قديم قدم العبودية في تاريخ الحضارات والمجتمعات ثم يشرعه الإسلام ولم يبتدئه لشرعه الإسلامية فقد عرف القديم تسري إبراهيم الخليل عليه السلام بهاجر المصرية التي وهبها له ملك مصر فوطئها إبراهيم عليه السلام في العرب بعد السنين وفي الهند القديم أيضاً تسري سليمان بن داود عليهما السلام بثلاثمائة سرية وكذلك كان الحال في الحضارة الفرعونية والفارسية وفي مختلف حقب الحضارات التاريخ القديم.

وعندما جاء الإسلام تعامل مع هذه الظواهر والنظم الاجتماعية بحكمته وبسياسة على النحو الذي هذبها وضبط قواعدها، فأعطى الكثير من الحقوق للإماء والتسري، وفتح أمامهن أبواب العتق والتحرير فقد كانت سبباً لتحرير الجنسية بكل الإسلام جعل حصانتها التي رفع منزلتها إلى ما يقرب من منزلة الزوجة الحرة بل من التكريم وقد حاكت السرية تحرر في

الاسترقاق حتى لو ولدت الأولاد من مالكها، ويسري الرق على الأولاد أيضًا. فلما جاء الإسلام قرر بشريعته أن السرية تصبح أم ولد إذا ولدت من مالكها، وتصبح حرة بعد وفاته، وأولادها يكونون أحرارًا [illegible] وسبيل للإلغاء التدريجي لنظام الرق، كما شرعه الإسلام.

وعلى هذا فإن التسري المحض [illegible] يختلف [illegible] الإحصان عنه [illegible] الإنجاب. فهو قريب من نظام الزواج، وإن تميز عنه في بعض الأمور. حتى إن بعض الفقهاء [illegible] على التسري [illegible] في عدد الأربع، كما هو الحال في الزوجات.

ويشترط في الأمة التي يتسرى بها مالكها ألا تكون محرمة عليه بسبب النسب والرضاع كما هو الحال [illegible] وكل ما يحرم على [illegible] التسري [illegible] القرآن الكريم ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ [illegible]﴾ [النساء: ٢٣] [illegible] النسب والرضاع يسري على التسري كما يسري على الزواج.

ولقد دعا الإسلام إلى تحرير السرية [illegible] أم ولد [illegible] للرجل [illegible] كما تقضي [illegible] «تخيروا لنطفكم» رواه ابن ماجه [illegible] نظام الرق [illegible] في العصر الحديث [illegible] للمقاصد الإسلامية [illegible]

★ ★ ★

[illegible] في البلاد العربية والإسلامية [illegible] عليهن أحكام الإسلام [illegible] وتحريم [illegible] العصر [illegible] معاشرتهن إلا بالزواج الشرعي [illegible] محصنات [illegible] كما هو حكم القرآن الكريم ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ [illegible] وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ [illegible] مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥]

وإن كان الإسلام يحرم أموال غير المسلمين، حتى لو كانت خمرًا أو خنزيرًا، فإنه من باب أولى أشد احترامًا لأعراض غير المسلمات.

٧٠ ميراث المرأة وتحريرها

عندما كتبت كتابي «هل الإسلام هو الحل» لماذا وكيف؟ عقدت فيه فصلاً عنوانه «التحرير الإسلامي للمرأة» وعرضت فيه لمشكلات المرأة في عالم الإسلام وحاجات الماسة إلى تحريرها من القيود والأغلال التي حملت منها أكثر مما حمل الرجال ثم أبرزت الفلسفة الإسلامية المتميزة في هذا التحرير والنموذج المتميز الذي قدمه الإسلام منذ عصر صدر الإسلام لعلاقة النساء بالرجال وتساويهما كشقين متكاملين وليس كيانين متماثلين ودور كل منهما في بناء العمران الإنساني.

وفي صفحات ذلك الفصل، ناقشت العديد من الشبهات المثارة في هذا الميدان سواء منها تلك التي يثيرها أصدقاء الإسلام نفر من المتغربين والعلمانيين من أنصار النموذج الغربي لتحرير المرأة وتلك التي يثيرها باسم الإسلام نفر من أهل الجمود والتقليد – الذين يتعبدون بالتزام من العادات والتقاليد والأعراف التي أضفوا عليها زوراً وبهتاناً قداسة الدين.

ومن الشبهات التي عالجتها في ذلك الفصل شبهة التمايز بين الرجال والنساء في الميراث والتي يزعم مثيروها أنها دليل على انتقاص الإسلام من مكانة المرأة وكرامتها وانتفاء المساواة بين النساء والرجال وقد أتيت في الرد على مثيري هذه الشبهة أن التمايز في الميراث لا يحكمه الذكورة والأنوثة وأنه محكوم بمعايير ثلاثة:

أولها: درجة القرابة بين الوارث (ذكراً أو أنثى) وبين المورث (المتوفى) فكلما اقتربت الصلة زاد النصيب في الميراث.

وثانيها: موقع الجيل الوارث من التتابع الزمني للأجيال فالأجيال التي تستقبل الحياة عادة يكون نصيبها في الميراث أكبر من نصيب الأجيال

التي يستدين بحيثه وبذلك يتصرف أسطر عن ذكوره و لأنوثه سواسي
عليهما يرث أكثر من الأم وكلاهما ينبغي أن يرث أكثر من الأب
و لابن يرث أكثر من الأب وكلاهما من الذكور!

وثالثها: إعطاء المعنى الذي يوحي التشريع على لوارث القديم به حدل الأخير من
وهذا هو المعيار الذي يميز بين الذكر و لأنثى ﴿يوصيكم الله في
أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ [النساء ١١]

لأن الذكر يورث هذا في حالة تساوي درجة قرابته والجهين مكلف
بإعالة زوجه التي ليست الأنثى التي يورثه اعالتها فرضية على الذكر المقرر
لها وحالات هذا المعيار متعددة جدا ربما قيست بعدد لآيات المواريث

وبهذا المنطق الإسلامي يكون الإسلام قد ميز الأنثى على الذكر في الميراث
لا عندما يكون الذكر، ويميز الذكور للأنثى عندما تحتفظ بها من طوارئ الزمن
والأحداث وعاديات الاستضعاف

★ ★ ★

وفي الإعداد و لاستعداد لانعقاد مؤتمر المرأة الذي يكون ٢٠ ٢٥
سبتمبر ١٩٩٥م رأيت مجموعة من بنات الفضائيات العاملات في الحقل
السياسي وكل يوم أراهن وأفكارهن للاستراك في سؤتمر ودور التساؤل
والحوار حول حقيقة الرؤية الإسلامية والموقف الشرعي الذي يجب تقديمه لهذا
المنتدى العالمي في مشكلات المرأة وقضايا تحريرها

وعندما طرحت عليهن رؤيتي التي كتبتها في كتابي عن الإسلام هو الحل
بدت الدهشة على وجوههن حتى لأنها كانت المرة لأولى التي تسمع فيها هذا
المنطق الإسلامي الذي لا تقف من هذه البساطة تحتاره و بشاعة موقف المدافع
أو لاعتذار أو لتبرير لمقولة إن الإسلام قد أنصف المرأة فجعلها ترث نصف
نصيب الذكر بعدما كانت لا ترث مطلقا

ويومها تركت هذه القضية ومنها من القضايا المشكلة في حاجة
إلى تجريد من تدريسه غير لمنطق غير المقلدي ويعقل المدعي غير
المدعي، وبالصور لا يكتفي بترديد لمعروف عنه في الساحة الفكرية ثم داعية
وشائعة هذا المنطق الإسلامي الجديد عن كل بمهمس بقضية المرأة وقضاياها

ومشكلات حريتها وتحريرها الإسلاميين منهم والعلمانيين على حد سواء وذلك حتى يثوب الجميع إلى الحقيقة الإسلامية ويقترب الفرقاء المختصمون من الكلمة السواء التي جاء بها الإسلام

وهكذا نجد أن الكثير من الشبهات المثارة ضد المذهبية الإسلامية في قضية المرأة ومكانتها من الزجر في الرؤية الإسلامية هي ثمرة التجهيل والتجاهل بحقيقة موقف الإسلام وفلسفته المتميزة في مساواة النساء بالرجال

٧١ عن الجهاد .. والقتال .. والإرهاب

في الأغلبية الساحقة من وسائل الإعلام – المقروءة، والمسموعة، والمرئية وفي الكثير من دوائر الفكر والثقافة والسياسة، هناك خلط شديد وكبير بين مفاهيم مصطلحات:

١ - الجهاد

٢ - والقتال

٣ - والإرهاب

وهذا الخلط وإن بدأ في دوائر الفكر والإعلام الغربي، إلا أن إعلامنا العربي والإسلامي قد تبناه، وشارك فيه بغباء البيغاوات!

بل وسقطت في هذا الخلط كذلك جماعات كبيرة تمارس نشاطاتها تحت رايات الإسلام، الأمر الذي جعل مصطلحاً محورياً في الفكر الإسلامي مثل مصطلح الجهاد، كاد أن يصبح مجملاً بظلال سلبية كبيرة لدى كثير من الدوائر السياسية والإعلامية، حتى لقد ذهبت منظمة المؤتمر الإسلامي إلى حذف هذا المصطلح من البيان الختامي لمؤتمرها الذي انعقد في الدكار بالسنغال سنة ١٤١٢هـ سنة ١٩٩١م، أي قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بأمريكا بعشر سنوات، الأمر الذي يشهد على سبق هذا الخلط في المفاهيم، مفاهيم هذه المصطلحات – لتلك الأحداث.

■ لقد خلطت دوائر الفكر الغربي – الدينية والسياسية، وكذلك وسائل الإعلام الغربية – بين المفهوم الإسلامي للجهاد، وبين الحرب المقدسة في اللاهوت الكنسي الأوربي، وهذا خطأ فادح في الخلط بين المفاهيم المختلفة تمام الاختلاف.

■ وخلطت كثير من جماعات العنف العشوائي – التي تنسب لباس الإسلام – بين هذا العنف العشوائي، الذي حاولت به هز الاستقرار السياسي والاجتماعي

والاقتصادي والأمني بعدد من الدول الإسلامية والذي هو ذريع للأمنين وعدوان على الأبرياء، خلطت بين هذا العنف العشوائي وبين المفهوم الإسلامي للجهاد، حتى لقد صفق كثير من هذه الجماعات ولا تزال على تنظيماتها اسم «الجهاد»!

ولقد سار الإعلام على هذا الدرب في خلط المفاهيم حتى حسب الكثيرون من أصحاب وسائل هذا الإعلام أن كل قتال في الإسلام هو جهاد، وإن كان عنف له علاقة بالجهاد.

ثم جاءت الحملة الغربية على ما يسمونه «بالإرهاب» الذي لم يتم تعريفه دوليًا حتى الآن.

يتعلق مفهوم هذا المصطلح بالإسلام الذي يدعوى أن الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام هو العنف القتالي أي الإرهاب الذي يروع الأمنين ويعتدي على الأبرياء.

الأمر الذي يوجب على العقل العربي والمسلم تحرير مفاهيم مصطلحاته:

(أ) الحرب المقدسة في اللاهوت الكنسي النصراني الأوربي

ب) والجهاد الإسلامي الذي هو أوسع كثيرًا جدًا من مفهوم القتال

جدًا والقتال الذي هو في الإسلام مجرد شعبة من شعب الجهاد وضرورة لا يجوز اللجوء إليها إلا رد العدوان على عقيدة المسلمين وأوطان دار الإسلام والذي ضبط الإسلام ممارساته بدستور الفروسية الإسلامية المحكوم بمنظومة القيم الإسلامية.

(د) والإرهاب الذي لا علاقة لمفهومه الإسلامي كما جاء في القرآن الكريم بمفهومه الغربي الذي شاع في الثقافة الغربية منذ عصر الإرهاب الذي عرفته الثورة الفرنسية في العقد الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي.

ودينا وصولًا إلى المفاهيم الصحيحة والدقيقة لهذه المصطلحات على أمل أن يسهم ذلك في تصحيح الطرح الإعلامي حول هذه الموضوعات التي تعقد حولها المؤتمرات وتدور بصددها الحوارات، ويملأ فضاءات الإعلام الذي يعيش تحت قصفه هذه السنوات؟

٧٢ أخلاقيات القتال

التعددية والتنوع والاختلاف في كل عوالم الخلق المادية والحيوانية والنباتية والإنسانية والفكرية - تصل في الرؤية الإسلامية إلى مرتبة السنة الكونية والقانون الذي لا تبديل له ولا تحويل، فالواحدية والأحدية تلحق سبحانه وتعالى وحده والتعددية هي السنة في كل عوالم المخلوقات.

ولهذه الحقيقة يرفض الإسلام فلسفة الصراع لأن الصراع يعني أن يصرع طرف الآخر فينهيه وينفرد بالساحة والانفراد والاستعداء في الرؤية الإسلامية - هو المقدمة للطغيان، وصدق الله العظيم

﴿كلا إن الإنسان ليطغى (٦) أن رآه استغنى﴾ [العلق ٦، ٧]

ولأن هذه هي ثمرة الصراع جاء في القرآن الكريم ﴿فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية (٧) فهل ترى لهم من باقية﴾ [الحاقة ٧، ٨]

وفي مقابل الحضارة الغربية القائمة على فلسفة الصراع في عالم الأحياء، حيث البقاء للأقوى بدعوى أنه الأصلح والصراع الطبقي في الاجتماع الإنساني بدعوى أنه هو سبيل التقدم والتطور والمحرك للتاريخ في مقابل هذه النزعة الصراعية تقدم الإسلام فلسفة «التدافع» الذي هو وسط بين السكون والموات وبين «الصراع» والذي هو حراك اجتماعي يعدل المواقف لتصل إلى نقطة الوسط والعدل دون إنهاء للتعددية والتمايز والاختلاف فتتعايش المذاهب والأفكار والفلسفات والطبقات والحضارات حتى إذا ما اختلت العلاقات بين أطراف التعدد، فوصلت إلى الظلم بدلا من العدل وإلى العلو بدلا من التوسط، كان التدافع سبيلا لإعادة الفرقاء إلى نقطة العدل والوسطية والتوازن مع بقاء التنوع والاختلاف.

وعن هذه الفلسفة الإسلامية المتميزة تحدث القرآن الكريم

﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ٣٣ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ٣٤ وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [فصلت ٣٣ - ٣٥]

﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ [البقرة ٢٥١]

﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ٤٠ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ [الحج ٤٠ - ٤١]

وللحفاظ على سنة التعددية كانت المقاصد الإسلامية في العلاقة مع الآخر هي التعايش والمودة والبر والقسط والعدل حتى مع الأعداء الذين يؤمن في الغير مواقفهم المعادية ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم﴾ [الممتحنة ٧]

﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة ٨]

﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ [المائدة ٢]

حتى إذا فرض الأعداء القتال على المسلمين بأن منعوهم عن دينهم أو أخرجوهم من ديارهم فإن الإسلام يضع لهذا القتال الضوابط والأخلاقيات التي صارت - في التاريخ الإسلامي - دستوراً للفروسية الإسلامية.

وهذه الضوابط والأخلاقيات - في القتال - هي فرائض إسلامية، وواجبات دينية، وليست مجرد «حقوق للإنسان» يجوز له التنازل عنها إذا أراد واختار.

■ فالمسلمون لا يجهزون على جريح، ولا يمثلون بجثة قتيل، ولا يقتلون أسيراً، بل ولا يضيقون عليه في ضروريات وحاجيات الحياة ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ [الإنسان ٨]

■ والمسلمون لا يقاتلون ولا يقتلون غير المقاتلين، فلا قتال ولا قتل للنساء غير المحاربات، والأطفال، والشيوخ المسنين، والمسالمين، والرهبان، والعباد

والمنصرفين عن القتال إلى الزراعات والتجارات والصناعات والحرف وشئون العمران المدني غير الحربي.

■ بل إن المسلمين عندما يفرض عليهم القتال مطالبون بالحفاظ على الطبيعة والرفق بمكوناتها قدر الإمكان، فهم لا يقطعون شجرا ولا يقتلعون زرعا ولا يدمرون البيئة ولا يذبحون حيوانا إلا لضرورات الحفاظ على الحياة لأن الطبيعة في الرؤية الإسلامية كالإنسان هي خلق الله لها حياتها، بل إنها تسبح لله سبحانه وتعالى وإن لم تفقه الإنسان لغة هذا التسبيح، فالعلاقة بين الإنسان المسلم وبين الطبيعة هي علاقة مؤاخاة وارتفاق لا علاقة قهر وتدمير.

ولقد صاغت السنة النبوية الشريفة دستور الفروسية الإسلامية هذا في أحاديث نبوية كما وضعته السنة العملية في الممارسة والتطبيق.

فعن عبد الرحمن بن كعب أن رسول الله ﷺ «نهى عن قتل النساء والولدان» رواه مالك في الموطأ.

ولقد كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى أحد ولاته فقال: إنه يبعد أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية يقول لهم: «اغزوا باسم الله في سبيل الله تقاتلون من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا» رواه مسلم ومالك في الموطأ.

ولقد صاغ أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذه الأخلاقيات الإسلامية في دستور الفروسية الإسلامية عندما أوصى يزيد بن أبي سفيان ١٨هـ ٦٣٩م وهو يودعه أمير على الجيش الذاهب لرد عدوان الروم البيزنطيين في الشام فقال: إنك ستجد قوما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم لله، فدعهم وما زعموا أنهم حبسوا أنفسهم له، وإني موصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبيا ولا كبيرا هرما ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا تخربن عامرا ولا تعقرن شاة ولا بعيرا إلا لمأكلة ولا تحرقن نخلا ولا تغرقنه ولا تغل ولا تجبن» رواه مالك في الموطأ.

فكان ذلك أول دستور لأخلاقيات القتال قبل اتفاقيات «جنيف» بأربعة عشر قرنا من الزمان!

■ وقد سجل التاريخ أن الغزوات العشرين، التي رد بها رسول الله ﷺ عدوان المشركين ومن تحالف معهم من اليهود، لم يقتل فيها سوى ٣٨٦ قتيلا، منهم ٢٠٣ هم قتلى المشركين و ١٨٣ هم شهداء المسلمين. بينما الحروب الدينية، داخل النصرانية بين الكاثوليك والبروتستانت والتي دامت أكثر من قرنين قد أبيد فيها ٤٠٪ من شعوب وسط أوربا. ويخصهم «ڤولتير» [١٦٩٤ - ١٧٧٨] فيقول: إنهم عشرة ملايين. فالحمد لله على نعمة الإسلام.

٧٣ من آداب القتال فى الإسلام

فى جميع الأديان القرآنية التى تحدثت عن القتال سواء عن الأمر به أو الوجوب به والحرص عليه كما تشرع والشريعة للقتال خاصة نجد نفس المسلمين فى دينهم والفتنة كبر من القتل ونفس تخرجوا المسلمين من ديارهم ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ٣٩ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله [الحج ٣٩ ٤٠]

﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ٢١٦ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل [البقرة ٢١٦ ٢١٧]

وقد وضع الإسلام للحرب آداب ومعايير فيجب أن تكون رد العدوان بقدره حدث به العدوان وذلك حتى لا تستبيح الناس فى الحرب غير المشروع ولأن الحرب فى الرؤية الإسلامية هى حرجت استثنائية يجب الوقوف عند ليباتها ومقاصدها ومضاقها عند حدودها وابتداء بدى فرضها دون الاعتداء ولقد حدد الله بوضوح أبوابها فتحول الإذن إلى دواء وذلك جاء فى القرآن الكريم عن هذه الضوابط ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [البقرة ١٩٤]

والأصل فى القتال هو مقاتلة المقاتلين من الأعداء المعتدين، ونفس قتل ولا قتل النساء والأطفال وعموم غير المقاتلين وعن هذه الشخائل الفروسية الإسلامية تحدثت وصايا رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين للجيوش والسرايا والبعوث المتجهة «لا تقتلوا شيخا ولا امرأة ولا صبيا ولا عابدا أو راهبا فى صومعته»

ي وبحدثت هذه النصوص وتلك المقروسة الإسلامية عن الاحترام و ورفق والحفاظ على الحيوانات وتنتشر قدعت التي تمنع قطع الأشجار أو تدمير الحيوانات إلا لضرورة الطعام

وفي هذا المقابل سبق الإسلام المعاهدات الدولية من معاهدة جنيف سنة ١٩٤٩م التي تحرم قتل المدنيين بغير قيهم النساء والأطفال في أثناء الحروب

وحتى في الأسرى يغير الإسلام بين المقاتلين وغير المقاتلين فجعل الأسر والأسرى فقط للمقاتلين للمسلمين إذا ظفر بهم المسلمون حتى بينما يقد النساء والأطفال بسبب ضعفه وقوة الترجيح بقديم وهذا المعنى يشير إليه في المقاتلين يحب أسرهم بينما غير المقاتلين وخاصة النساء والأطفال لا يجوز أسرهم في بعض مذاهب الإسلامية طالما لا يخشى منهم ضرر يتركهم أحرارًا

وما كان سوى حروب المقاتلين تتم بصفة أصلية عليهم عند نشوء الحروب وفق المعاهدة بالتمييز بين الفرقاء بحيث يتم فقد وضع بقواعد دقيقة ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها﴾ [محمد: ٤]

فالتمييز بين أولى تصفية وضع من يقعون في أيدي المسلمين من النساء والأطفال وفق المعاهدة بتحريم قتلهم في كل الأحوال لأن الإسلام يحرم قتل غير المقاتلين ولا يجيز في المقاتلين إلا ضرورة قصوى وفي بدء الدعوة وفي بعض الشروح ويبين في فقه الحرب الإسلامية بدقتها بحيث تعتبر الكثير من قواعد القانون الدولي الإنساني تتفق مع الإسلام في تحريم قتل غير المقاتلين ولا يتم كذلك الصغار والمدنيين وغير المقاتلين وغير الأهداف العسكرية والمدنية بما فيها المستشفيات وغيرها من المعاهدات الدولية التي تحرم وتحرم قتل المدنيين وتشيد بالأهداف المدنية متفقة تمامًا مع مقاصد الإسلام في هذا الموضوع

الجهاد فى سبيل الله (١)

الجهاد من جهد هو كل جهد بوجه بى غرض معين وهو ف فى الوسع من القول والفعل والدعوة إلى الدين الحق

وفى عرف الصوفية مجاهدة النفس هى الجهاد الأكبر ب انت فهو الجهاد الأصغر والجهاد بصوره المحسوسة بين فئة بصوره فقد سه فريضه اسلامية عند توفر دواعيه وكتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون» [البقره ٢١٦]

وهو فريضه كفائيه حيث عنه اذا قام به بعض سقط عن الباقين واذا لم ينهض به الأمه وقع الاثم على الأمة جميعا فالفروض الكفائيه الأكثر عليه انها توكد وتحظر من فروض الأعيان فريضة ومن الكفائيه قول الله سبحانه وتعالى «وما كان المؤمنون ليفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» [التوبه ١٢٢]

فهو كالعلم المتخصص وكالدعوة من فروض الكفايه الأكثر عليه ومن الأدلة على كفايته أيضا قول الله سبحانه وتعالى «لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما» [النساء ٩٥] فقوله «وكلا وعد الله الحسنى» يدل على أنه فرض كفايه

ويتعين الجهاد فيصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمه حتى يصح للمرأه أن تخرج إليه دون إذن من زوجها وهى التى لا يباح لها ذلك فى أداء فريضه الحج يتعين الجهاد إذا وطئت قدم الأعداء أرض الإسلام فيكون الجهاد فرض عين على أهل البلد الذى عرض الكفر وفرض كفايه على غيرهم من أهل

الأوطان الإسلامية الأخرى لا إذا عجز أهل البلد المعزو عن إخلاء العدو فإن الجهاد يتعين على أهل من يليهم من البلاد.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]

ويشترط فيمن يجب عليه الجهاد أن يكون مسلماً بالغاً حراً عاقلاً قادراً على أداء مهمة الجهاد، وإذا كان الجهاد فرض كفاية يراد شرط إذن الوالدين لمن والداه أو أحدهما - على قيد الحياة.

★ ★ ★

وفريضة الجهاد إسلامية خالصة تميزت بها الشريعة الإسلامية عن الشرائع الدينية لأمم الرسالات السماوية السابقة، لعموم الرسالة المحمدية إلى كل البشر وخلودها كخاتمة الرسالات السماء، فعمومها يقتضي الدعوة إليها بين كل الأقوام والأوطان، الأمر الذي يستلزم الجهاد لحماية الدعوة والدعاة، وخلودها كخاتمة الرسالات السماوية يقتضي حمايتها من العدوان عليها وعلى أمتها بالجهاد، فتدور حمايتها بالجهاد بين الحكم سنة الصراع بين الحق والباطل، عدوان الباطل عليها الأمر الذي يؤدي إلى الوهن بها وتأمينها حيث لا نبي بعد محمد ﷺ ولا شريعة بعد شريعته ولا كتاب بعد القرآن، فعمومها وتبليغها بها والدعوة إليها فريضة والحفاظ على خلودها فريضة، ووجوبها يقتضي فريضة الجهاد سياجاً للعموم والخلود.

٧٥ الجهاد فى سبيل الله (٢)

وبسبب من اختصاص الشريعة الإسلامية، وأمتها بفريضة الجهاد، وبسبب من تاريخ هذه الأمة الحافل بالقتال والجهاد، الذي فرضه عليها الأعداء البيزنطيون والتتار والصليبيون القدماء والمحدثون، فقد تعرضت الشريعة الإسلامية وأمتها لافتراءات من كثير من غير المسلمين الذين كتبوا عن الجهاد، وكانت أبرز الافتراءات تلك التي زعم أصحابها أن انتشار الإسلام قد تم بالسيف، سيف الجهاد الإسلامي، وبعبارة المستشرق ماكدونالد D.B. Macdonald [١٢٨٠ - ١٣٦٢هـ / ١٨٦٣ - ١٩٤٣م] فإن انتشار الإسلام بالسيف فرض كفاية على المسلمين كافة»! وسبب هذه الفرية - إذا افترضنا حسن النية - هو الخلط بين استخدام سيف القوة في إقامة الدولة، وبين استخدام سيف الجهاد لنشر وإقامة الدين فالمسلمون، وهذه حقيقة تاريخية، قد فتحوا بالقوة أو بالصلح بعض البلاد وأدخلوها في إطار الدولة الإسلامية، وكانوا بذلك يحررون أوطان شرقية من موجة الغزوة الغربية في صورتها وطورها البيزنطي، فالسيف قد استخدم في إقامة الدولة، لكن هل استخدم في نشر الدين؟

هنا ترد الحقيقة الفكرية التي تميز بها الإسلام، حقيقة تحريره للضمير للمؤمن أو للكفر بالحرية والاختيار:

«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» [النحل ١٢٥]

«لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي» [البقرة ٢٥٦]

«ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين» [يونس ٩٩]

«فذكر إنما أنت مذكر ٢ لست عليهم بمسيطر» [الغاشية ٢١ - ٢٢]

وهذه الحقيقة الفكرية الإسلامية قد تأسست على حقيقة طبيعية تنبعث من مفهوم وضعي «الإنسان» في الإسلام. فالإيمان تصديق قلبي يبلغ مرتبته القصوى ومن ثم فإنه يستحيل تحصيل وامتلاء القلب بالإكراه. والإكراه قد يثمر نفاقا وتملقا للإنسان لكنه لا يثمر تسليما قلبيا خالصا لوجه الله. وهذه هي حقيقة «الإيمان» في عرف الإسلام ويقرره الإمام محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ/ ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] فيقول: «الإكراه لا يحدث اعتقادا ولا يكون له أثر له في الدين».

وهذه الحقيقة الفكرية الإسلامية لم تكن مجرد موقف نظري عابر وإنما استمدت من الواقع وصيغت وتأسست في الممارسة وتحققت بين فصول التاريخ الكفاحي على دعائم وشرائعهم في دولة الإسلام. وهو أمر تعرفت به دولة الإسلام دون غيرها من الدول الأخرى وإن تباينت مستويات تلك الإسلامية وصورها الفعلية عبر تاريخها في الممارسة الواقعية. فحتى عصر الخلفاء الراشدين قد استخدم السيف جهادا في إقامة الدولة لكن بعد ذلك وبعد استقرار الدولة وتأسيسها عبر الخلفاء الراشدين تم تقديمه بعد قرون طويلة في الإسلام بالموعظة الحسنة، والقدوة الطيبة بالتدريج وكما لم تنتشر «المسيحية» بسيف الجهاد في أي مرحلة من مراحل تاريخها كذلك لم ينتشر الإسلام.

بل إن قصة الإسلام وجهاده مع الشرك والمشركين قد تأسست على هذه الحقيقة بكل وضوح. فقد ضحى الرسول ﷺ والمسلمون والإسلام بالكثير من أرواحهم وأموالهم وديارهم على حوافر الخيل حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت. فتركوا أوطانهم مهاجرين عبر البحر والقفار وجرى عليهم ما جرى من الاستضعاف حتى لقد كان منهم من يخرج من هذه الدنيا ولم يذق طعم الحرية ولم يحقق أي نصر [النساء: ٩٧].

ومع كل هذا وحتى بعد أن تمكن المسلمون من تحقيق النصر وإقامة دولتهم ولأهمية الجهاد الإسلامي بهدف الدعوة وإعلاء كلمة الله وحفظ الدولة الوليدة من عدوان المشركين فإن الله سبحانه وتعالى فرض على المسلمين الجهاد بالسيف وأمرهم بالصبر على أذى المشركين ما داموا مستمرين في سلامهم وعدم العدوان وليس مجرد الدفاع بالعدوان ولم يجعل الإكراه سبيلا للإنسان بالدين الجديد.

الجهاد فى سبيل الله (٣)

بعد دخول قصة الإسلام مع فريضة الجهاد بالأمر بقتال من يحاربون ويقاتلون المسلمين تمام حدث الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة وبدء قيام الدولة الإسلامية وهي لأول مرة تواجه أمر محاربة الأعداء المتربصين في استخدام القوة للانقضاض على المسلمين بهدف استئصالهم أو إخراجهم من الديار وذلك عملا بسنة الله في الدافعة بالمقاومة والحضارية في الدفاع عن الدين في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج ٣٨-٤٠]

لقد أذن لهؤلاء المظلومين الذين يحاربون في استخدام وسيلة تحقق ردع الظالمين المعتدين

وكانت السنة الأولى من الهجرة والسنة السابعة التي أعقبت صلح الحديبية وهي تمثل غيب عمرة القضاء في هذه السنوات التسع شهد المسلمون أكثر من عشرين غزوة وسرية خاض في عدد منها ومع ذلك فقد تضمنت هذه الفترة نسبة محكومة بالقتال الإلهي للمؤمنين في استخدام أدوات «الصراع» في ردع الظالمين الذين أخرجوهم من الديار!

فقد كانت السنة السابقة من الهجرة وتحديدا المسلمون للسفر من المدينة إلى مكة لأداء عمرة القضاء وقد نصح الحديبية توجس المسلمون خيفة من غدر المشركين بهم عند رابهم مناسك العمرة فهم سيدخلون مكة معتمرين وليس معهم من السلاح سوى سلاح المسافر وهم في الأشهر الحرم التي لا يحل فيها القتال وفي البلد الحرام الذي لا يجوز فيه القتال ولم تحسم المسألة

هذه من غدر المشركين وتقضيهم عهد الحديبية بدون الأشهر التي تمضي إلا
بالقتال وقد اعتدوا حتى ولو كان لهم عهد بيت بحرم وفي شهر حرام لقد
حل لكم قتالهم عند حدود الحرم وفي الشهر الحرام حتى يقاتلوكم فيه
بحرم وحرم القتال وقد اعتدوا ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا
إن الله لا يحب المعتدين ﴿ ٩٠ ﴾ واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة
أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك
جزاء الكافرين ﴿ ٩١ ﴾ فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ﴿ ٩٢ ﴾ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون
الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴿ ٩٣ ﴾ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات
قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع
المتقين ﴾ [البقرة ١٩٠ – ١٩٤]

وقاتلوا المشركين، وتقضيهم العهد واستحلالهم حرمة الشهر الحرام
بالشهر الحرام على المؤمنين فإن الله أخرجوهم من ديارهم وتحيزوا في
عسكرهم عن ديارهم وليس يخرج من الحرمات إلا الحرمات قصاص فمن اعتدى
القصاص حياة لأولي الألباب!

وذكر من ذلك عندما قدم من مكة إلى المدينة في سنة ست من الهجرة
عمرة تلك التي يرجف بها المرجفون في كل وقت ويثير لأعداء الإسلام فيها
فيقولون إنهم صدوا رسول الإسلام وأصحابه، وبذلك لم يحترموا الشهر
الحرام لأنهم يذكرون المرجفين بهذه الحادثة التي هذه السورة بها
تأمر المسلمين بقتال من نقض العهد وغدر بالمواثيق بدون الدين استقاموا على
عهدهم رغم أنهم مشركون، فهي تشرح للقلوب التي بها ضعف من
أخرجوا من ديارهم في تلك السنة، حتى لا تذكر المرجفون
من القصاص والتأديب وحتى لا يعود لأعداء هؤلاء المسلمين
في كل هذه السورة عن أي علاقة به، بعدوان لا يحترم
به ولا علاقة به من ثم يشرح الله عز طريق القتال من
بين عهدهم من المشركين ﴿ فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله
وأن الله مخزي الكافرين ﴿ ٢ ﴾ وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء
من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر
الذين كفروا بعذاب أليم ﴿ ٣ ﴾ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم

يظهروا عليكم أحدا ولم يتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ٤ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ٥ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ٦ كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين ٧ [التوبة ١ - ٧] وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ١٢ ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ١٣ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ١٤ ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ١٥

[التوبة ١٢ - ١٥]

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ١٩٠ واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ١٩١ فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم ١٩٢ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ١٩٣ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين

[البقرة ١٩٠ - ١٩٤]

٧٧ الجهاد فى سبيل الله (٤)

مناسبة فتح مكة سنة ٨ هـ

وهكذا فرغم أن المناسبة كانت محاطة بنضج الظروف السياسية لفتح المسلمين بمكة، وهو الفتح الذي يمثل عودة المهاجرين إلى الوطن الذي أخرجوا منه قسرا وظلما وعدوانا ورغم ما يمثله هذا الفتح من شرط ضروري لتأمين الدعوة الإسلامية وضمان حرية دعاتها في شبه الجزيرة العربية بالقضاء على الثورة المشركة المحركة لقوى المناوئة للدين الجديد، رغم كل ذلك فقد ظل الأمر الإلهي للقتال في سورة التوبة محكوما بالمنهج الإسلامي الأصيل للجهاد أن لا عدوان إلا على المعتدين الظالمين الناكثين للعهود.

وحتى عندما جاء نصر الله والفتح وأصبحت مكة في دولة الإسلام لم يعرض رسول الله ﷺ الإيمان الديني على أهلها بسيف الجهاد وإنما خطبهم قائلا:

- ما تظنون أني فاعل بكم؟

فأجابوه وهم الذين صنعوا به وبأصحابه وبدعوته ما صنعوا [illegible]

- أخ كريم وابن أخ كريم

فقال لهم عليه الصلاة والسلام

- اذهبوا فأنتم الطلقاء

فأين هو نشر الإسلام بالسيف الذي يرجف به المرجفون؟

إن ملابسات القضايا التي تثار والأفكار التي تلقى هي مما يساعد على فهم طبيعة ومقاصد هذه القضايا والأفكار وكذلك معرفة حظ هذه القضايا والأفكار من الصدق والموضوعية والاتساق.

والأمر الملحوظ في ملابسات الدعاوى التي زعمت أن نشر الإسلام بالسيف هو فريضة كفائية على المسلمين كافة هو ارتباط هذه الدعاوى التي أرادت تشويه حقيقة الجهاد الإسلامي بالقرون التي شهدت الغزوة الاستعمارية

بعربه الحديثه بعلم الاسلام واحياء الاستعمار الغربي لاوطا يتسمت
فتسلف مع الاحتلال العسكري و نهب الاقتصادي والاستلاب الحضاري جاء
تشويه الجهاد الاسلامي لصرف المسلمين عن استخدامه ردا مستمرا من
الاستعمار وسبيلا لرد العدوان

وفي موقف اخر كان يحرص المستشرقين يصنعون لكلمة الفرق
المعرفة التي تستخدم لاستعمار على عكسها من مثل الاحمدية في الهند
والبابية و«البهائية» في فارس تكرر شرعية ومشروعية الجهاد

لقد كان يخوف من هذا التحريف الجهاد فرصة التي صنعت للمسلمين
عندما اسلموا هو القرآن الذي كتب الله وأمر به ورسوله عليه الصلاة والسلام «والله
يعد ورسوله وشرعه ونبيه ولكن المنافقين لا يعلمون [المنافقون ٨]

لقد كان الخوف من احياء الجهاد الاسلامي ورفض كل هذه الادعاءات

فالجهاد لقد شرعه الله على مقومات الامة الاسلامية ومقوماتها وصدق
رسول الله ﷺ «من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو
شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد» رواه الترمذي

فهو سياج الحفاظ على مقومات الامة لانه سبب القصاص من المعتدين
وفي القصاص الحياة

وحينما كان الجهاد في الاسلام بمعنى اشمل من هو أوسع من القتال
بكثير حتى يمكن ان نقول ان ٩٩٪ من مشاريع الجهاد هي مشاريع سلمية فهو
دعوة وسفارة جهاد فكر وعلم من اجل الاصلاح اصلاح النفس
واصلاح واقع واصلاح لاحتياجات فمجاهدة النفس جهاد ومجاهدة الشيطان
جهاد والعلم والتعليم جهاد وعمران الارض وتنمية المجتمع جزء من
جهاد وبر الوالدين جهاد والرفق بالانسان والحيوان والنبات
والطبيعة جهاد والحج والعمرة جهاد

وبذلك كان الجهاد بهذا المعنى الشامل فرض عين على كل مسلم ومسلمة
كل بحسبه في دائرته التي يعمل فيها كما سنرى فيما بعد فرض الجهاد
الذي هو فرض كفاية فهو القتال دفاعا عن حرمة الاعتقاد وحرية الوصول الى هو
الوعاء لإقامة الدين وحياة الإنسان

٧٨ عن الشهادة.. والاستشهاد (١)

الشهيد اسم من أسماء الله الحسنى لأنه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء وشاهد والكون هو ما بطن وخفي أما الشهادة فهي ما ظهر فهو سبحانه الشاهد المشاهد ولذا يشهد على خلقه يوم القيامة بما علم وشاهد منهم

ولقد سمى المؤمن الذي يقدم روحه فداء لله ودينه وأمة رسوله ﷺ وأرضه الإسلام شهيداً لأنه يشهد ويشاهد مكانته في الجنة في ذات اللحظة التي تنبثق من جسده أولى قطرة من الدماء وفي الحديث النبوي الشريف قال رسول الله ﷺ للشهيد عند الله ستة خصال يغفر له أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر ويحلى حلة الإيمان ويزوج من الحور العين ويشفع في سبعين نسمة من أقاربه [رواه الترمذي وصححه]

وتهنئة الخليفة عمر الفاروق الكريم رضي الله عنه لشهداء المسلمين وتعزيتهم حينما عاد ربهم برفقة فرحين بهذه الحياة الدنيا التي صاروا إليها بعد أن كانوا يعيشونها لأنها سيفارقونها وشيعهم ومشاهدتهم مكانتهم في الجنة لحظة لحظة وهم يقتربون من أجسادهم بعد أن حياتهم الأبدية في الجنة لحظة الموت واقعية ومباشرة لحياتهم الدنيا ويحزن عليهم فحياتهم موصولة بنفس قوية بقوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ [البقرة ١٥٤]

﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ٦٩ فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ٧٠ يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين﴾ [آل عمران ١٦٩ ١٧١]

لقد تفردوا بمشاهدة مكانتهم في الجنة دار الخلد فمن معدنهم دار الفناء ومن لم تفردوا بتحاور سوف عندما قضت حياتهم الدنيا بحسنة إلى حياتهم الأخرى الباقية في جنات النعيم ولأن الإسلام يريد الإنسان ربانياً يتسامى على الجسد طيبي في خلقه وخلقه ليصعد ويطوف من

الحسن بروحي الذي يفهم الله فيه من روحه سبحانه وتعالى فلقد دعا الإسلام هذا الأساس الى الارتفاع والارتقاء بذات وجنسه وسلوك من هو بحيوانيته الى هو يستحق بسببي وجهكن بخلاق الله وصفاته بصفة وصفها صفة الشهيد فيستحق بهذا الخلق به بمعنى السعي على درب كسب الممكن من صفته سبحانه هو سبل التسامي بالإنسان

وفي هذا المعنى يقول حجة الإسلام ابو حامد الغزالي [٤٥٠ ٥٠٥هـ ١٠٥٨ ١١١١م] ان كمال العبد وسعادته هي في التخلق بخلاق الله تعالى والتحلي بمعاني صفاته واسمائه بقدر ما يتصور في حقه ومن لم يكن له حظ من معاني سمعه الله تعالى لا من يسمع لفظه ويفهم في لغة تفسيره ووضعه ويعتقد صدق وجود معناه في الله تعالى فهو محروس الحظ وبقدر نقص نصيبه من ذلك يتطرق نقصان الى سماع الحق لا يستدعي الا سلامة حاسة السمع التي يدرك بها الاصوات وهذه رتبة يشارك بهيمة فيها وان فهم وضعه في اللغة فلا يستدعي إلا معرفته العربية وهذه رتبة يشارك فيها الأديب اللغوي بل المعلمي يستوي وان عتقد وجود معناه في الله تعالى من غير كشف فلا يستدعي الا فهم معنى هذه الالفاظ والتصديق بها وهذه رتبة يشارك فيها المتكلمي بل العامي الذي فهم الكلام والقى سمعه هذه المعاني بلفظ وسمعها واعتقدها بقلبه وسلم عليه ومن خصوصه المقربين من معاني سمعه الله الحسنى استشعاره عما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه يتبعث من الاستعظام ويسوقهم الى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات بمقدورهم بها من القرب بالصفة لا بالمكان فيتحدون من الاتصاف بها شيء من ملائكة المقربين عند الله تعالى ولا يتصور ان يعني بقلب يستعصم صفة واستشرفها الا وسعه شوق الى تلك الصفة وعشق لذلك الجلال وحرص على التحلي بذلك الوصف ان كان ذلك ممكنا للمستعصم بكماله فان لم يكن بكماله فسعيه يسوق الى القدر الممكن منه لا محالة فبالسعي في اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلي بمحاسنها يصير العبد ربانيا اي قريبا من رب تعالى

بل هي نفحة لمسلم وتلك هي آفاق لمثل الإسلامية، حيال التخلق بمعاني صفات الله وسماته الحسنى ومنها صفة الشهيد، فحتى يكون المسلم شاهداً على الناس ومشهداً سعداء من اجله لابد ان يسعى الى جهاد ونصرة الله ورسوله والدين ليكون من الشهداء الأحياء الفرحين عند ربهم في جنات الله

٧٩ عن الشهادة.. والاستشهاد(٢)

ولأن الإسلام دين ودنيا وآخرة، وفرد وجماعة وأمة، ودين ودولة ونظام واجتماع، ولأن مقاصد الشريعة الإسلامية لم تقف فقط عند حفظ الدين، وإنما أضافت إليه حفظ النفس والعقل والعرض والمال، فقد فتح الإسلام أمام المسلم أبواب كثيرة وواسعة للشهادة والاستشهاد، فكل ميادين الحفاظ على الدين والنفس والعقل والعرض والمال هي ميادين للشهادة والحفاظ على بذل النفوس والأرواح فيها هم الشهداء الأحياء عند الله الفرحون بما أعد لهم مولاهم في دار الخلود وجنات النعيم.

ولقد جاء في الحديث النبوي الشريف: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» رواه الترمذي، وأول الناس دخولاً في الجنة هم الفقراء المهاجرون الذين تسد بهم الثغور وتتقى بهم المكاره» رواه الإمام أحمد.

فالمصلحة للنفس في جميع ميادين الحفاظ على مقاصد الشريعة الدينية والدنيوية هي أبواب للشهادة والاستشهاد تفضي إلى الحياة الحقة الخالدة للشهداء في جنات النعيم.

بل إن هذه الميادين هي ميادين الشهادة والاستشهاد التي يحافظ بها المسلم على مقاصد الشريعة الإسلامية، إنما تتسع وترحب بتعدد وتنوع لوازمها وضروراتها.

فالحفاظ على الدين لا يقف عند التمكن من الاعتقاد والعبادات، وإنما يسند ليكون النظام الحاكم والمحقق لسعادة الدنيا والآخرة.

والحفاظ على النفس لا يقف عند صيانة حياة الأفراد، وإنما يمتد ليشمل كل ما يحقق فاعلية الأنفس والأمم والشعوب وعزتها وكرامتها وحرياتها.

والحفاظ على العقل لا يقف عند صيانته من السكر والجنون وإنما يمتد ليشمل كل المبادئ والعلوم والفنون والآداب التي تصون العقل وتبعد عن التدني والانحطاط.

والحفاظ على العرض لا يقف عند الحريم الفردي، وإنما يمتد إلى صيانة جميع الأعراض من كل ما يشبه حرمانها من وجدانها مسلمة كانت أم على غير الإسلام من المعتقدات.

والحفاظ على المال لا يقف عند صيانة ما في الحوزة من الأموال والثروات وإنما يمتد إلى سائر المبادئ التي يتحقق بها العدل الاجتماعي بين الناس كل الناس. في ذلك يقول العلامة ابن حزم الأندلسي [٣٨٤ - ٤٥٦هـ / ٩٩٤ - ١٠٦٤م]: وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجدهم الشيطان على ذلك وإن لم يقم بركوبهم ولا في أموال المسلمين بهم فيقام بهم بما يأكلون من القوت الذي لا بد منه ومن اللباس للسلف والصيف بما يدفع ويمسكون بكلهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة أو لحم خنزير وهو يجد طعامًا فيه فضل [زيادة] عن صاحبه لمسلم وذمي [illegible] فإن قتل فعلى قاتله القود [الدية] وإن قتل [illegible] وهو طائفة باغية [illegible] على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله [الحجرات: ٩].

[illegible] الحق [illegible] الحق [illegible] أبو بكر الصديق رضي الله عنه-مانع الزكاة.

فالاستشهاد [illegible] الاجتماعي [illegible] صيانة النفس كمقصد من مقاصد شريعة الإسلام.

بل إن تكامل هذه المبادئ -على اتساعها- ليبلغ الحد الذي جعل فيه الإسلام صيانة النفس لتحقيق ضرورات حياتها [illegible] وهو المقصد الأول لشريعة الإسلام وفي ذلك يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: [illegible] لا يحصل إلا بنظام الدين فنظام الدين بالمعرفة والعبادة لا يتوصل إليها إلا بصحة البدن.

وبقاء الجنس

وسلامة قدر الحاجات من

(أ) الكسوة

(ب) والمسكن

(جـ) والاقوات

(د) والامن

٨٠ عن الشهادة.. والاستشهاد(٣)

وبهذه الحقيقة ربط القرآن الكريم بين المسرى الذي هو ميدان للشهادة والاستشهاد، وبين الحفاظ على حرمة الدم والمسجد الأقصى في قوله: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ [البقرة: ١٩٣]

والحفاظ على حرمة الوطن الذي هو الوعاء الضروري لحماية الدين والشرط اللازم لإقامته وكتابته والذي بدونه تنتهك حرمات لا يتم الحفاظ على بعض المقاصد الشرعية الأخرى كالنفس والعقل والعرض والمال. ولذلك فإن في القصاص من القاتل حياة للنفس وحفظاً لها، وحرمة الوطن تستحق أن تحمى بالدماء من الديار التي تدنس بأقدام الغزاة والمحتلين، ولذلك أذن الله للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ [الحج ٣٩، ٤٠]

وكان الأمر بالقتال مرتبطاً بالدين ﴿وقاتلوهم في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ١٩٠ واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين ١٩١ فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم﴾ [البقرة ١٩٠-١٩٢]

وكذلك كان الفرض بالقتال والمحاربة مقصوراً على هذه الأغراض حماية للدين من الفتنة وحماية للوطن من العدوان ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ٢١٦ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن

سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل [البقرة ٢١٦، ٢١٧]

فالإخراج من الديار، والفتنة في الدين هما سبب الأمر بالقتال والإنجاز لهذا القتال، وكذلك كانت معايير الموالاة والمعاداة مع الآخرين: كل الآخرين ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ۝ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة ٨، ٩]

هكذا وقفت مقاصد القتال عند حماية حرية الدين والدين، وحرية الوطن الذي هو الوعاء الضروري لإقامة كامل الدين، وتمنعت ميادين الشهادة والاستشهاد لتشمل كل ميادين الجهاد الذي هو بذل الوسع واستفراغ الجهد في كل ميادين الصلاح والإصلاح.

وبهذه الحقيقة حقيقة أن حرية الوطن هي الشرط لحرية الدين والدين كانت صيانة الحرية لدار الإسلام ترابا عظيما ووسعا من أبواب الشهادة والاستشهاد.

كثيرين من الجاهلين أو العاقلين يقفون اليوم عاجزين عن استيعاب مكانة [illegible] الشهادة والاستشهاد في النسق الفكري الإسلامي [illegible] [illegible] الفرعونية الجديدة كبوس [illegible] الجهاد الإسلامي على [illegible] الإسلام [illegible] الصهيونية إنهم عاجزون عن فهم قول الشهيد سبحانه وتعالى ﴿إن نفسه لتبين لي أنه وطن وقوم قبلا﴾ [الشورى ٦] [illegible] عن فهم [illegible] الشهادة والاستشهاد الإسلامية [illegible] الإسلام [illegible] الوعاء الضروري لإقامة الدين وكل مقاصد شريعة الإسلام.

عن الشهادة.. والاستشهاد (٤)

قد جعل الإسلام حرية الوطن مراقبة ومسئولة لحد أولئك الذين يكتسبون [illegible] فسهم و خرجوا من ديارهم ليفعلوا أنفسهم: [النساء ٦٦]

﴿ولو أنا كتبنا عليهم اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ [النساء ٦٦]

﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون﴾ [البقرة ١٧٩]

﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ [البقرة ٨٥]

فالإخراج من الديار كالإخراج من الحياة عدم إقامة الحدود المقررة في حرمة الأوطان، التي لا تتحقق إلا في وطن حر.

وإذا كان الإخراج يعتبر من الديار أعظم من التفريط في حرمة الوطن هو موت بهؤلاء المفرطين حتى ولو صار الجسد الحيواني منهم حيا يأكلون به ويشربون ولكن الله يعدهم بعذابهم ويوم القيامة يبعثهم ويهينهم في مقره هو موت حكمي لا يعوضه بقاء الجسد الحيواني لهؤلاء الذين فرطوا في حرمة الأوطان.

وقد بدع الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ١٢٦٥ ١٣٢٣هـ ١٨٤٩ ١٩٠٥م في تقرير هذه الحقيقة التي رفعت حرمة الوطن إلى مرتبة تجسده وجعلت الخروج منه بالتفريط في حرمته موت ومن ثم فقد فسر في تفسيره قول الله سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ [البقرة ٨٥] وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم﴾ [البقرة ٢٤٣ ٢٤٤]

فقال الأستاذ الإمام: تأسى الله تعالى في الأمم التي تحب فلا يدع التعبير عنها وحدة الأمم وتعاونها في عزها وبأس جمعهم معروف فمعنى

مبب وهن يعم هوا ... عوبكم بهم وفي عونهم وأزال استقلال أمتهم، حتى صاروا لا تعد منهم في بقوق شيب وهب د معف فكل من يقرأ من أفرادها خاضعون له لمن صانعون فيهم، مدعنون في غمارهم لا وجود لهم في نفسهم و شاهد هذا به يوجود غيرهم ومعنى حياتهم هو عبوده لاستقلال إليهم

ان يحض عن مدافعة الأعداء ويستسلم الدار بشوشة و غرر فه انتهى بتحوف بتحرى و يغرى و الجند عزيزة عنه هي بحاجة شديدة لمجموعة من عدوان المعتدين .

والقرآن في سبيل الله عم من يقعد لاحض بدين لأنه يشغل المسلمين عن الجهاد إياهم انظامع المهاجم باغتصاب بلادنا ولتمتع بخيرات أرضنا أولا الجهاد الدفاعي بلادنا وبعدوان على استقلالنا ولو لم يكن بد لاحض فيه في نفسه و فرض بحمايته لحفظه كنعال بحاجة بحفظ كله متوقف في نفس الله وقد اتفق الفقهاء على ان العدو إذا دخل دار الإسلام يكون قتاله فرض عين على كل المسلمين .

و يحقق على حرية الوطن هو يحقق على ابوعاء الذي يدور لا يمكن أن يفهم كامرئ من الإسلام فالجهاد جوهره لوطن هو المعنى الحقيقي في الدين كلاهما يوجب الجهاد بقتالي لتحرير الضمير وتحرير الدار

ولان الإسلام هو الأحداث لقلوب وبلاوطن ... ثم بين سبحانه وتعالى ذلك بحكمة [الأنفال ٢٤]

كما ان ثقافة المقاومة والشهادة والاستشهاد هي السبيل الوحيد لعزة والكرامة وبحفظ هذه وتهدد الحقيقة التي يحسب حساب صدور الإسلام لدى وصف حقوق المسلمين وسيصون بعزة الإسلامية التي يمنحها سبحانه وتعالى لمن يكون من عزته ومن عزة رسوله عليه الصلاة و سلام وعزة المؤمنين وسماهن ولكن المنافقين لا يعلمون [المنافقون ٨]

و كتب تاريخ الحروب الصليبية و مصره بقرعونه بحساسية بحق و بقطة الإسلامية المعاصرة واعتبر حرب دار الإسلام ضد الصليبية و الاستعمار نفاق [بسنة اليس] هي التي تحقق لأي وحدة من أعظم مصير الإسلام على الإطلاق وهو ما يجب على أمة الإسلام وبرز عليه الحرب واحد والمصير الأوحد من يصدق به ذكرى قريش [الحج ٤٠]

٨٢ في التدافع بين الحق والباطل

إذا كان عمر الإسلام قد أكمل الآن أكثر من أربعة عشر قرنا فقد أمضى المسلمون أغلب هذا العمر في مواجهة التحديات التي فرضها عليهم الغرب والحضارة الغربية.

فالقرن الأول من عمر الإسلام قضاه المسلمون في فتوحات تحرير الشرق من الاحتلال البيزنطي الذي امتد من القرن الرابع قبل الميلاد - غزوة الإسكندر الأكبر [٣٥٦ - ٣٢٣ق.م] - وحتى القرن السابع للميلاد.

وما إن أوشك القرن الحادي عشر الميلادي على الرحيل حتى عاد الغرب تحت أعلام الصليب في الحملات الصليبية المتعددة لتقيم الدور والأمارات الاستيطانية في قلب العالم الإسلامي على امتداد قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠هـ / ١٠٩٦ - ١٢٩١م] وإبان هذه الغزوة الصليبية أقام الغرب النصراني بقيادة البابوية مع الوثنية البيزنطية حلفا ضد الإسلام وأمته وعالمه.

وفي العقد الأخير من القرن الخامس عشر الميلادي نجح الغرب في اقتلاع الإسلام من الأندلس عندما سقطت غرناطة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م وبعد حرب القرون الخمسة من يومها وحتى الآن للالتفاف حول العالم الإسلامي ثم غزو قلب هذا العالم واحتلال واحتواء أقاليمه وأقطاره. وفي هذه الغزوة أيضا استعان الغرب باليهودية ثم وبالمادية والإلحاد في الصراع مع الإسلام والمسلمين.

ولقد تميزت هذه الدورة من دورات هذا الصراع «الحضاري - التاريخي» بدخول «الفكرة» جبهة من جبهات هذا الصراع عندما نهض «التبشير النصراني» و«الاستشراق السياسي» و«الغزو الفكري» بأدوار رئيسية على ثغرات هذه الجبهة الفكرية في الميدان الواسع والممتد لهذا الصراع.

ورغم تعدد أدوات الفكر الغربي ومدارسه ومذاهبه وتصنيفاته فقد تأسست ومازالت على عنصر واحد هو نظرتها للإسلام هو العدو الذي يهم أوربا والقاسم المشترك بينها وهو «المصدق» ومحل التقاء وهو المركز وتحن «الهوامش» والأطراف»

فالإسلام هرطقة نصرانية وحضارته تسعى لتدمير عموم الأعراق الأوربية الأكثر تحضرا، وشرقه «الأدنى» أو «الأقصى أو «وسط» بحسب موقع أجهزته من «المركز الأوربي»

لكن هذا الادعاء الغربي لم ينجح في إخفاء مخاوفه من الإسلام وحضارته ولا في تغطيته على حجم هذه المخاوف التي لم يستشعر الغرب منها بل ولا بعضا منها تجاه غير الإسلام من الديانات والحضارات

فالحساسية الغربية قد جعلت الغرب يرى في الإسلام العدو الأبدي والخطر الذي يتربص به الهيمنة والاستعلاء الغربيين إما في عصر الظلام أو الوسطى وحتى هذه اللحظة، ويدفع الحضاري عند الغرب أن الحضارة الإسلامية هي المنافس الحضاري الوحيد على مسرح العالمية الحضارية الغربية فحضارات الهند والصين وغيرها من الحضارات «المحلية» لا تمتلك بعدها الحضاري بمعناه الاستيلائي فتصور الغرب أو حتى هذه الحضارات «لذاتها» منعزلة امتها الغرب لا تتعدى مرحلة «مصدر» و«مركز انطلاق» على شرق «أقصى» وليس هكذا حضارة الإسلام التي تملك لوسعته البشرية والجغرافية بعدها الحضاري بمعتقداته في تصنيفة حضارية غربية تتيح لها بعدا حتى في غير شعوبه العربية ذاتها وعلى نحو يجعل الغرب يخشاه لا كمجرد «منافس» وإنما «كبديل»

ولهذه الخصوصية من خصوصيات الصراع بين الغرب والإسلام وحضارته وقت وعاصر كل هيمنة الغرب وتفوقه فكرة على حبيه هذا الصراع

فالاستشراق القديم منذ انتشاره الفكرة على جبهة زحف الغربي على دار الإسلام، وعلى امتلاك مفاتيح تخاصم مع الغرب يتسم بالغرور والاستعلاء الحضاري والاحتلال العسكري على نحو يشرق بالغرب، ويعود واضحا فشل النخب العلمانية المحلية التي صنعها الغرب على عينه وصنع عقولها ومناهجها وتوجيهاتها وحضارتها ونظرتها وفلسفتها أن تحس

هذه «النخب العثمانية» في الحفاظ على تمرات التحرر الوطني وفي إقامة المشروع الحضاري المستقر، لتعاظم ظاهرة الإحياء الإسلامي، ولتقدم قواها للنهوض بالدور الذي قامت فيه النخب العثمانية بتحرير الأوطان واستخلاص البروتين وأيضا استرجاع الهوية، واستكمال إسلامية الفكر والواقع وبعث الحضارة الإسلامية كنموذج متميز في التقدم والنهوض والتجديد، الأمر الذي أبرز دور الإسلام في المواجهة مع الغرب من جديد، والذي استنفر «العقل الاستشراقي الغربي» فوظف مراكز بحثه ودراساته وجامعاته ومعاهده وكنائسه لدراسة ظاهرة الإحياء الإسلامي محاولا تطويقها وإجهاض مشروعها وترتيب الوعي بحقيقتها، استنفار الشعوبية كي يتخذها عدوا وصدق شعوبيته عن السير في طريق هذا الإحياء.

★ ★ ★

وإذا كان الباطل قد استنفر قواه لترتيب الوعي بحقيقة ظاهرة الإحياء الإسلامي، فإن على قوى الحق عمالا بسنة التدافع الفكري والحضاري أن تواجه الكلمة الخبيثة بالكلمة الطيبة، حتى يذهب «الزبد» جفاء ويبقى ويمكث ما ينفع الناس!

٨٣ صراع له تاريخ! (١)

انطلاقاً من القرآن الكريم يرى المسلمون ويريدون هذا العالم «مبتدى» ثقافات وحضارات وشرائع ومنن ونحل وفلسفات وأمم وشعوب وقبائل وأجناس وألوان ولغات وقوميات.

ويريد المسلمون لأعضاء هذا «المبتدى الإنساني» التفاعل فيما هو مشترك إنساني عام «والتمايز» فيما هو من الخصوصيات الثقافية والعقدية والفلسفية وذلك لتحقيق مقاصد التعارف والتعايش والتعاون على البر والتقوى في القيام برسالة الاستخلاف الإلهي للإنسان كي يعمر هذه الحياة الدنيا طلباً للسعادة الأخروية فيما وراء هذه الحياة.

هكذا يرى المسلمون العالم، ويريدونه انطلاقاً من الآيات المحكمة في القرآن الكريم:

■ فالواحدية والأحدية هي فقط للذات الإلهية ﴿قل هو الله أحد ١ الله الصمد ٢ لم يلد ولم يولد ٣ ولم يكن له كفواً أحد﴾ [الإخلاص ١-٤]

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى، ١١]

■ والتنوع والتمايز والتعدد والاختلاف سنة إلهية كونية لا تبديل لها ولا تحويل في سائر عوالم المخلوقات والشرائع والثقافات والحضارات والأفكار والفلسفات ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ [الروم ٢٢]، ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ٨ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾ [هود ١١٨-١١٩]

■ وهذا التنوع والاختلاف وهذا التعايش والتعارف والتعاون بين المختلفين هو في الرؤية الإسلامية للعالم الشرط الأول للتسابق والتدافع على طريق التقدم والارتقاء والخيرات ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم

ة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ [المائدة ٤٨] ﴿ولكن وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات﴾ [البقرة ١٤٨]

■ وهذا التنوع والتسابق على طريق التقدم والخيرات هو الملخص الصراع الذي يقضي إلى أن يصرع صرف الصرف الآخر فينتهي التنوع والتعدد والتنافس والاختلاف ﴿فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ۞ فهل ترى لهم من باقية﴾ [الحاقة ٧، ٨]

■ وفي هذا المعنى الأساسي للخصائص العظيمة التي ميز بها الله الإنسان عن سائر مخلوقاته في القرآن الكريم الإلهي نجد هو المسئولية الأساسية التي يكرم بها الإنسان وهي مسئولية الاختيار والوقف على الخير والشر والحسنة والسيئة من الأقوال والأفعال ﴿وهديناه النجدين﴾ [البلد ١٠] وفي التسابق والتدافع على صورة التقدم والارتقاء يكون التنوع والتعدد والصفة الخصائص التي تميز الأفراد والجماعات والأمم والشعوب والقبائل والحضارات والثقافات ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات ١٣]

تلك هي الفلسفة القرآنية لحكومة العالم والعالم والإنسانية والوجود كلهم يؤمن العالم ويرتقون بمعنى العلم والشعوب والثقافات والحضارات والديانات تتوازن بسبب «المصالح لا القوى» وتتعارف وتتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان»

■ ويستمد من هذه الفلسفة وثمرة من ثمراتها لا يتعارض الاقتصاد الإسلامي لأنه ليس اقتصادية بحتة، ولكن تعبد الله ورسالات والشرائع التي تتنافس وتوالت على مدى تاريخ الإنسان ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ۞ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ۞ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ۞ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ [البقرة ١ – ٥]

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ [البقرة ٢٨٥]

ولهذه الحقيقة الأساسية تتميز الرؤية الإسلامية بالاعتراف بكل الآخرين كجزء من ذات الحق الإلهي الواحد والأحد الإلهي الواحد وتتكرم الإلهي الشامل بكل شيء كما تتميز هذه الأديان الإسلامي بالمحافظة على المقاصد

يمكنوا كل الآخرين من حرية إقامة مقومات تميزهم الديني والثقافي والحضاري حتى ولو كان هذا الذي يتميز به الآخرون مخالفاً لمقومات الاعتقاد الإسلامي بل ومنكراً للاعتراف بالمقومات الإسلامية وحتى لو كان هذا الإنكار في دار الإسلام!

■ ولم تقف هذه الرؤية الإسلامية عند حدود البلاغ القرآني والنبوي لهذا البلاغ القرآني، وإنما بسبب من أن الإسلام قد أقام دولة، وأبدع ثقافة ومدنية وبنى حضارة وكون أمة وطناً وصنع تاريخاً [illegible] وضعت هذه الرؤية القرآنية في الممارسة والتطبيق فتعايشت وتعاقدت وتفرعت في دار الإسلام كل الوان الشرائع [illegible] والوضعية [illegible] والشعوب والقبائل والأمم فقامت الأمة والدولة منذ فجر الإسلام وحتى الآن على النموذج في دار الوحدة، كما قامت النظرة الإسلامية للعالم على هذا الأساس

٨٤ صراع له تاريخ! (٢)

ولان الاسلام وهو يضع في اعتباره الواقع، لا يغفل «الواقع» فقد علم منه كيف تتعامل مع «الواقع» الذي يفرض عليها خلاف هذا «الواقع»

فالاسلام يرفض الصراع، ويحافظ على السلوم والتعايش والاختلاف وهو يقرر ذلك دون كل التباسات او تفسير مغرض لقاعدة واحدة هو الصورة المفروضة والاستثناء المكروه ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ [البقرة ٢١٦]

ومع ذلك فهو يوجب على المسلمين النهوض والجهاد لصد المعتدين على مقومات تصورهم لدينهم وعلى وجودهم وثقافتهم وحضارتهم هذا الدين الذي يعيشون فيه – فاذا فرض الاخرون الموجهة على المسلمين واذا قاتلوهم في دينهم او اخرجوهم من ديارهم او ظاهروا على اخراجهم من الدين فهنا يتعامل المسلمون مع واقع المجابهة والموجهة والصراع والعدوان والقتال الذي تفرضه عليهم الاخرون وفق الموجهة القرآنية ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ٣٩ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ [الحج ٣٩ - ٤٠] ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ [البقرة ١٩٠]

﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ [البقرة ١٩٤]

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ٨ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة ٨، ٩]

★ ★ ★

بهذه الرؤية القرآنية وهذه الفلسفة الإسلامية في رؤية العالم وفي التعامل مع ما يفرض على المسلمين من مواجهات وتحديات يجب أن يتعامل المسلمون اليوم مع التحديات التي يفرضها الغرب على الإسلام وأمته وثقافته وحضارته وعالمه كما تعامل أسلافهم تاريخيًا مع نظائر وأشباه هذه المواجهات والتحديات لا طمعًا في إزالة هذا الغرب المعتدي من الوجود أو طموحًا إلى الحلول محل حضارته وثقافته ومقومات نموذجه فهذا علاوة على عدم إمكانه هو مما يرفضه منطق الإسلام وفلسفته في التنوع والتعدد والتمايز والاختلاف كسنة إلهية كونية دائمة ومطردة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وإنما الهدف هو رد العدوان عن مقومات الإسلام وعن ديار الإسلام وصولًا إلى تمكين الإسلام والمسلمين من العيش والتعايش الحر مع الآخرين كل الآخرين ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ [فصلت ٣٤]

بهذا الموقف المنطلق من هذه الفلسفة تعامل المسلمون تاريخيًا مع التحديات التي فرضها الغرب على الشرق فكسروا شوكة موجات العدوان التي قام بها الغزاة الغربيون على ديار الإسلام

■ فالغرب الإغريقي والروماني قد فرض على الشرق احتلال الأرض ونهب الثروات وقهر الديانات والثقافات عشرة قرون من الإسكندر الأكبر [٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م] في القرن الرابع قبل الميلاد إلى هرقل [٦١٠ - ٦٤١م] في القرن السابع للميلاد فكانت الفتوحات الإسلامية تحرير الضمائر الشرقيين من هذه الفتنة في الدين ومن القهر الثقافي والحضاري وتحريرًا للأوطان والثروات من هذا العدوان والاحتلال والنهب والاستغلال.

■ ولأن هذا الغرب كمشروع استعماري طامع في الشرق وثرواته وفي احتواء ثقافات شعوبه وحضاراتها لتأييد الاحتلال والاستغلال فقد اعتبر تحرير الإسلام للشرق من القهر الروماني البيزنطي بداية المشكلة هذا الغرب المزمنة مع الشرق الإسلامي - كما قال القائد والكاتب الإنجليزي الجنرال «جلوب باشا» [١٨٩٧ - ١٩٨٦م]

«إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن الرابع الميلادي» فقد كانت عيون المطامع الاستعمارية الغربية موجهة دائمًا وأبدًا إلى محاولات

استعادة الهيمنة الغربية على دار الإسلام وإلى كسر شوكة المقاومة عند المسلمين المتمثلة في الإسلام

وعبر هذا التاريخ من الحدث تكسرت على أرض الشرق الإسلامي موجات وموجات من العدوان الغربي حتى لقد تحول الشرق الإسلامي إلى مقبرة للموجات وإمبراطوريات الغزاة الغربيين

■ فالموجة الاستعمارية الصليبية التي شاركت فيها كل أوربا بقيادة الكنيسة الكاثوليكية وتمويل المدن التجارية الأوربية وسيوف فرسان الأقطاع الأوربيين والتي دامت قرنين من الزمان [٤٨٩ - ٦٩٠هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م] قد انتهت بالهزيمة المنكرة، عندما اقتلعت الفروسية الشرقية الأيوبية المملوكية قلاعها وهدمت حصونها وأزالت كل آثارها

■ والموجة التترية التي جاءت إلى الشرق الإسلامي بدعوة من الصليبيين الذين تحالفوا مع الوثنية التترية ضد الإسلام والتي عاثت فساداً ودماراً ضرب بهم التتر في التاريخ وإلى عندما دمرت الثقافة وأسالت الدماء أنهاراً هذه الموجة التترية قد ذاقت الهزيمة في عين جالوت (٦٥٨هـ - ١٢٦٠م) ثم انتهت بدخول التتر في الإسلام وتحولهم إلى سيوف للإسلام

صراع له تاريخ! (٣)

■ ومنذ سقوط غرناطة، ونجاح الصليبية الأوربية في اقتلاع الإسلام وحضارته المشرقة من الأندلس [٨٩٧هـ - ١٤٩٢م] بدأت مرحلة جديدة في هذا الصراع الاستعمارية - الصليبية ضد الشرق والإسلام.

بدأت بالانقضاض حول العالم الإسلامي وخلال مرحلته الأسيوية بدأت بغزو قلب العالم الإسلامي أرض العرب ضد الحملة الفرنسية التي قادها «بونابرت» [١٧٦٩ - ١٨٢١م] على مصر [١٢١٣ - ١٧٩٨م].

وفي هذه المرحلة لمس الحدي العربي الحديث عن الحقب الصليبية الأولى ذلك الفكري بمصادر الاحتلال الأرض وبهب ثرواته وهو تحديد تكرر موجودا في الحقب الصليبية الأولى التي قادتها كنيسة جهلة وعسكر اقطاع فرنجي فرنسي وصف الأمير الفارس مكرم أسامة بن منقذ [٤٨٨ - ٥٨٤هـ = ١٠٩٥ - ١١٨٨م] عندما قال عنهم: "لهم بهائم ليس لأمم سوى فرنسة تقدم".

ذلك أن الغزوة الغربية الحديثة قد جاءت مسلحة بأدوات النهضة الأوربية الحديثة وأخذ إليها بعكوبة بالمواجهة الأمريكية الأمريكية وبالتفوق العسكري وبالفلسفة الوضعية وبعدة الإدارة الحديثة فمنذ مع احتلال الأرض ونهب الثروة عولمة الغرب تعقد وتشعبت في أعقاب الحرب التي انتصر فيها الحلف الغربي الحديث على دولة الغزوة الغربية الحديثة كل ما في عصر الإسلام

وفي هذه الموجة المعاصرة التي صورتها المعاصرة عولمة الأمريكية الأمريكية المتحالفة مع العنصرية الصهيونية ضد الشرق الإسلامي مقبرة الإمبراطوريات الاستعمارية الغربية العنصرية والفرنسية والبريطانية الأمريكية التي لم تستطع ولن تستطيع وليست قادرة على مقاومة وحركات التحرر في الإسلامية صغيرة هذا الاستعمار الذي يقوم

الحد الشعوبي يقاوم النقمة الإسلامية ومشروع تحضيري الإسلامي حتى هذه اللحظات

■ وعند نهاية الحرب الاستعمارية العالمية الثانية ١٣٦٤هـ ١٩٤٥م برزت حقيقة كبيرة لأمريكة، المتحدة مع الصهيونية لمحاولات الغرب التنصيرية حيال الشرق الإسلامي ومعالجة المقاومة الإسلامية للاستعمار وهذا الاحتواء

ولأن أمريكا هم رعاة الغرب على مر التاريخ فقد كرروا ويكررون المحاولات الفاشلة التي مرت بها الإمبراطوريات الاستعمارية الأوربية في التعامل مع الإسلام والحضارة الإسلامية عبر ذلك التاريخ

وإذا كانت القوة الأمريكية قد مرت وتصاعدت في التعامل مع الشرق الإسلامي من «سياسة القوة» إلى «عسكرة القوة» حتى وصلت بعد سقوط الشيوعية، والانفراد بقيادة النظام العالمي إلى مرحلة جديدة «من القوة» في تعاملها مع الإسلام قد تدرج هو الآخر من محاولة استعلاء الإسلام إلى أن وصلت الآن إلى «إعلان الحرب داخل الإسلام»

وعن المرحلة الأولى مرحلة الاستعلاء الأمريكي للإسلام كتب المرحوم الشهيد سيد قطب [١٣٢٤ ١٣٨٦هـ ١٩٠٦ ١٩٦٦م] في كتابه [أمريكا من الداخل] سنة ١٩٥١م «إن الإسلام الذي يريده الأمريكان وحلفاؤهم في الشرق ليس هو الإسلام الذي يقاوم الاستعمار وليس هو الإسلام الذي يقاوم الصهيونية ولكنه فقط الإسلام الذي يقاوم الشيوعية، إنهم لا يريدون بالإسلام أن يحكم، ولا يطيقون من الإسلام أن يحكم لأن الإسلام حين يحكم سيبني الشعوب بناء آخر وسيعلم الشعوب أعداء القوة فرصة، وأن طرد المستعمر فريضة، وأن السيوعية كالاستعمار وباء فكلاهما عدو لأمريكا وحلفاؤهم الذين يريدون للشرق إسلاما أمريكانيا يحرم أن يستغني عن منع الحمل، ويحرم أن يستغني عن دخول المرأة البرلمان، ويجوز أن يستغني عن رقص الوصيف» ولكنه لا يستغني بد عن وضعها الاجتماعية أو الاقتصادية أو نصائب الدين ولا يستغني بد عن أوضاعه السياسية والقومية، وفيما يرتبط بالاستعمار من صلات، فالحكم بالإسلام والتشريع بالإسلام والانتصار للإسلام لا يحرم منها قلم، ولا حديث ولا استفتاء في مذهب الأمريكان»[١]

١ راجع بالتفصيل «سيد قطب والإسلام في أمريكا» في صحيفة الدعوة عدد ٢٢ ٢٨ ربيع الثاني ١٤٠٢هـ وعدد ٢٩ ربيع الثاني ١٤٠٢هـ عن مجلة (الرسالة) ١٩٥١، ١٩٥٢م – التي نشر بها سيد قطب أجزاء من مخطوطة كتابه

صراع له تاريخ! (٤)

■ لقد سقطت الشيوعية وانهار المعسكر الشرقي في المرحلة التي حاولت فيها أمريكا استغلال الإسلام في حربها ضد الشيوعية كما استغلت المسيحية وكذلك في بداية الحرب الباردة. لقد بدأت المرحلة الثالثة من الإسلام بحث الجميع في إيقاظ أمته لا لتحرير الأرض والثروة فقط، كما هي حدود «الوطنية العلمانية» في بلادنا وإنما لتوحيد النهضة الإسلامية وتحرير العقل المسلم من التغريب وبعث الحضارة الإسلامية، وتطبيق الشريعة الإسلامية. بدأت أمريكا المرحلة الجديدة لاحتواء الإسلام» كي يصل كما أرادته في المرحلة «استغلاله» محررا شعائره وعباداته ورسومه وطقوسه وموروثاته وشعوبيته وذلك حتى يقف أثره من النهضة في ظل العلمانية عند مملكة السماء والخلاص الروحي وعالم الغيب والدار الآخرة تاركا عالم الشهادة ودنيا المسلمين وأوطانهم وثرواتهم لهيمنة أمريكا والعولمة الصهيونية وعولمة الشركات متعددة الجنسيات وعابرة القارات.

ولقد تحدث الرئيس الأمريكي الأسبق «رتشارد نيكسون» وهو مفكر استراتيجي عن هذه اليقظة الإسلامية التي يقودها في العالم الإسلامي من أسماهم «الأصوليون الإسلاميون» الذين كما يقول «هم مصممون على استرجاع الحضارة الإسلامية السابقة عن طريق بعث الماضي ويهدفون إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، ويؤمنون بأن الإسلام دين ودولة وعلى الرغم من أنهم ينظرون إلى الماضي فإنهم يتحدون منه هدايه للمستقبل فهم ليسوا محافظين ولكنهم ثوار»!

ودعا «نيكسون» إلى اتحاد الغرب «الأمريكي» و«الأوربي» والروسي لمواجهة هذا البعث الإسلامي، وإلى «تحديد الخطر الذي يحذره الشعوب المسلمة» ليكون «نموذج تركيا العلمانية الصحارة نحو الغرب واستعداده لربط

[illegible] على [illegible]
[illegible] الأوسط [illegible] في [illegible] الأوسط هو [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

وقد أفصح «نيكسون» عن الموقف الأمريكي الذي اتخذ الإسلام والمسلمين عدواً [illegible] أن الكثيرين من الأمريكيين [illegible]
[illegible] كأعداء ويتصور كثير من الأمريكيين [illegible] غير
منحصرة، ودمويون، وغير منطقيين. وليس هناك صورة [illegible]
[illegible] بالنسبة للصين الشيوعية [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
موسكو لمواجهة الخطر العدواني للعالم الإسلامي»[1].

كل هذا الذي كتبه «نيكسون» [illegible] ١١ [illegible] سنة ٢٠٠١م [illegible] خمسة عشر [illegible]
الحرب العربية [illegible] على الإسلام [illegible]
[illegible] ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م واجتمعت [illegible] على الإسلام [illegible]
العربية التي تحدث عنها «نيكسون» منذ ذلك التاريخ.

(١) نيكسون (الفرصة السانحة) ص ٢٨، ١٤٠، ١٤١، ١٥٢، ١٥٣، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ترجمة أحمد صدقي جواد - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م

٨٧ صراع له تاريخ! (٥)

■ وهذا الذي خصه له بيكسون قبل سقوط الشيوعية بطرفة وعلت لاستاذه مجلة شيوون دولفه التي تصدر في كمبردج» بانجلترا في نهاية سنة ١٩٩١م عقب سقوط الاتحاد السوفيتي مباشرة عدد خاص عن الافكار الرائجة في الغرب حول الإسلام والعالم الاسلامي وعنوان غلاف العدد الاسلام هو العدو الذي حل محل إمبراطورية الشر الشيوعية وتحدث عن الاستراتيجية البديلة بعد العداء وهذا الاعلان سحرر على الإسلام فقط المنهج الذي نشرته مجلته ومن خلال ترجمتين علميتين رصينتين خاصتين عن «الاسلام والمسيحية» كتبهما الاب جان البير رواز فورستر وتحت عنوان «الاسلام والمركسية» كتبهما عالم الانثروبولوجيا «إرنست جيلنر» قدم المجلة لقراءة الكبرى في الغرب وتحدثه عن كشف تهافت فكر المفكر السوفيتي وتعرضه في هذا العرض ف «الاسلام ظاهرة في حد ذاته» فالاسلام من بين الثقافات الموجودة في العالم هو الهدف بتصدير منظومة الغربية الحديثة ليس بسبب ما في الثقافة الإسلامية بصفة عامة في بنيتها الفكرية وحقيقتها الدينية الغربية بل بسبب التي تعيشها الغرب في مجتمع الاحتماع والتي تقول ان المجتمع الصناعي الحديث يتوصل لانه يتبنى مقولة العلمنة صالحة على العموم فالتدهور السكولوجي يدفع في تناقض عجيب في فكر المجتمعات وتردد في صلاته وشكوكه مختلفة تكون عدم الاسلام قد مضى اسدى ضربة وتدمير من هذا، فلم تتم اي علمنة في عالم الإسلام

ا سيطرة الاسلام على المواطن به هي سيطرة قوية وهي بصرفة ما تكون لان عمرها من ١٠٠ سنة مضت ان الاسلام مفهوم لعلمنة نوعا ما ولا مر المدهش هو ان هذا يعني صحيح في كل مختلف النظم سياسية و وجود تقليد محمد للإسلام قد مكن العالم الإسلامي من ان يقدم مقاومة تقل.

لعلمانية الغربية وأي عملية لإصلاح دائي استجابة دعوى الحداثة يمكن أن تتم داخل الإطار المحلي، وذلك هو التفسير الأساسي لمقولة الإسلام المرعوبة لعلمانية وإن ورثيس كلينتون يتساءلون عما إذا كان يمكن حكم الإسلام بقدر يقوم المجتمع العلماني مثلما فعلت المسيحية بعد صراعات كثيرة وصولة ومؤلمة، أم أن رسوخ الإسلام في المدن يتساسي والاحتكام إلى يحتمه يرفض الدور المسيحي الغربي الذي تصر بتبريره ما يفعله وما لتصر، ويحث لا يسمح لمعتنقيه أن يصبحوا مواطنين خاضعين لتقنين تصوغه بعض نخب في ديمقراطية علمانية

هكذا حاولت هذه الدراسة العلمية تحليل جذور الدوافع أن استعصاء الإسلام على العلمنة وعلى التحول إلى صورة من التصرنة الغربية، التي اكتفت بعلمانية وتركت ما لقيصر للقيصر بعد سنوات من الصراعات الكثيرة والطويلة والمؤلمة، حيث أن هذا الاستعصاء الإسلامي على العلمنة الفكرية والثقافية يعرب هو السبب في اتجاه الغرب من الإسلام عدواً بعد سقوط السوفيت وهدف مباشر للحملة الغربية الجديدة على الإسلام

كل ذلك كان واضحاً في التطبيق على أرض البوسنة والهرسك منذ سنة ١٩٩٢م في الذكرى ٥٠٠ عام على سقوط غرناطة وانقلاع الإسلام من أوربا سنة ١٤٩٢م أي قبل قرابة ١١ سبتمبر سنة ٢٠٠١م بأكثر من عشر سنوات وقبل ظهور الحركات التي يزعم البعض أنها المسئولة عن عداء الغرب للإسلام

وإذا كان المفكر الأمريكي «فرانسوا فوكوياما» قد كتب قبل سنوات عديدة من قرابة سبتمبر عن «النهاية الرأسمالية لأمريكا» [المتوحشة] ما عرف «بنهاية التاريخ الإنساني» والنصر الذي يجب تعميمه في كل أرجاء العالم بعد فشل العالم الإسلامي فقد كتب بعد قرابة سبتمبر عن «صدام الحضارات» التي تمثلها أمريكا والغرب والتي ستبقى القوة المسيطرة في السياسة الدولية وعلى صدى الغرب التي ستستمر في الانتشار عبر العالم

وكتب عن استعصاء الإسلام وحده على الخضوع لهذه الحداثة الأمريكية، ولقيمها لعلمانية الغربية التي تلقى قبولاً كبيراً لدى الكثيرين من شعوب العالم غير الغربية إن لم نقل جميعها بعد «الإسلام هو الحضارة الوحيدة في العالم التي يمكن أن تشكل بعض المشاكل لأساسه مع الحداثة الغربية

والعالم الإسلامي لا يرفض فقط السياسات الغربية وإنما يرفض المبدأ الأكثر أساسية للحداثة الغربية وهو العلمانية نفسها. وإن الصراع الحالي ليس معركة ضد الإرهاب ولكنه ضد الأصولية الإسلامية التي تقف ضد الحداثة الغربية. وهذا التحدي بالنسبة لأمريكا وهو أكثر أساسية من الخطر الذي شكلته الشيوعية. وإن التطور الأهم يجب أن يأتي من داخل الإسلام نفسه. وعلى المجتمع الإسلامي أن يصل إلى وضع سلمي مع الحداثة وخاصة فيما يتعلق بالمبدأ الأساسي حول الدولة العلمانية.

فعلمنة الإسلام ومن ثم إلحاق الإسلام بالنصرانية الغربية لإلحاق العالم الإسلامي بالغرب هو الهدف الأول المعلن في كتاب «نيكسون» عبر سقوط الشيوعية وفي دراسة محبة شئون دولية. فور سقوط الشيوعية. وفي كتابات «فوكوياما» قبل قارعة سبتمبر وبعدها

٨٨ صراع له تاريخ!(٦)

■ وإذا كان الكاتب الاستراتيجي الأمريكي – اليهودي – «صموئيل هنتنجتون» قد كتب عقب سقوط الشيوعية فكشف عن واقع ممارسة الغرب لتقدم الحضارات وصراع الثقافات وأشار على صانع القرار الأمريكي أن يبدأ مسلسل صدام الحضارات بالحرب على الإسلام لتمييز ثقافة الإسلام عن الثقافة الغربية ودعا إلى ما دعا إليه «بيكنيون» من تحالف كل مراكز الغرب في هذه الحرب الحضارية للتكريس الهيمنة السياسية والعسكرية والاقتصادية الغربية على العالم فقد عاد وكتب «هنتنجتون» بعد فاجعة سبتمبر سنة ٢٠٠١م داعيا إلى حرب داخل الإسلام حتى يقبل الإسلام الحداثة الغربية والعلمانية الغربية والمبدأ المسيحي فصل الدين عن الدولة»[1].

هذا هي حقيقة القضية وهذا هو سبب التحدي وجوهر المواجهة التي فرضها الغرب وبفرضها على الإسلام وأمته وعالمه وثقافته وحضارته ومنظومة قيمه عبر هذا التاريخ الطويل من الصراع الذي كتبه الغرب على الإسلام وأمته وفرضه علينا ونحن كارهون

وكما قال المسلمون امتثالا لأمر ربهم عندما كتب عليهم القتال الذي يكرهون فقد وجد الدفاع عن الإسلام الذي يجده الغرب عدوا لا لشيء إلا لاستعصائه على العلمنة التي يريدون فرضها على المسلمين بكرامة تبعيتنا للحضارة الغربية

لقد علمنا رسولنا ﷺ فلسفة الموقف إزاء مثل هذه التحديات التي يفرضها علينا الأعداء الذين يرون في «الصراع» سر البقاء بل ويرون أن الأقوى هو الأصح الذي يستحق وحده البقاء علمنا رسولنا ﷺ فلسفة الموقف إزاء هذه

(١) انظر دراسات فوكوياما و هنتنجتون [illegible] (٢) فبراير سنة ٢٠٠٢م

المواجهات [illegible] لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموهم فاثبتوا واكثروا ذكر الله» رواه الدارمي.

[illegible] المواجهة [illegible] على ثغور الإسلام من الاكثار من ذكر الله [illegible] الإخلاص [illegible] التي تخوض [illegible] وتعمل [illegible] على الإسلام [illegible] في تغيير صفحة الإسلام.

★ ★ ★

[illegible] في هذه المواجهة [illegible] هذه [illegible] الأمة [illegible] هذه المواجهة [illegible] الإسلام.

[illegible] هذه المواجهة هو الوعي [illegible] الأمة [illegible] تخوض هذه المواجهات التي فرضها عليها الأعداء.

[illegible] الإسلام [illegible] على ثغور الإسلام [illegible] الأولى [illegible] وتعصم [illegible]

[illegible] إلى الموقف [illegible] الإسلام فيستجيبون إلى الكلمة السواء أن يكون عالمنا «منتدى» حضارات تتعدد [illegible] أمم وشعوب ونحلات وقوميات وأجناس وألوان، تتعايش وتتعارف [illegible] وتتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان.

★ ★ ★

٨٩ جوهر الصراع العربى - الصهيونى

[illegible] الصراع [illegible] مشكلة [illegible] هناك أهمية كبرى لا تظل ذاكرة الأمة واعية بخطورة وطبيعة المشكلة والصراع وذلك حتى لا تنجح محاصرة كما هو جارٍ الآن فى القضية الفلسطينية والصراع مع المشروع الصهيونى حيث سحب اليهود أطرافا عربية كثيرة فى تفاصيل وفروع وخرجت من دائرة الاهتمام الأساسى بالمشكلة وطبيعة الصراع حتى كاد هذا المنهج اليهودى أن ينسى هذه القضية الخطيرة وجوهر هذا الصراع.

إن مشكلتنا فى هذا الصراع معقدة ومتحركة وتاريخية ثم هى كذلك مع «اليهودية» التى جاء بها موسى عليه السلام فنحن نؤمن باليهودية السماوية التى رسالات السماء جميعا لا تكفر أتباعها المسلم لأن نبيهم كنبينا على معالم طريق الدين الإلهى الواحد، وشريعة متميزة لبنى إسرائيل.

ومشكلتنا كذلك تتمثل فى التوراة موسى، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ [المائدة ٤٤]

ومشكلتنا أيضا تتمثل مع «الإنسان اليهودى» فخصائص الإسلامية هى التى جعلت من تعاليم التوراة والتلمود والقبالة والحاخام والأحبار والأنبياء والأساطير والخرافات والتقوقع والتعصب والانغلاق والانحصار الذى هو سمة أساسية لليهود لا تتبدل ولا تتحول، ووضعت هذه السمة الأساسية فى سداسية ولتصبح قرونا عديدة الطابع الذى يميز اليهود بكافة انحرافاتهم الإسلامية وخصائصهم كما تحدد سلوكهم فى كل وقت ومن الأوقات هو انحصارهم من انحصار إلى انحصار وتقوقع وانغلاق، وفتحت أمامهم كل منافذ الخروج من هذا الانحصار حتى عندما فسحت لهم فرصة

من الفلسفة الإسلامية والأهوتهم متأثر بعلم الكلام الإسلامي وعروض شعرهم متأثر بعروض الشعر العربي وأخرويته عبريتهم متأثرة بحروف العربية فاستطرا لأكثر من عشرة قرون بحظائر العربية في صدر الأمة وبعد وحرسة بعد الإسلامي ثم هم وعليهم ما عليهم من نصيبهم في مشترى سموه حضاره من الحضارات الأخرى حتى الآن!

فمشكلتنا ليست مع يهودية الدين ولا مع اليهود وشعبهم ولا مع اليهود وإنما مشكلتنا هي مع «الصورة النمطية لليهودية» تلك التي تسحر وتسحر بوحي اليهودية، فحولته إلى وثنية أحلت «يهوه» محل الله ثم جعلته له بني إسرائيل وحدهم من دون الشعوب الأخرى التي خلقها الله لتعمير الأرض والمتعبده

ومشكلتنا – هي مع «اليهودية الصهيونية» التي حرفت اليهودية من «شعوب الدين» وجعلته يرى العنصرية عند غير اليهود هي الأصل في الدين اليهودية وجعلته يرى حكم العالم لولاية اليهود هو سعي الدين لاستعمار حتى ولو كان ملحداً أو ابن زنا

ومشكلتنا كذلك هي مع مشروع صهيوني عالمي أو شبكة عنصرية صهيونية لليهود وجدت لكي تدير الصراع ضد الإنسانية في بعديه الأساسيين العولمة في مرحلة رحيق الإمبريالية الحديثة وهي الصهيونية وعلم الاستلام لهذا المشروع الصهيوني وصنعه سياسياً بالقرض وبقي يهود عالمي والعربي والإسلامي في فلسطين وخارجها وبقية أموره عن طريق من يسمى صهيوني حتى عند وعند من يرفض بالقلب في قلب وصراعه واحد وصفه بالجهاد بحق اليهود وبالعداء لصنعة بقضها فوميه كتب تلك الصيغة أو إسلامية

فنحن في هذا الصراع بإزاء «مشروع استيطاني» عنصري عربي بغيض والخلاصة وخلاصة ذلك ما نسميه في بلاغة الحرب بالعربي الصهيوني الذي يعني اصطلاح سوف نفك لأسطورتي حرب يوحد وعود حسم عند سلام يحكم الأرض في سنة سعيد عند معركة هرمجدون وبدء حشر من جميع بقاع اليهود وحشرهم في فلسطين ويهود غرس وعد الله على أنقاض مسجد الأقصى إن حقق من تحقيق العود والبقعة الصهيونية من

البعد الدينى فى الصراع العربى - الصهيونى

الصراع العربي - الصهيوني بعد ديني، يمس ثابتاً من ثوابت اللاهوت العربي ويكسب كل يوم مزيداً من المؤمنين والعديد من الكنائس ومحور هذا البعد الديني قائم على فطرة «رؤيا يوحنا» التي حولتها البروتستانتية من «رؤيا» و«مجاز» إلى حقيقة فزعمت أن عودة المسيح - عليه السلام - ليحكم العالم ألف سنة سعيدة - قبل يوم القيامة - مرهونة بجمع اليهود وحشرهم في فلسطين ويهود القدس وبناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى وإبادة العرب والمسلمين في معركة «هرمجدون».

وإذا كان هذا البعد الديني للمشروع الصهيوني في اللاهوت العربي قد بدا بروتستانتياً فإنه قد مارس الابتزاز للكنيسة الكاثوليكية العربية حتى جعلتها تشرع في اليهود نصراً بينها بدلاً من تحقيق الاعتراف اليهودي بالمسيحية، فهي - الآن - تسعى لتجعل «يهوه» إلهها، وتتحدث عن «دمه المسيح» في سرائر ... وبعد ليس فقط الفكر المسيحي، وإنما في ... والصلوات ... من اليهود بعد أن صب قروناً طويلة ... لاتباعها «صكوك الغفران» بل إن هذا البعد الديني في الفكر العربي للصراع حول فلسطين والقدس لم يكن وقفاً على لاهوت الكنائس العربية وإنما تعداه إلى الأيديولوجيات التي حركت جيوش الحكومات العربية ... السياسي الإنجليزي «سيكس» الذي عقد مع نظيره الفرنسي «بيكو» المعاهدة السرية الشهيرة التي مزقت أوصال المشرق العربي سنة ١٩١٦م - معاهدة «سيكس بيكو» - ... هذا السياسي في قريته «سلدمين» بمقاطعة «يوركشاير» مكتوب عليه «ابتهجي يا قدس»!

فتمزيق وصال الوطن العربي - من قبل الاستعمار العثماني - هدفه القدس

والجنرال الانجليزي «اللنبي» عندما يدخل القدس سنة ١٩١٧م على رأس جيشه الاستعماري - ينقمص صورة «بابوات» الحروب الصليبية ويعبر عن أحلام الملك الصليبي «ريتشارد قلب الأسد» فيقول «اللنبي» «اليوم انتهت الحروب الصليبية»!

ويؤيد الشرب مجلة «بنش Punch» الإنجليزية رسما «كاريكاتوريا» لريتشارد قلب الأسد وهو يقول «حين تحقق حلمي» وذلك تحت عنوان «آخر حملة صليبية» فالاستعمار «العثماني» سنة ١٩١٧م يحقق أحلام الملوك الصليبيين في العصور الوسطى!

أما الجنرال الفرنسي «جورو» الذي يرفع راية العثمانية الفرنسية المتطرفة فهو الذي يذهب عند دخوله دمشق سنة ١٩٢٠م إلى قبر صلاح الدين الأيوبي ليركله بحذائه، ويقول «ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين»

فالبعد الديني لهذا الصراع - حول القدس وفلسطين - قائم وحي ومتأجج في الفكر العربي اللاهوتي منه والعثماني، التاريخي منه والحديث والمعاصر لنا حتى هذه الأيام

ومع هذا البعد الديني - الذي يغذي العدوان على القدس وفلسطين - ويجعل هذا العدوان شرطا لتحقيق مقاصد لاهوتية - عودة المسيح - هناك البعد الامبريالي العربي - بعد المقاصد الاستعمارية العربية في نهب الشرق والسيطرة عليه وإذلال العرب والمسلمين، وإخضاع حضارتنا العربية الإسلامية للنموذج الحضاري العربي - وهو البعد الذي يوظف «البعد اللاهوتي» في خدمة الاستعمار العثماني!

ثم يأتي بعد «الشريك الأصغر» في هذا التحالف الشيطاني البعد العنصري اليهودي ذلك الذي يغذيه القومية الصهيونية التي استثمرت وتستثمر كل ألوان التعصب والأحقاد التي صفحت بها أسفار «التلمود» ضد «الأغيار» من غير اليهود

هكذا وعلى هذا النحو يجب أن تطرأ ذاكرة الأمة وعيه بالأبعاد الحقيقية والجوهرية لهذا الصراع فحتى الذين يرفعون شعار أنه صراع وجود لا صراع حدود - هم عقلوا - في الحديث عن وجود العدو - عقلوا عما وراء وفوق

وجود الصهيوني، فإنهم لن يروا سوى «الفرع» الصهيوني دون الأصل العربي الإمبريالي في هذا الصراع

فالمشكلة التي نواجهها في هذا الصراع ذات طابع ديني وبعد لاهوتي بدأ في البروتستانتية العربية وها هو يزحف لتضم بها الكاثوليكية العربية، لتتفقه الحركة الصهيونية التي دعمته بالتهويدية التلمودية، لتوظف الجماعات اليهودية بالتمويل في خدمة هذه الشراكة في المشروع الإمبريالي العربي ضد وطن العروبة وعالم الإسلام

فعلى العقل العربي والمسلم وعلى الأمة العربية والإسلامية أن تدرك أبعاد الصراع الذي تخوض حتى لا تنسى الجذور والثوابت وتغرق في الفروع والهوامش وحتى تصطفي من مكاناتها ما يوازي أبعاد الخطر المحدق والمحيط

٩١ من الملاحدة.. الى المؤمنين بالأساطير!

بسبب من الطبيعة المركبة للصراع العربي - الصهيوني، فقد عمل ويعمل في خدمة هذا المشروع - على الجبهة المعادية - لاهوتيون وملاحدة ومدنيون وعلمانيون ووضعيون ودهريون مع من ينتظرون عودة المسيح. وأيضًا، أعداء لليهود ولما يسمى بالسامية، أرادوا تهجير اليهود من المجتمعات العربية إلى أرض فلسطين لتوظيفهم في خدمة المشروع العربي الاستعماري كراهة في اليهود، وتخلصًا من مكرهم وسيطرتهم الاقتصادية على المجتمعات العربية واستخدامهم في الهيمنة على أمة الإسلام وحضارته. وهذه الطبيعة المركبة لهذا المشروع - الذي نواجهه في فلسطين - هي التي جمعت بين «بونابرت» [١٧٦٩ - ١٨٢١م] وهو وضعي دهري لا يؤمن بأي دين - عندما أرسل مندوب الدعوة إلى هذه الشركة الامبريالية - اليهودية فاعتبر براءة إلى يهود العالم كي يساعدوه على بناء امبراطوريته الاستعمارية في الشرق لقاء إعادتهم إلى أرض فلسطين، فكتب وهو محاصر المدينة «عكا» سنة ١٧٩٩م: «أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد، إن فرنسا تقدم لكم يدها الآن لحماية إرث إسرائيل، يا ورثة فلسطين الشرعيين، إن الأمة الفرنسية تدعوكم إلى إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء».

جمعت هذه الطبيعة المركبة لهذا المشروع بين «بونابرت» الدهري المتحد وبين الكنائس البروتستانتية العربية التي رأت في تحقيق رغبة الدهري «بونابرت» الشرط لعودة المسيح - عليه السلام - كي يحكم العالم ألف سنة سعيدة.

ومع الدهريين والعلمانيين والبروتستانت اجتمع في خدمة هذا المشروع الصهيوني - الامبريالي - الكاثوليك العربيون أيضًا، وذلك عندما عقدت الكنيسة الكاثوليكية معاهدة الاعتراف بالأمر الواقع - أي اغتصاب القدس وفلسطين

في ٣١ ١٢ ١٩٩٣م وتحدث في مقدمة هذه المعاهدة عن علاقة الفاتيكان بالكنيسة الكاثوليكية في العالم حتى بعد تحدث لأول مرة عن العلاقات الدبلوماسية بين الفاتيكان وإسرائيل في ٢٠ ٤ ١٩٨٤م فقرر أن هذه العلاقات جاءت بعد أن أنهى الفاتيكان مقاطعته لإسرائيل ورفض الوصاية التي أرادها الإسلام على القدس وأكد على حرية الأديان وحق كل منها في ممارسة شعائره الدينية

ومنذ ذلك الحين والعلاقات بين الفاتيكان وإسرائيل في تطور مستمر وقد عبر البابا يوحنا بولس الثاني عن هذه العلاقات في كلمته أمام الكنيست الإسرائيلي في ٢٣ ٦ ١٩٩٥م عن أمله في الوصول بهذه العلاقات إلى «القدس» حيث تبنى على أرض الواقع الإسلامية المغتصبة مطلب هذا الكونجرس في مقدمة قراره هذا «إن القدس هي الوطن الروحي لليهودية»

مع أن القدس لم تعرف في كل تاريخها ولم تعرفه اليهودية باسم القدس عند المسلمين ولا ورد عنها في التوراة وكتب العهد القديم التي تعترف بها اليهودية أنها عاصمة لليهود في عرف اليهودية المعاصرة وإنما هي عند الرسل والأنبياء!

فمن أين ومتى وكيف أصبحت القدس عاصمة لليهود؟

لقد أضفى الغرب الاستعماري على هذا المشروع الصهيوني صفة دينية وجعله صراعاً مكوناً لبعد ديني في الحضارة الغربية وقدم الكيان الصهيوني باعتباره امتداداً العصري لحضارة الغرب في صراعه مع الشرق الإسلامي وتجسيداً لعلاقة الخير بالشر وهي علاقة ثنائية من النوع الذي يطغى على المعاهدات والنصوص المكتوبة

وعلى هذا الأساس سار تحرك الحركة الصهيونية منذ بداية القرن الماضي ولادتها والمحدد لها فتحدث المجتمع عن الجذور الدينية لليهود وعن أنهم أبناء نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام ثم احتكروا - بالاغتصاب - ميراث إبراهيم الذي لا علاقة له بالتوراة المحرفة وتحدثوا عن أرض الميعاد وأرض التوراة وأرض إسرائيل التي عرفت بهذا الاسم لأول مرة في التاريخ في وعد بلفور وكذا أوغندا أو أستراليا أو حتى في سيناء

بل إن الصهيونية العالمية حتى هذه اللحظة يطبقون العقوبات الثورية ضد المجاهدين من أبناء فلسطين الأبادة وإهلاك الحرث والنسل [illegible] التحتية حتى للمؤسسات الخيرية والاجتماعية [illegible] وهدم البيوت

ففي مواجهة العرب والمسلمين [illegible] في هذا المشروع [illegible] والتجارات

الحلف الإمبريالى - الصهيونى.. تراجع أم صعود؟

يخطئ الذين يتصورون أن وظيفة الكيان الصهيونى فى المشروع الإمبريالى الغربى، ومن ثم علاقة هذا الكيان بالمشروع الإمبريالى، قد تراجعت وتحللت بعد تراجع المشروع القومى العربى الذى تأسسه العرب كرد العداء أو بعد سقوط المنظومة الشيوعية والمعسكر الشيوعى الذى يهدد الصهيونية وكيانها بدورهما فى ضرب النظم العربية التى تحالفت مع هذا المعسكر الشيوعى. يخطئ الذين يتصورون تراجع الوظيفة الإمبريالية الغربية للكيان الصهيونى بعد حدوث هذه المتغيرات ويرتبون على هذا التصور الخاطئ أحلام السلام مع هذا الكيان الذى يطبقه فى مرحلة الانطلاق من الشراكة الإمبريالية الغربية والبحث عن الاندماج فى الشرق الأوسط والتعايش مع دولة وشعوبه.

لنا خطأ كبير ووهم عظيم يقفان وراء الاجتهادات الخاطئة التى تحلم بالسلام مع هذا الكيان الصهيونى الاستيطانى بدعوى الدخول إلى هذا الكيان فى مرحلة جديدة يسمونها «ما بعد الصهيونية» مع أن الذين تحدثوا عن «ما بعد الصهيونية» من المؤرخين الإسرائيليين الجدد لم يتحدث أى منهم عن تغيير أو إلغاء الاغتصاب الصهيونى للأرض والديار وإنما وقف حديثهم عند الدعوة إلى الاعتراف بالأمر الواقع والتسليم بما صنعت الصهيونية بالأرض والمقدسات. فلسنا نرى إلغاء الصفحة الصهيونية، وإنما نحن نرى الدعوة إلى تجاوز الحديث عن هذه الصفحة والتعايش الذى يكرس جريمة الاستيطان والاغتصاب مع الاحتفاظ بالتفوق والاستعلاء الذى يضمن بقاء الأمر الواقع على ما هو عليه.

الحضاري التاريخي [illegible] للعرب [illegible] شراكته مع الصهيونية وكيانها هي مصدر خسارة لمصالحه في علاقاته مع عالم الإسلام

بل إن الناظر في صفحات الفكر الصهيوني ومقاصد الكيان الاستيطاني القائم على أرض فلسطين [illegible] الفكر [illegible] الكيان [illegible] من [illegible] الإسلامي [illegible] وليس فقط العالم العربي [illegible] العربي وصعود التيار الإسلامي!

وإذا كانت إسرائيل تعلن «أن الخطر الأكبر الذي يهدد العالم هو الأصولية الإسلامية [illegible] الصهيوني [illegible] الإسلامي [illegible] وليس فقط العالم العربي [illegible] ذلك بعبارة - «حتى يكون كل كيان من هذه الكيانات - [illegible] أضعف من إسرائيل، فتضمن تفوقها على كل الكيانات الإثنية والطائفية [illegible] في العالم الإسلامي

ونفس هذا المخطط [illegible] العالم الإسلامي كله [illegible] ١٩٨١م [illegible] باعتباره استراتيجية إسرائيل في [illegible] ١٩٩٢م

فالغرب يعلن أن الإسلام هو العدو، والكيان الوظيفي العربي إسرائيل [illegible] الأصولية الإسلامية هي [illegible] الأكبر على العالم [illegible] العربي للإسلام هو [illegible] رغم كل ما [illegible] من تغيرات

٩٣ معاملة الأسرى بين الغرب والإسلام

على مر تاريخ الإسلام كان للمسلمين في معاملة الأسرى إبان الحروب موقف ثابت ومشهور، موقف حدده القرآن الكريم وطبقته السنة النبوية، والتزم به المسلمون، حتى عندما خرج عليه أعداء الإسلام، فالأسير لا يقتل، والجرحى من الأسرى يعالجون من جراحهم، وإيثارهم بالطعام على النفس المحتاجة صفة من صفات المسلمين، ومصير الأسرى إما المن بالحرية والتحرير، وإما الفداء ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ٨ إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ٩﴾ الإنسان ٨ ٩ ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾ [محمد ٤]

ولقد التزم المسلمون بهذا الخلق الإسلامي، حتى في الحروب التي قتل فيها الصليبيون الغربيون آلاف الأسرى من المسلمين مدنيين وجنودا.

حدث ذلك في عهد صلاح الدين الأيوبي [٥٣٢ - ٥٨٩هـ / ١١٣٧ - ١١٩٣م] يوم حرر القدس [٥٨٣هـ / ١١٨٧م] فلم يقتل أسرى الصليبيين الذين سبق وقتلوا سبعين ألفا من أسرى المسلمين عندما احتلوا القدس [٤٩٢هـ / ١٠٩٩م].

وحدث ذلك أيضا إبان الحروب الصليبية، رغم فتر الملك الصليبي الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد [١١٥٧ - ١١٩٩م] لآلاف الأسرى المسلمين عندما غدر بهم بعد أن قطع لهم عهد الأمان.

وحدث ذلك أيضا من الملك الكامل الأيوبي [٥٧٦ - ٦٣٥هـ / ١١٨٠ - ١٢٣٨م] عندما حرر مدينة دمياط من الصليبيين [٦١٨هـ / ١٢٢١م] الذين سبق وبادوا جميع من كان بها من المسلمين مدنيين وجنودا.

وحدث ذلك أيضاً إبان غزوة بونابرت [١٧٦٩ - ١٨٢١م] عندما غدر بعهد الأمان الذي قطعه للأسرى المسلمين - من الجيش العثماني - في معركة يافا [١٢١٣هـ - ١٧٩٩م]

وتكرر هذا الموقف في القرن العشرين، إبان الحرب العالمية الأولى، ففي [سنة ١٩١٥م - ١٣٣١هـ] قاد العالم المسلم بديع الزمان سعيد النورسي [١٢٩٤ - ١٣٧٩هـ - ١٨٧٧ - ١٩٦٠م] كتائب الجهاد العثماني ضد جيوش القيصرية الروسية وأتباعها من الأرمن، فكان الأرمن يغيرون على القرى المسلمة فيقتلون أسرى المسلمين، بمن فيهم الأطفال، حتى إن بعض عوام المسلمين ذهبوا إلى معاملتهم بالمثل، وفي إحدى المرات تجمع آلاف من أسرى أطفال الأرمن وكاد العوام أن يثأروا منهم بالقتل لهم، لكن الشيخ النورسي منع ذلك وقال لهم: إياكم أن تمدوا أيديكم إليهم بأي أذى، ثم أمر بإطلاق سراحهم وسمح لهم بالذهاب إلى المعسكر الروسي، حيث التحقوا بأهليهم خلف الخطوط الروسية!

ولقد كان من آثار هذا الموقف الإسلامي الذي اتخذه بديع الزمان النورسي أن حذا الأرمن حذوه، فتخلوا عن رذيلة قتل الأسرى في القرى المسلمة التي كانوا يغيرون عليها مع الجيش الروسي، فحقن الإسلام دماء الأسرى من المسلمين وغير المسلمين على حد سواء.

وهكذا يصبح الخلق الإسلامي مثالاً حتى للأعداء، وحتى في ساحة الصراع والاقتتال!

٩٤ من هولاكو القديم إلى هولاكو الجديد

الذين يستمعون لغة التهديد والوعيد من الإدارة الأمريكية وأنها تريد من العالم الإسلامي الاستسلام لمشيئتها، وتريد للقرن الحادي والعشرين أن يكون قرنًا أمريكيًا تسيطر فيه الإمبراطورية الأمريكية على مصادر الطاقة لتتحكم في موازين القوى الدولية وتجعل العالم بلا قطب منافس في المستقبل.

الذين يستمعون هذه اللغة وهذا الخطاب الذي ينطق به بوش وحلفاؤه هم أمريكا وإسرائيل ومن سار في ركبهما ... على هذه الحروب ثم يتذكرون ... الخطاب الأمريكي في حروب ... والتنصير لا بد أن يتذكروا اللغة الفرعونية التي خاطب فرعون بها الذين آمنوا بالله وكفروا بفرعون ﴿فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين﴾ [الأعراف ١٢١،١٢٤]

كذلك يتذكر الذين يستمعون لغة الخطاب الأمريكي، ومحاولات الإدارة الأمريكية إضفاء الشرعية على حروبها وعلى قراراتها المارقة ضد الشرعية الدولية والإرادة العالمية، يتذكر المستمعون لهذا الخطاب ... ويجب أن يتذكروا خطاب هولاكو [٦١٤ - ٦٦٣هـ ١٢١٧ - ١٢٦٥م] الذي وجهه إلى مصر طالبًا منها الاستسلام لمحتوى القوة الغاشمة، وهو الخطاب الذي حمله رسله إلى السلطان المظفر «قطز» [٦٥٨هـ - ١٢٦٠م] فقال فيه:

«... نحن جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، وسلطنا على من حل به غضبه، وبعد فتحنا بغداد، وقتلنا فرسانها، وهدمنا مساجدها، وأسرنا سكانها، فلكم بجميع العباد معتبر، وعن عزمنا مزدجر، فاتعظوا بغيركم، وسلموا إلينا أمركم قبل أن ينكشف الغطاء، وتندموا على الأخطاء، فنحن لا نرحم من بكى، ولا نرق لمن شكى، وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد، وقتلنا معظم العباد، فعليكم

[illegible]

[illegible] المرتد [illegible]

[illegible] الأمة الإسلامية [illegible]

في [illegible] جالوت [illegible] في كتب [illegible]

[illegible] اشتداد حدة الصراع بينها وبين الأعداء ، وإن الوعي [illegible] الصراع هو سلاح فعال في مواجهة خطر الهزيمة النفسية التي يروج [illegible] العملاء والأغبياء.

■ [illegible]

[illegible] الأرض [illegible] لا إكراه في الدين.

■ فلما جاء الصليبيون [illegible] أواخر القرن الحادي عشر الميلادي [illegible] الإسلام.

■ ثم جاءت [illegible] الاستعمارية [illegible] سنة ١٤٩٢م [illegible]

اغتصاب الشرق من الإسلام، وعلى امتداد قرون المواجهة مع هذه الغزوة أثبت الشرق - تحت رايات الجهاد الإسلامي، وثقافة الفداء والاستشهاد - أنه لا يزال مقبرة الإمبراطوريات الغازية، على اختلاف أسماء وأعلام هذه الإمبراطوريات.

■ ومع الوعي بسنن هذا التاريخ، فإننا بحاجة إلى الوعي بسنن التدافع التي حدثنا عنها القرآن الكريم، وصدق الله العظيم: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما﴾ [النساء: ١٠٤]، ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ [الصف: ٨].

النزعة الصليبية لكولمبس!

نشأ كريستوفر كولمبس [١٤٥١ - ١٥٠٦م] باعتباره مكتشف جغرافيًا، سعى في سنة [٨٩٧هـ / ١٤٩٢م] إلى كشف جزر الهند الغربية، فضل طريقه و كتشف أمريكا

لكن حقائق التاريخ، ومذكرات «كولمبس» ومراسلاته تكشف عن أن الرجل كان «صليبيًا» سخر حياته لجمع الذهب، كي تجهز بسبانيا حملة صليبية جديدة لاغتصاب القدس وفلسطين من المسلمين. وقد كتب «كولمبس» عن هذا المشروع الصليبي الذي وهب له حياته - كتب إلى ملكي إسبانيا «فرديناند» [١٤٧٩ - ١٥١٦م] و«إيزابيلا» [١٤٧٤-١٥٠٤م] يقول:

«إن فهمي وإدراكي لمسألة استرداد الصليب المقدس بمدينة القدس لصالح الكنيسة المقدسة عسكريًا سوف أقوم بتوضيحه فيما يلي:

لقد ارتحلت إلى كل مكان يمكن الإبحار إليه حتى الآن كما تمنى الرب أن أمثل أمام جلالتكم. وقد تحسد الدين والإيمان و الإخلاص في جلالتكم

وقد أردت ربما أن أكتشف المعجزة الأكثر وضوحًا في تلك الرحلة البحرية باتجاه الهند من أجل أن يوسيبي وآخرين عن «مسألة المتعلقة باسترداد الصليب المقدس بمدينة القدس

لقد مكثت سبع سنوات في بلاطكم الملكي مناقشًا الأمر مع العديد من الرجال. إن ما حدث هو لا شيء سوى أن قام به يسوع المسيح المخلص وذكره من قبل رسله المقدسين، ولهذا فيجب علينا أن نؤمن بأن الأمر المتعلق بحملة صليبية لاستعادة مدينة القدس يعد أمر سوف يتحقق بالفعل. لقد قلت إنني سوف أتحدث عن فهمي وإدراكي لمسألة استعادة الصليب المقدس بمدينة القدس إلى أحضان الكنيسة الكاثوليكية، ولهذا فيجب عليّ تحية جميع رحلاتي البحرية

■ وإذا نظرنا اليوم إلى خارطة الواقع، توجدت القواعد العسكرية الغربية تغطي [illegible] بلاد العالم الإسلامي وشركات النهب الاستعماري الغربية تنهب ثروات العالم الإسلامي [illegible] واسطة الغرب تملأ مياه البحار والمحيطات في العالم الإسلامي [illegible] على حين ليس هناك جندي مسلم على أرض غربية [illegible] ولا [illegible] صيد في [illegible] الغربية [illegible] فهل يصعب على أحد – منا أو من غيرنا – أن يجيب عن سؤال

– من هم الإرهابيون .. والمعتدون؟

من عبر التاريخ!

في الوقت الذي ذبح فيه الصليبيون وأحرقوا جميع من وقع في قبضتهم من مسلمي القدس في مذبحة دامت سبعة أيام، وحصدت سبعين ألفا من المسلمين «حتى كلت أيدي الصليبيين من الذبح» كما يقول المؤرخ النصراني رجل الدين «مكسيموس موبروند» في كتابه «تاريخ حرب الصليب» احتذبت عواتهم قطاعات من نصارى القدس «الذين كانوا يسيرون أمام الصليبيين بدلائل الاحترام والوقار، مرتلين معهم أناشيد الخلاص من الأسر»!

وسرت هذه العواية إلى قطاعات من النصارى خارج القدس، ذلك أن أخبار الانتصارات التي فاز بها الصليبيون بامتلاكهم هذه البلاد قد انتشرت بسرعة في الجهات القريبة إليها. وهكذا شوهد المسيحيون متقاطرين جموعا غفيرة إلى أورشليم من انطاكية، ومن الرها، ومن تروسوس، ومن كيادوكيا، ومن كيليكيا ومن بين النهرين، ومن سائر أقاليم سوريا. فالبعض سكنوا في أورشليم وما يحوطها، وغيرهم كانوا يزورون الأراضي المقدسة ويعودون إلى بلادهم والجميع حاصلون على فرح عام غير فاترين عن تقدمة الشكر لله والتفريطات لشجاعة الصليبيين وانتصاراتهم كجنود محقين ليسوع المسيح الذين «أخبر انقذوا قبر ابن الله مخلص العالم من أيدي غير المؤمنين».

★ ★ ★

ولقد تكررت صفحة العواية الاستعمارية من هذه القطاعات من الأقليات النصرانية إبان الغزوة التترية لدمشق [٦٥٨ هـ - ١٢٦٠م] - تلك التي قادها القائد التتري النسطوري «كتبغا» وكتب المقريزي [٧٦٦ - ٨٤٥ هـ = ١٣٦٥ - ١٤٤١م] كيف «استطال النصارى بدمشق على المسلمين واحضروا فرمانا من هولاكو بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم فتظاهروا بالخمر في نهار رمضان

ورشوه على قتل المسلمين في الطرقات وصبوه على بوابات المساجد، وعلقوا رقاب الخنازير بالقلائد، ما مروا بالمصلين عليهم، وهذا من منع من القيام بالصلاة وصاروا يجرون في الشوارع إلى كنيسة مريم ويقفون به ويجلسون في الشمس على ذيولهم، وقالوا جهرا: ظهر الدين الصحيح الذي للمسيح وخربوا مساجد وماذن كانت بحوارهم فغلق المسلمون من ذلك وشكوا مرهم للملك هولاكو «كتبغا» فهانهم وضرب بعصيهم وعظم قدر قسوس النصارى ونزل إلى كنائسهم وأقام شعارهم»

ثم يحكي المقريزي كيف انتهت هذه الحوادث وتحيته إلى رسول الله ﷺ وذلك بعد انتصار الدولة الإسلامية على التتار في عين جالوت [٦٥٨هـ ١٢٦٠م] عندما «تلاشى أمر المشوالي وزير النصارى فهلك وخربوا ما قدروا على تخريبه»

★ ★ ★

وقد تكرر هذه الحوادث لاستعمارية بأشكاله بشتى من أبناء الأقباط بإثر الحملة الفرنسية على مصر [١٢١٣هـ ١٧٩٨م] وبحثت هذه الحملة الاستعمارية في عودة فصائل من الرافضة الذين فرهم المعلم يعقوب حنا [١١٥٨ ١٢١٦ هـ = ١٧٤٥ ١٨٠١م] سري بمصلحة الجبرتي» [١١٦٧ ١٢٣٧هـ = ١٧٥٤ ١٨٢٢م] «يعقوب اللعين فحمد قبائل فنصب، ترى مرى الجيش الفرنسي وأصبح جزءاً من بعثة الاستعمارية بشرف في محاربة المصريين وإذلال المستعمرين وفي سخر علماء الأزهر الشريف

وفي سرح الجبرتي بشرار كثيرة لمظاهر هذه العودة وخيانته التي ستغرت علنية لأمة وأحدثت الأثر السيئ في جسد الوحدة الوطنية وفي هذه الإشارات نقرأ مثلا «كيف ترفع أساقفة النصارى من القبط ومشوم وأتباعهم وأشياعهم عصاة على المستعمر فركبوا الخيول، وتقلدوا السيوف بسبب خدمتهم للفرنسيس، ومشوا بالتحدي، وتلفظوا بالفحش بفور واستذلوا المسلمين مع عدم غيرهم لدين إلى غير ذلك مما لا يحيط به الحساب ولا يسطر في كتاب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»

وكيف احتفلوا بانتصار الجيش الفرنسي في معركة «عزة [١٢١٣هـ ١٧٩٩م] - إبان سعيه لاحتلال الشام فظهر النصارى الفرح والسرور في

الأسواق والدور، وأولموا في بيوتهم الولائم وغيروا الملابس والعمائم وتجمعوا للهو والخلاعة، وزادوا في الشناعة.

وعندما حل الجنرال «كليبر» [١٧٥٣-١٨٠٠م] محل بونابرت في قيادة جيش الاحتلال عهد إلى المعلم يعقوب حياة [illegible] في الجيش الغازي: «بأن يفعل بالمسلمين ما يشاء فيطاولت النصارى من القبط [illegible] الشوام على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أعراضهم، وأطفأ [illegible] ولم يبقوا للصلح مكانا، وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين».

الأمر الذي ترك جراحا غائرة في مجتمع [illegible] وخلف رواسب في الكثير من صفحات التاريخ. لذلك فإن الدراما التاريخية تستطيع أن تستدعي صفحات [illegible] عموم [illegible] العوبة [illegible] الأقليات - وتقول للأقليات المعاصرة - من المسلمين وغير المسلمين [illegible] الأمن والأمان. وكذلك الشرف والكرامة، هي في الوحدة [illegible] والحضارية. وليس في التعلق بحبال العوبة الاستعمارية [illegible] لصفحاتها سوى في «مزبلة التاريخ».

٩٧ ليسوا سواء

[illegible] ليس كلمة واحدة صماء [illegible] كل [illegible] في [illegible] الهيمنة الغربية على العالم [illegible] والمظاهرات والاحتجاجات ضد العولمة [illegible] الحروب على العالم الإسلامي شواهد على ذلك

[illegible] الإسلام [illegible] مع التعميم والإطلاق في [illegible] فيتحدث قرآننا الكريم – مثلا – عن أهل الكتاب [illegible] [البقرة ١٠٥] [illegible] من أهل الكتاب [البقرة ١٠٩] [illegible] من أهل الكتاب [آل عمران ٦٩] [illegible] [آل عمران ١٩٩] [illegible] موسى عليه السلام [illegible] مع الوثنية العربية ضد التوحيد الإسلامي [illegible] [آل عمران ١١٢-١١٥]

ولأن إسلامنا يعلمنا العدالة والموضوعية في النظر إلى الآخرين [illegible] المسلمين [illegible] الإسلام [illegible] العربية [illegible]

المعنوشة، فكر تعصري وا ف لاعلامي المدقة من مراكز قوى لهيمنه الاستعمارية وعدى يعترف في عداته بالإسلام وبرسله لحقيقه من محروى الكرة صليبيه الغربية قد حة هد الإنسان العربي دى تحسه الاكاديمي تثقفيه محرونة والتوظيف الاعلامي المعاصر والموسسات التي اقمتها لرأسماليه الغربيه لكت ناسم صناعة الصورة وتوحيه لراى عام واسي برمزة اصحابها من «صناعة الكذب» مصطفى يقول الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم ﴿ويجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ [الواقعة ٨٢] ان حاجه هذا الانسان الغربي الى معرفه حقيقه الاسلام تفرض على المسلمين الاهتمام بتقديم هذه الحقيقة إلى هذا الإنسان

وكيف يحقق هذا الامر حاجه ثقافيه وضروره علميه عبه يمثل للمسلمين بقيام بفريضه دعويه وتكليف إلهي: فريضه الدعوة إلى الاسلام «الكلمة الطيبة» التي شبهها القرآن الكريم «بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها» ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ٢٤ تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ [إبراهيم ٢٤ ٢٥] وأن تحدو وتحدى ظلام الحقيقة والمحتاجين إليها بالحكمة والموعظة الحسنة، والتي هي أحسن «وليس فقط الحسن ... وجاء أن تحل المودة بينك وبين الذين يعاصبونك العداء، كل هذا العداء ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم﴾ [الممتحنة، ٧].

فهي فريضة من فرائض الاسلام أن تتبع دعوه الاسلام وتقدم الحجه على صدق الإسلام وترس لتشهد عن حقائق الإسلام وذلك فضلاً عن ان في ذلك لتحقيق لمقاصد الاسلام في التعارف بين المسلمين وغيرهم من الامم والشعوب والتعاون و حضارات ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ [الحجرات ١٣]

فمن منطلق الدعوه الاسلامية، التي أرادها الله سبحانه وتعالى لها أن تكون من عزته وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾ [المنافقون ٨] ومن منطلق الاعتزاز بالاسلام الذي يمثل الدعوه الصاعدة على الصعيد العالمي رغم حالة الاستضعاف المفروضة على هذه

ومن منطلق نزع سلاح كذاب الأمير بالله والهيمنة الأمريكية العربية والصهيونية وتجريدهم من حججهم الزائفة، ومن منطلق تعريف الذين لا يعرفون حقائق الإسلام، وهو مقصد إسلامي أصيل ﴿وإن أحدٌ من المُشركين استجارك فأجره حتى يَسْمع كلام الله ثمّ أبلغهُ مأمنه ذلك بأنهم قومٌ لا يَعْلمون﴾ [التوبة: ٦]

٩٨

الايمان العلمانى المنقوص!

فى حديث أجرته إحدى المجلات الشهرية – منذ سنوات [illegible] – وهو مسلم يحكم شعبًا مسلمًا – سألته عن رأيه [illegible] الشريعة الإسلامية [illegible] تكون الإجابة كارثة فيما نشرت! لكن هذه [illegible] بسبب أن هذه [illegible] التى قال فيها:

لا.. إن الله فى السماء، ونحن فى الأرض نصنع ما نشاء

[illegible] العلمانية [illegible] الأرض [illegible] العلمانيين [illegible] سلطات الحكم والتدبير والتشريع.

[illegible] العلمانية [illegible]

[illegible] للمؤمنين بها الذين يدعون إلى تحكيمها فى كل مناحى الحياة

وهؤلاء العلمانيون [illegible] هم مؤمنون [illegible]
[illegible] والدولة والاجتماع
والسياسة والاقتصاد، وغيرها من شئون ومجالات الحياة والعمران فهم ليسوا
[illegible] لكنهم ليسوا بكاملي [illegible] إنهم مؤمنون ببعض الكتاب
وجاحدون ببعضه الآخر

والحقيقة التي لابد وأن يعلمها هؤلاء العلمانيون – [illegible]
لا نعلم هذه الحقيقة – أنهم في [illegible] الله – سبحانه وتعالى [illegible]
[illegible]
[illegible] إياه القرآن الكريم، [illegible] لنا صفاته وأسماءه الحسنى [illegible]

[illegible]
[illegible]
البشري والعمران الإنساني [illegible]
[illegible] الإلهي [illegible] عن الشريعة [illegible]
[illegible] الإنسان سيد [illegible] الكون [illegible] كما أراده الله [illegible]
[illegible] الاستخلاف

[illegible]
بإطلاق [illegible] – كما عبر عن مذهبهم القرآن الكريم [illegible]
[illegible] ﴿ [illegible] إلا الدهر ﴾ [الجاثية ٢٤] [illegible]
[illegible]
ويشركون معه آلهة [illegible] وشركاء [illegible] في حكم هذه المساحات
[illegible] بمرجعياتهم في تدبير شئون هذه [illegible]
مرجعية [illegible] في كل [illegible]
[illegible] الإنساني [illegible]

لقد [illegible]
بين [illegible] وبين الدولة و[illegible] وشئون الاجتماع و[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] القرآن الكريم [illegible]

سلطان الطواغيت يكون خالصا لله. وعلى الرغم من أن عبارة «الوطن للجميع» لا تعني القصر العلماني بين الدين والوطن لأن القرآن هو الذي يجعل الأرض - كل الأرض - للأنام - كل الأنام.

وفي مقابل هذا التفسير العلماني لهذا الشعار يرى الإسلام أن الدين لله وكذلك الوطن لله. ذلك أن الإيمان الكامل هو الذي يجعل شعار صاحبه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ١٦٢ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ١٦٣ قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء﴾ [الأنعام ١٦٢- ١٦٤]

ذلك هو الفارق بين الإيمان الكامل للمؤمنين وبين الإيمان المنقوص للعلمانيين.

٩٩ خالق فقط .. أم خالق ومدبر للوجود ؟!

في التصور الوثني الجاهلي للذات الإلهية هناك اعتراف بوجود خالق لهذا الوجود، لكن الوثنية الجاهلية قد وقفت في تصورها هذا [illegible] عند حدود الخلق، ثم أشركت معه شركاء آخرين في تدبير شئون الحياة [illegible] كان يحكم بها الوثنيون في شئون السلم أو الحرب [illegible] الأقدام والأحجام [illegible]

والقرآن الكريم لم يبق على هذا التصور الوثني الجاهلي إنكار الخالق للوجود [illegible] «التدبير» في كل ميادين الوجود وسائر شئون العمران

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ [الزمر: ٣٨]

ففي هذا التصور الوثني الجاهلي [illegible] الوجود [illegible] عن التدبير [illegible] الشركاء [illegible] «التدبير» [illegible] هو [illegible] الوجود [illegible] عن تدبير العمران والاجتماع الإنساني [illegible] بالشريعة الإلهية [illegible] العقل [illegible] الشريعة الإلهية [illegible] وتتكامل في هداية الإنسان إلى سعادة الدنيا والآخرة

[illegible] التصور الوثني الجاهلي. فأرسطو يرى الله مجرد خالق للعالم [illegible] الوجود!

[illegible] التصور الإلهي [illegible] الإلهية [illegible] التصور النصراني [illegible] يقبض أي جعل الله حاكمًا ومدبرًا في الدين كشأن فردي، ووصايا [illegible] وضوابط الشريعة

[illegible] التصور الإسلامي [illegible] مثل تصور «التوحيد» و«الوحدانية» و«التنزيه» في رقي صورها [illegible] كذلك [illegible] الراعي [illegible] الحاكم [illegible] ويشرعه لكل شئون الحياة ولسائر ميادين العمران

[illegible] الأمر [illegible] خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون [يونس ٣]

وله سبحانه وتعالى «الخلق» و«الأمر» [illegible] الرعاية والتدبير ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [الأعراف ٥٤]

وهو سبحانه الذي «خلق» والذي «هدى» ودبر ورعى [illegible] ربكما يا موسى ٤٩ قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ [طه ٤٩ ٥٠]

هذا هو التصور الإسلامي [illegible] الإلهية [illegible] التصورات الأخرى [illegible] الإلهية [illegible]

[illegible] عن [illegible] الاجتماع [illegible] العمران [illegible]
الإسلامي [illegible] كما رأينا [illegible] يجعل التوحيد الإسلامي رافضاً لكل تلك [illegible]
[illegible] السياسة [illegible] والعمران [illegible] في [illegible]
[illegible] والأرسطية [illegible] واللاهوتية [illegible]
الوضعية [illegible] فجميعها تعزل السماء عن الأرض، وتحل الإنسان [illegible]
للاجتماع – محل الله!

١٠٠

تيار التغريب (١)

لقد بدأت بوادر هذا التيار [illegible] المصري مع الحملة الفرنسية [illegible] [١٢١٣هـ - ١٧٩٨م] فكانت [illegible] فكرة الاستقلال عن العثمانيين وفصل [illegible] الوطن المصري والاستقلال عن المحيط العربي الإسلامي، واستبدال النموذج الغربي [illegible] الحضارية الإسلامية، والوطنية القطرية بدلا من الجامعة الإسلامية.

وتقدم [illegible] هذا المشروع لاستقلال مصر عن محيطها وعن [illegible] المعلم يعقوب [١٧٤٥ - ١٨٠١م] وكان [illegible] من أراذل [illegible] [١٧٦٩ - ١٨٢١م]؛ [illegible] الفرنسية [illegible] المصريين، حتى لقد [illegible] الجبرتي [١١٦٧ - ١٢٣٧هـ = ١٧٥٤ - ١٨٢٢م] «يعقوب اللعين».

وإذا كان هذا المشروع قد غاب بجلاء الحملة الفرنسية عن مصر [١٢١٦هـ - ١٨٠١م] ومعها المعلم يعقوب [illegible] الاحتلال الإنجليزي لمصر [١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م] [illegible] مؤسسات فكرية [illegible] علمانية [illegible] في رعاية سلطات الاحتلال الإنجليزي [illegible] [١٨٤١ - ١٩١١م] [illegible] في الاعتداد [illegible] مصر من أقاليم

ولقد [illegible] مجموعة المثقفين [illegible] للإسلام، ولما كانوا أبناء أقلية دينية لا تملك نصًّا للدولة والقانون والعمران

[illegible] أو تعبير لهم دون الإسلام [illegible] مسيحيتهم [illegible]
[illegible] فقط [illegible]
الإسلام [illegible] لنهضة الأمة هو بديل التغريب [illegible]
والتوسعات التي [illegible] مشروع [illegible]
لعربي [illegible] لنهضة [illegible] الإسلامي [illegible]
عليه كل سوءات وسيئات العلمانية

وفي ضوء هذه الحقيقة [illegible] صحيفة المقطم [١٣٠٦ - ١٣٧١ هـ = ١٨٨٩ - ١٩٥٢م] ومجلة المقتطف [١٢٩٣ - ١٣٧١ هـ = ١٨٧٦ - ١٩٥٢م] [illegible] المجلات [illegible] الفكر العربي [illegible] نشره ونشاعه أقطاب وأعلام هذه المدرسة وهذا التيار. من مثل

يعقوب صروف [١٢٦٨ - ١٣٤٥ هـ = ١٨٥٢ - ١٩٢٧م]. وفارس نمر [١٢٧٢ - ١٣٧٠ هـ = ١٨٥٦ - ١٩٥١م] وشاهين مكاريوس [١٢٦٩ - ١٣٢٨ هـ = ١٨٥٣ - ١٩١٠م] وشبلي شميل [١٢٧٦ - ١٣٣٥ هـ = ١٨٦٠ - ١٩١٧م] ونقولا حداد [١٢٩٥ - ١٣٧٣ هـ = ١٨٧٨ - ١٩٥٤م]. وجورجي زيدان [١٢٧٧ - ١٣٣٢ هـ = ١٨٦١ - ١٩١٤م] وفرح أنطون [١٢٩١ - ١٣٤٠ هـ = ١٨٧٤ - ١٩٢٢م] وبشارة تقلا [١٢٦٥ - ١٣٠٩ هـ = ١٨٤٩ - ١٨٩٢م] وسليم تقلا [١٢٦٨ - ١٣١٩ هـ = ١٨٥٢ - ١٩٠١م]. وأمثالهم [illegible]
[illegible] العربي [illegible] الإسلامي [illegible]
[illegible]
الفراغ الذي نشأ من عجز تيار [illegible] والمحاكاة للموروث

وإذا شئنا كلمات معبرة – بصراحة عارية – عن مقاصد هذا [illegible] فلنختر كلمات سلامة موسى [١٣٠٥ - ١٣٧٨ هـ = ١٨٨٨ - ١٩٥٨م] وهو الذي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] على [illegible]
عن [illegible]

١٠١ تيار التغريب (٢)

لم يكن هذا التيار الكافر بالشرق المؤمن بالغرب، غافلاً عن مكان العربية كلغة قومية، وكلسان الإسلام، في السمات والقسمات التي تميز الحضارة الإسلامية عن الحضارة الغربية، ولذا وجدت الوعاء اللغوي للعربية، كمثل «المضمون الفكري»: «الإسلام – هدفاً لسهام هذا التيار».

فوجدت سلامة موسى، الذي رأى في الرابطة الشرقية سخافة، وفي الرابطة الدينية وقاحة، ودعا إلى الخروج من أسباب [illegible] الاستشراقي عن الإسلام، وأطلق كفره بالشرق، وأيده بالغرب، [illegible] يدعو إلى لغة عامية، تكتب «بالحرف اللاتيني» لتقطع صلات الأمة، وهي مصر فقط بنظره، مع تراثها العربي الإسلامي ومع مختصها العربي الإسلامي، [illegible] اصطناع العامية لغة أدب، والكتابة بالحروف اللاتينية، هذه الكتابة تضمن إلى مجموعة الأمم المتمدنة، وتكسب عقيدة المتمدنين، فالمتعمق في اللغة الفصحى يشرب روح العرب ويعجب بأبطال [illegible] منحة [illegible] نحو الشرق، وتقافته كلها عربية شرقية مع أنك في كثير من الأحيان تحتاج إلى الاتجاه نحو الغرب، والتفاهة تقرر الذوق والنزعة [illegible] مصلحة الأمة المصرية أن تنزع شبابها نحو الشرق».

لم يكشف سلامة موسى القناع عن [illegible] الوعاء اللغوي للعربية، إنما هو فرع عن العداء لـ«المحتوى الفكري»: «الإسلام» الذي يحتويه هذا الوعاء، فتفوز عن تراث العربية، إنه «تراث لغوي يحمل عقيدة اجتماعية يجب أن تحاربها، فالعربية تنسب لغة الديمقراطية والأوتوماتيك والتلفزيون [illegible] وتقاليد العرب»".

فالالتحاق بالغرب حضارة، والكفران بالحضارة الشرقية، وبلغتها العربية وبتراث هذه اللغة لغة القرآن الحامية لعقيدة اجتماعية يجب أن تحاربها

سعير سلامة موسى وتبنى الحرف اللاتينى حرف كتابة للغة عامية تقطع روابط الأمة الإسلام وتحولها إلى أقاليم يلتحق كل منها بالغرب الحضارى. وتبنى مصطفى كامل باشا الدعوة إلى الجامعة الإسلامية في مجتمع مفهوم المشروع الذى يشرحه هذا الشعار، ثم انتقل واحد كبار الغرب الذى اختار هذا الطريق عدوا متعمدا، ويوعى بمفاهيم هذا الغرب، ومقاصده ومقاصده لأن علاقة كبار رجال الإسلام كانت حتى وقت قريب علاقة شرق وغرب وعداء.

وإذا كانت «مدرسة المقطم» و«مدرسة المنصورة» وهما جناحان لتيار واحد عبرت عن انبهار النخبة المصرية في عصور الخديوى عباس حلمى الثانى بالنهضة الغربية في روسيا [١٣٣٦ هـ - ١٩١٧م] فقد شهدت بدايات تيار «التغريب» المتمركز على ضفاف البوسفور «الجمعية التركية الفتاة» وعرفت مصطفى كمال قادة ومؤسسين ومنظرين من مثل «روبرتسون» و«هارتسيل» إسرائيل زانجويل و«هنرى كورنيلى» و«يوسف أكورا» و«برنارد لويس» و«شوارتز» و«ريتشارد روبنسون» وسواهم من رسل الأفكار الذين بشروا بالتغريب لعوارية، مؤهلين تحويل المسار الحضارى للأمة عن الوجهة إلى رسالة نبيها محمد بن عبدالله ﷺ وخالقين بصفة أعلامها المحدثين من مثل حسن العطار [١٢٥٠ - ١٣١٤ هـ = ١٨٣٨ - ١٨٩٦م] ومحمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] ورشيد رضا [١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥م] وعبدالعزيز جاويش [١٢٦١ - ١٣١٤ هـ = ١٨٤٥ - ١٨٩٦م] وعبدالحميد بن باديس [١٣٠٥ - ١٣٥٩هـ = ١٨٨٧ - ١٩٤٠م] ومصطفى عبدالرازق [١٣٠٢ - ١٣٦٦ هـ = ١٨٨٥ - ١٩٤٦م] وسعد زغلول [١٢٧٣ - ١٣٤٦ هـ = ١٨٥٧ - ١٩٢٧م] وحسن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩م] وغيرهم من الأدباء، لبرره تدفعه هذه الأمة وحضارتها.

هكذا بدأ وتبلور تيار التغريب والاستلاب الحضارى الذى يشرئب عبر رواده إلى تميز الثقافة الغربية الإسلامية والذى دعا إلى تبنى النموذج الحضارى الغربى بخيره وشره، وحلوه ومره زاعما أن التخلف الشرقى لا يزول عن الأمة حتى بعد أن تدين أهله بدين الإسلام!

وقد كان الهدف الذى أعلنه سلامة موسى - لهذا التيار هو إخراج الأمة من سجنها الإسلامى وحضارته - وإلحاقها بالغرب، حضارة وهو ذات الهدف الذى وضع دنلوب الأولى الجنرال «بعقوب اللعين»

١٠٢ تيار التقليد للموروث

[illegible] هذا التيار ومنابعه هي فكر سلافيا الذي تبلور في عصور التراجع الحضاري الإسلامية على وجه الخصوص والتحديد [illegible] وموسساته لا تعرف كثيرا عن حقيقة المنابع الجوهرية وعقبة لفكر الحضارة الإسلامية ولا يهتمون كثيرا بإبداع عصر الازدهار بهذه الحضارة [illegible] الفكري [illegible] التراجع والجمود المملوكية [illegible] وإذا كان هذا التيار قد ضم فصائل ثلاث:

١- **موسسات العلم والتعليم الموروثة** [illegible] الأزهر [illegible] المدارس والجامعات.

٢- **والطرق الصوفية** [illegible] ومشتقاتها المتعددة.

٣- **والنصوصيون** [illegible] النصوص [illegible] عن ملابساتها وعن مقاصد الشريعة والتشريع [illegible] من هذه النصوص.

[illegible] هي أبرز فصائل هذا التيار [illegible] الحفاظ على [illegible] وفصيلة [illegible] العربي [illegible] في موقعه الأمر الذي حفظ للأمة [illegible] مع [illegible] وتحركات الإحياء والتجديد من مادة ومنطلق هذا الإحياء والتجديد.

ذلك فصل لا ينكر لفصائل هذا التيار.

لكن هذا التيار [illegible] العربي [illegible] عاجزا عن [illegible] المجتمع العربي [illegible] لا لقصور طبيعي في عقول أعلام هذا التيار وإنما لعيب في [illegible] عرض من أعراض مرض التخلف الحضاري الذي أصاب هذه الأمة فأنّى لها أن تكون سبيلا ومادة للنهضة والإحياء؟

[illegible]

التي ندرسها مؤلفة في عصر التراجع وليس في عصر الابداع الحضاري [illegible]

وفي ضوء هذا [illegible] فهمنا معنى عبارة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] التي [illegible] عن الأزهر وأبنائه - في عصره [illegible] لا يتعلمون في الأزهر [illegible]

[illegible]

[illegible] من منابع الجوهرية [illegible]

أما المؤسسات الصوفية فإنها [illegible] الشعوذة والخرافة [illegible] لتهذيب النفس [illegible] العقل في إقامة التوازن [illegible]

وإذا كان التيار [illegible]

[illegible]

وإذا كنا قد أوردنا عبارة الإمام محمد عبده التي وصفت الحالة الفكرية [illegible]

[illegible]

١٠٣ الأزهر فى العصر العثمانى

بعد أن كان الأزهر يمد مصر – فضلاً عن غيرها – بالقضاة أصبح قضاء مصر للأتراك منذ المحرم سنة ٩٢٩ هـ = نوفمبر سنة ١٥٢٢م

■ وكانت المدارس التى بنيت بمصر منذ عهد صلاح الدين الأيوبى [٥٣٢ – ٥٨٩ هـ = ١١٣٧ – ١١٩٣م] قد عدت الامتداد العلمى والفكرى للأزهر تدرس فيها شيوخه وتتخرج منها العلماء على منهجه فجاء العصر العثمانى ليدمرها بمظالمه حتى ليتحدث على مبارك باشا [١٢٣٩ – ١٣١١ هـ = ١٨٢٣ – ١٨٩٣م] عن ذلك فى الخطط فيقول: لقد اهتم من المدارس وامتدت يدى الاطماع إلى أوقافها وتصرف فيها النظار على خلاف شروط وقفها وامتنع الصرف على المدرسين والطلبة والخدمة فأخذوا فى مقارفتها وصار ذلك يزيد فى كراسته عما قبلها لكثرة الاضطرابات الخاصة بالبلاد حتى انقطع التدريس فيها بالكلية وتبعت كتبها وانتهت ثم جدد التشعث وتتجزأ فامتدت يدى الظلمة إلى بيع رخامها وأبوابها وشبابيكها حتى صار بعض تلك المدارس الفخمة والمبانى الجليلة أزرقة وخوشا وغير ذلك ولله عاقبة الأمور.

■ ولقد انعكس «الفقر المادى والفكرى» الذى ميز الحقبة العثمانية على الأزهر فزادت غربته عن العلوم التى تدعمها السلف والتى تأسست عليها صفحة ازدهار حضارتنا ووقف التدريس فيه عند الكتب التى ألفها علماء العصر «المملوكى – العثمانى» وهو العصر الذى توقف فيه الابداع وأغلق فيه باب الاجتهاد من واقتصر التدريس غالباً على علوم الوسائل والأدوات حتى لقد عدت علوم وفنون مثل المنطق والفلسفة والتاريخ والجغرافيا غريبة يرتاب فيها الكثير من الشيوخ، ويخشون ضررها على الإسلام

وفي الحوار الذي يحكيه المؤرخ الجبرتي [١١٦٧ - ١٢٣٧ هـ = ١٧٥٤ - ١٨٣٢م] والذي دار بين الوالي التركي أحمد باشا كوز وزير وشيخ الأزهر الشيخ عبدالله الشبراوي [١٠٩٢ - ١١٧٠ هـ = ١٦٨١ - ١٧٥٧م] تجسيد للحال الفكرية التي تبعها الأزهر [١١٦٢ هـ = ١٧٤٩م] أي قبل نصف قرن من حملة [illegible] وبدء هجمة التغريب في هذا الحوار منطق طريف يجسد حال الأزهر البائس في ذلك التاريخ

- **الوالي التركي** [illegible] الفضائل والعلوم وكنت في غاية الشوق إلى المجيء إليها، فلما جئتها وجدتها [illegible] كما قيل: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه»
- **شيخ الأزهر** هي، يا مولانا، كما سمعتم، معدن العلوم والمعارف
- **الوالي** [illegible] فلم أجد عندكم منها شيئاً، وغاية تحصيلكم الفقه، والمعقول، والوسائل، ونبذتم المقاصد!
- **شيخ الأزهر** [illegible] بقدر الحاجة إلى علم الفرائض والمواريث
- **الوالي** [illegible] ذلك
- **شيخ الأزهر** نعم، معرفة ذلك من فروض الكفاية [illegible] وهذه العلوم تحتاج إلى [illegible]

هكذا صنعت الحقبة العثمانية بالأزهر [illegible] المدارس التي مثلت هذا المجال، وأصابته بالفقر الفكري، [illegible] في كل [illegible] وهكذا [illegible] الهجمة التغريبية

القوية تجد الأزهر شبه ما يكون بالفارس الذي يحمل سلاحا يراكم عليه الصدأ وعلاه الغبار!

لكن الأزهر [illegible] لم يستسلم [illegible] يستسلم [illegible] التغريب [illegible] حصل موقعه [illegible] الأكبر من قرن ونصف قرن من [illegible] التغريب [illegible] وسط [illegible] التغريب [illegible] الأمة إلى ذاتها وهويتها الحضارية المتميزة والتي بدونها لن يتحقق لها الاستقلال الحقيقي عن التبعية للاستعمار!

١٠٤ مصطلح «الشرق الأوسط»

منذ الحرب العالمية الثانية [١٣٥٨ - ١٣٦٤هـ ١٩٣٩ - ١٩٤٥م] صكّ الاستعمار على الوطن العربي اسم «الشرق الأوسط».. وذلك لتفريغ هذا الوطن من هويته «العربية - الإسلامية» ووضع مصطلح «جغرافي» محله بلا هوية.. ولتمزيق الوطن العربي وثقافته التي تقف في وجه هذه الجغرافيا ... الصنيعة بثقافته التغريبية التي يريدها الاستعمار.

وكانت هذه التسمية «الشرق الأوسط» مقصود بها أكبر الأهداف في هذا الإطار.. هذه المركزية الغربية التي تنسب الآخرين لمركزيتها، فتسمية «الشرق الأوسط» تعني محو الهوية العربية الإسلامية لشعوب عشرات من البلاد كما تعني من المركز الغربي: فهناك من هو «شرق أدنى» بالنسبة لموقعه من المركز الغربي، ومن هو «أوسط»، ومن هو «أقصى» بالنسبة لموقعه من هذا المركز.. فعلت العقيدة التي تم تصنيفهم بحسب موقعهم من ...

وقد استخدم كثير من دوائر السياسة والفكر والثقافة والإعلام في وطن العروبة وعالم الإسلام - بسبب الغفلة والجهالة - هذه التسمية التي تكرس معاني التبعية ومحو الهوية والإلحاق.

فلما حدثت نكبة الاغتصاب الاستعماري الصهيوني لفلسطين عقب الحرب العالمية الثانية.. راج وشاع التعبير عن هذه القضية باسم «مشكلة الشرق الأوسط».. وذلك بدلاً من اسم «الصراع العربي - الصهيوني».. وذلك مرة أخرى لتكريس محو الهوية المميزة لهذا الصراع.

وفي السنوات الأخيرة، ومع الحديث عن التسويات التي تدور لتكريس النكبة والهزيمة، حسبت الدوائر الصليبية والصهيونية أنها قد اقتربت - بهذه التسويات المائلة - من كسر الإرادة العربية والإسلامية الرافضة للاغتصاب

الصهيونية للقدس وفلسطين [illegible] العربية الإسلامية [illegible] «الشرق الأوسط الكبير»

★ ★ ★

ومنذ شيوع هذا المصطلح «الشرق الأوسط» كانت هناك محاولات [illegible] جذور هذا الصراع الذي يدور على القدس وفلسطين، كرمز للصراع [illegible] العربي - التاريخي ضد الشرق الإسلامي، حتى لقد أصبح الكثيرون [illegible] تاريخ هذا الصراع قد بدأ مع قيام الكيان الصهيوني في فلسطين سنة ١٩٤٨م أو أن تاريخه لا يعدو «وعد بلفور» سنة ١٩١٧م أو أن جذوره لا تتجاوز [illegible] الصهيوني الأول الذي عقد في «بال» بسويسرا ١٨٩٧م

[illegible] و«الأيديولوجية» والدينية التي عدته، وبعدت عنه عبر قرون طوال وبتصويره على أنه مجرد «حاجز نفسي» - حديث النشأة - تزيله وتبدده هذه التسويات

[illegible] [١٨٩٠ - ١٩٨٦م] [illegible] ١٩٥٠م [illegible] كبد الحقيقة عندما كشف عن تاريخ هذا الصراع بعبارته التي [illegible] والعاقلين - بل والسكارى - والتي تقول «إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط [illegible]

١٠٥ مصطلحات .. ومفاهيم

منذ الاحتكاك بين حضارتنا الإسلامية والحضارة الغربية دخلت إلى قواميس العلوم الإنسانية والاجتماعية وإلى مؤلفات الفكر والثقافة بل ووسائل الإعلام الكثير من المصطلحات الغربية ذات المفاهيم الغربية والتي تحتاج إلى ضبط مفاهيمها وإلى التعريف بهذه المفاهيم وبرز هذه المصطلحات.

● **الوجودية** رؤية فلسفية للوجود الإنساني ظهرت في أوربا عقب الحرب العالمية الأولى [١٩١٤ - ١٩١٨م] في ألمانيا أولاً ثم في فرنسا ثم منذ انتشارها بعد الحرب العالمية الثانية [١٩٣٩ - ١٩٤٥م] إلى الأوساط الفلسفية في أوربا وأمريكا وبلاد الشرق والجنوب.

وتنظر الفلسفة الوجودية من وحدة الذات والموضوع وتنظر إلى الإنسان باعتباره وجوداً وسبيلها في المعرفة هو الحدس وهي تولي الحرية بمعنى الاختيار الفردي اهتماماً شديداً مع عزل الحرية والاختيار عن الضرورات الموضوعية والقوانين والسنن التي تحكم الواقع وتحيط بالإنسان. فالحرية في الوجودية - هي الغاية، وهي تعني تحرير الفرد من المجتمع.

وقد [illegible] الوجودية [illegible] المسرح في نشر فلسفتها.

وفي إطار الفلسفة الوجودية تمايزت تيارات أبرزها:

١ - تيار الوجودية المؤمنة بالدين كما هي عند الفيلسوف الفرنسي جابرييل مارسيل والألماني كارل ياسبرز [١٨٨٣ - ١٩٦٩م] والروسي نيقولاي ألكسندروفيتش بردياييف [١٨٧٤ - ١٩٤٨م] والألماني مارتن بوبر [١٨٧٨ - ١٩٦٥م].

٢ - والوجودية الإلحادية كما هي عند الأساسي مارتن هيدجر والفرنسي جان بول سارتر والفرنسي ألبير كامو [١٩١٣ - ١٩٦٠م].

ومع أن الوجودية غير علمانية لأنها - ككل الفلسفات الغربية - فلسفة علمانية النزعة تعزل الدين عن الحياة في إطارها العام وتعزله عن الدولة في إطارها الخاص لأن الإنسان ككل الفلسفات الوجودية مجرد نزعة داخل الإنسان فردي لا علاقة له بالدولة أو السياسة أو المجتمع

وعند تراجع دور وانهيار وتدهور الفلسفة الوجودية في العقود الأخيرة وربما من دخل عصرها إلى الفكر الجديد والتفكير سوى المزيد

■ **أما العلمانية** فإنها النزعة التي مكنت فلسفة التنوير الوضعية الغربية على اختلاف مدارس هذا التنوير منذ القرن السابع عشر وإلى عصر ما بعد الحداثة من احتلال العقل والحرية والعلم ذلك التنوير الغربي الذي حل محل الدين والكنيسة واللاهوت والتركيز على عالم الشهادة الدنيا الذي يعلم الغيب وخفي الإنسان الطبيعي وليس الذي نفخ الله فيه من روحه وسخره هو محور ثقافة الحداثة بدلا من أن يكون الله هو محور هذه الثقافة وعزل سماء الله والشرائع السماوية والقيم الإلهية عن أن تكون حاكمة ومسيرة للاجتماع الإنساني فالعلمانية وتعريف ثقافة الحداثة تمثل تعظيم الواقع والكسب المادي لله والسماء والدين وتعزل السماء عن الأرض وتحرر الإنسان والمجتمع من مرجعاته الإلهية وتدبيره الديني فالإنسان فيها مكتف بذاته والعالم عندها مكتف بذاته ومعرفة الإنسان بذاته الموضوعة فيهما دون حاجة إلى التدبير الإلهي والشرائع الدينية

وفي العلمانية تيارين رئيسيان

١ تيار العلمانية الكلية والشاملة، وهو ما يطمح إلى تحرير الحياة - بمجتمع مؤسساته والإنسان في كل أعماله من الدين بكل أبعاده الغيبية والقدسية والسماوية والمركزية من خلال هذه العلمانية الكلية والشاملة

٢ وتيار علمانية الحرية التي لا تنكر الإيمان بالله والدين وتكتفي بالدين عند العلاقة الفردية بين الإنسان والله وعند استثمار العقيدة وبعض القيم الأخلاقية التي يرتد بسببها تتعارض كل تدخل للدين في تدبير الدولة والمجتمع الإنساني فهي تكتفي بفصل الدين عن الدولة على حين تطمح العلمانية الشاملة إلى عزله عن كل الحياة

■ **أما الماسونية** [illegible] حركة عالمية [illegible] في عصورها الوسطى، وتميز باختلاف ما يعلن من شعارات عما [illegible] من مقاصد [illegible]

[illegible] في [illegible] الأحرار [illegible] شعارات [illegible] والمساواة [illegible] التحرر من [illegible] من كل [illegible] – عندما يستبعدون الهوية الدينية للأعضاء. لكن حقائق مقاصد الماسونية – التي اتضحت علاقاتها باليهودية والصهيونية [illegible] تستخدم التحرر من العصبية الدينية سبيلا [illegible] غير اليهود – فتذويب الخصوصيات الدينية [illegible] والصهيونية [illegible] في [illegible] الأحداث [illegible] الدينية [illegible] بالصهيونية، وليس فقط باليهودية [illegible] فالماسونية «تعلن» [illegible] من غير [illegible] اليهودية [illegible] الصهيونية [illegible] عبارة [illegible] في [illegible] هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى في القدس الشريف.

[illegible] الإسلامية فأغلقت المحافل الماسونية، عادت لتتسرب تحت لافتات [illegible] وتنظيمات عالمية أخرى، من مثل «الروتاري» و«الليونز» وأمثالهما.

١٠٦ عن العروبة والإسلام (١)

[illegible]

والجذور والبدايات

وفي التعرف على علاقة العروبة بالإسلام في المشروع الفكري [illegible] [١٩١٠ – ١٩٨٩م] وهو أكبر منظري التيار القومي العربي [illegible]

[illegible]

ميدان سنوات مشروعه الفكري التي استمرت لأكثر من خمسين عامًا

وفي دراسة علاقة العروبة بالإسلام في فكر ميشيل عفلق، نجد أن هناك [illegible] العروبة بالإسلام

ففي إطار الثوابت، نجد التأكيد الدائم على وجود علاقة بين الإسلام [illegible]

[illegible]

ظهور الإسلام. ومن ثم فقد تميزت صيغة «البعث» في المسألة القومية، عن الصيغ القومية التي نشأت في الحضارة الغربية، والتي استعارها قوميون عرب، جردوا القومية من هذه العلاقة العضوية والخاصة بالإسلام.

تلك أمور جوهرية، وتوالت في المشروع الفكري لميشيل عفلق على امتداد الخمسين عاما التي قضاها الرجل في الفكر والممارسة.

أما القضايا التي شهدت «تطورا» في فكره، إزاء علاقة العروبة بالإسلام، ومن ثم مكانة الإسلام بين مكونات القومية العربية وموقعه في مرجعية المشروع الحضاري العربي، فلعل أبرزها:

- أن الرجل كان يرى في العقود التي سبقت عقد الستينيات من القرن العشرين، انفراد القومية العربية وحدها كمحركة للأمة العربية نحو الثورة والنهوض، والإسلام الحضاري هنا هو مجرد مكوّن من مكونات القومية بعدها التراثية الروحي، وهو متضمن فيها.
- أما منذ عقد الستينيات وبعد اتساع مساحة الحديث عن الإسلام في مشروعه الحضاري، فلقد أصبح الإسلام أكبر مكوّن من مكونات القومية العربية، أصبح أباها الذي ولدت منه ولادة جديدة. كما أصبح الإسلام الحضاري خيارا قائما بذاته ضمن خيارات النهضة الثلاثة كما تحدث عنها ميشيل عفلق، وهي القومية، والتقدم، والإسلام الحضاري.

لقد كانت العروبة في المرحلة الأولى هي الأصل وكان الإسلام «مجرد مفصح» عن رسالة الأمة العربية، إبان ظهوره. وكانت القومية، وليس الإسلام، هي «المفصح» عن رسالة الأمة في العصر الحديث. أما في المرحلة الثانية، مرحلة الحقبة العراقية في تطور ميشيل عفلق، والتي عبرت فيها «العمل السياسي» وتفرغ «للفكر» وتخلص فيها من ضغوط وملابسات «الطائفية الشامية»! أما في هذه المرحلة الثانية فلقد تحدث عفلق عن الإسلام باعتباره الأب الشرعي للعروبة، وليس المفصح عنها، وباعتباره المكون الأول لها، وليس مجرد مكوّن من مكوّناتها، وباعتباره جوهر مشروعها النهضوي، بل وباعتباره وطن الأمة، والسياج الحامي لوحدتها في الماضي والحاضر والمستقبل على السواء. لقد أصبح الإسلام عنده دينا، ووطنا، ووطنية، وقومية، وحضارة، وثقافة، بل وأصبح المبرر لوجود الأمة العربية.

على هذا النحو الهام والجذري والعميق لتطور فكر متسلسل عقلي إزاء علاقة العروبة بالإسلام. الأمر الذي يجعل من الوقوف في دراسة فكره حول هذه القضية عند البدايات والجذور خطأ كبيراً. كما يجعل رؤية قمة التطور والنهايات، دون وصلها بالبدايات والجذور، خطأ آخر كبيراً. فتتبع الخط البياني لتطور فكر الرجل حول علاقة العروبة بالإسلام ووزن كل منهما إزاء الآخر، ضرورة من ضرورات الدراسة العلمية لفكر عميق في هذا الموضوع الهام والشاغل لكل من الإسلاميين والقوميين على حد سواء.

إننا لم ندرك عظمة صحابة رسول الله ﷺ إذا رأينا جاهليتهم فقط كما لن ندرك أبعاد عظمتهم هذه إذا لم ننظرها في ضوء جاهليتهم. لا لأن خيارهم في هذه الجاهلية كان خيارهم في الإسلام. كما قال رسول الله ﷺ - فقط. وإنما لأن درجة عداء بعض من عظمائهم - كعمر بن الخطاب مثلاً في جاهليته للإسلام ورسوله. قد رشحته ليكون الفاروق الفارق بين الحق والباطل، عندما اهتدى بهدي الإسلام. فالتطور الفكري للإنسان وللمشروع الفكري هو آية الحيوية والحياة.. وبدونه تصبح الدراسة بلا حياة.

١٠٧ عن العروبة والإسلام (٢)

[illegible] ميشيل عفلق [١٩١٠ - ١٩٨٩م] مشروعه القومي [illegible]
[illegible]
هو «الحركة» التي قام بها العرب عندما دعوا بهذا الدين . كانت الحركة
[illegible]
الروحي المعين الذي ترتوي منه العروبة والقومية العربية . واللغة العربية هي
عندنا لغة الدين والقومية معا . وليس كذلك لغة الدين والقوميات في الغرب
[illegible]
الإنسانية، والحركة التي امتزجت فيها إشارات السماء باستجابات الأرض
[illegible]
عبقرية الأمة العربية . فهو عامل تكوين ومقوم للقومية العربية، الأمر الذي ميزها
وميّزها عن القوميات الغربية

[illegible] سنة ١٩٤١م [illegible]

[illegible]

هنا يرفض ميشيل عفلق نموذج القومية العربية، المجرد من الدين، [illegible] بعلاقة الإسلام بالعروبة في النموذج القومي العربي [illegible] من أجزاء القومية العربية «نشأ في قلب العروبة، وأفصح عن عبقريتها فهي الأصل وهو الفرع وهي الكل وهو الجزء»

وفي سنة ١٩٤٣م يعيد عفلق تأكيد هذه المعاني التي تلح على خصوصية قوميته وتميزها عن القوميات الأخرى، فيقول: «فالفكرة القومية المجردة [illegible] في الغرب منطقية [illegible] على أوربا من الخارج فهو أجنبي عن طبيعتها وتاريخها، وهو خلاصة من العقيدة الأخروية والأخلاق ولم يبرز بلغاتهم القومية ولا أفصح عن [illegible] ولا مبرر لتاريخهم في حين أن الإسلام بالنسبة إلى العرب ليس عقيدة أخروية فحسب ولا هو أخلاق مجردة بل هو أحسن مفصح عن شعورهم [illegible]

ونظرتهم إلى الحياة، وأقوى تعبير عن وحدة شخصيتهم التي تندمج فيها اللفظ بالشعور والفكر، والتأمل بالعمل، والنفسي بالقدر، وهو فوق ذلك كله أروع صورة للعلم وذاتهم، وأضخم قطعة من تاريخهم القومي، فلا نستطيع أن نتغنى ببعض من بطولات الخالدين بصفته عربياً وبهمله ونتفرد منه بصفته مسلماً، قومية كائن حي متشابك الأعضاء، وكل تشريح لجسمها وفصل بين أعضائها يهددها بالقتل، فعلاقة الإسلام بالعروبة ليست كعلاقة أي دين بأي قومية، فملحمة الإسلام لا تنفصل عن مسرحها الطبيعي، الذي هو أرض العرب، وعن أبطالها والعاملين فيها، وهم العرب، فالإسلام إذن كان حركة عربية، وكان معناه تجدد العروبة وتكاملها، فاللغة التي نزل بها كانت اللغة العربية، وقيمة للأشياء كان يتصور العقل العربي، والقضايا التي عززها كانت قضايا عربية ظاهرة أو كامنة، والعيوب التي حاربها كانت عيوباً عربية سائرة في طريق الزوال، والمسلم في ذلك الحين لم يكن سوى العربي، ولكنه العربي الجديد، المتطور، المتكامل، إن هذا الدين يميل وثبة العروبة إلى الوحدة والقوة والرقي»

فعقلوا هنا، مع اعترافه بـ«سماوية» الإسلام كدين إلهي، إلا أنه يسلط كل الأضواء على الجانب «البشري» فيه، على الحركة العربية التي أفصحت عن عبقرية الأمة في «صورة الإسلام»، وهو ينفي أن يكون الإسلام قد وجد ليكون مقصوراً على العرب، لكنه يعتبر بعده الإنساني، التعبير عن نزوع القومية العربية في أصل تكوينها إلى القيم الخالدة الشاملة، والإسلام خير مفصح عن نزوع الأمة العربية إلى الخلود والشمول، فرسالة الإسلام إنما هي خلق إنسانية عربية

إنه لا يزال في مرحلة العروبة أولاً، وهي الأصل، والإسلام مجرد جزء من مكوّناتها.. ومفصح عن عبقرية أمتها!

١٠٨ عن العروبة والإسلام (٣)

في المرحلة الأولى من مراحل فكر منشئ عقلق - السابقة على مرحلة الستينيات من القرن العشرين - لا يرى الرجل اليقظة العربية الأولى - أي ظهور الإسلام - ثمرة للإسلام وبعضاً من آثاره وتجلياته، وإنما يرى في الرسالة الدينية الإسلامية مفصحاً عن تلك اليقظة القومية العربية الأولى، فالأصل هو القومية، والإسلام ثمرة لعبقرية الأمة ومظهر لرسالتها الخالدة. وفي ذلك يقول «مغلب البشرى على السماوي»: «في هذا الذي شهده العرب إبان ظهور الإسلام، إن العرب ينفردون دون سائر الأمم بخاصية أن يقظتهم القومية قد اقترنت برسالة دينية، أو بالأحرى كانت هذه الرسالة مفصحة عن تلك اليقظة القومية. وما الإسلام الأوليد إلا لأم، الأم العروبة».

وبسبب من هذا الموقف المتأثر بالتحليل المادي لنشأة الأدب - الموقف الذي رأى الإسلام مجرد مكوّن ومعد للقومية العربية - أفصح «بلغة السماء» عن يقظة العرب الأولى وعبقرية منهم وتجسد في حركة البشرية العربية الثائرة والعلوم والتراث والمثل والحضارة، بسبب هذا الموقف الذي غلب فيه عقلق «البشرى» على «السماوي» - حيال النظرة إلى الإسلام - رأيناه، رغم حديثه عن البعد الإنساني والعالمي للإسلام يرى أن «الإسلام لا يمكن أن يتمثل إلا في الأمة العربية وفي قضاياها وأخلاقها ومواهبها، ولذلك وجب أن يوجه كل الجهود إلى تقوية العرب وإنهاضهم وأن تحصر هذه الجهود في نطاق القومية العربية».

وفي سنة ١٩٤٦م يعود عقلق فيتطرق ذات الموضوع ليؤكد على ذات الفكرة، فالأصل والمنبع - عنده - هو أن للأمة العربية «رسالة خالدة» هي «بروع واستعداد» لتحقيق الذات، والإفصاح عن هذه الذات «بروع واستعداد دائم وخالد». أما «أشكال الإفصاح والتعبير فإنها تختلف باختلاف مراحل تطور هذه الأمة

فعلى الإسلام فصحت الأمة عن ذاتها وبدأت في صورة تسرع حضارى [١٧٩٣ ١٧٥٠م] مرة أخرى صورة الشعر الجاهلى مرة ثانية وعند ظهور الإسلام كان الشعر العربى قد بلغ في صورته هذا الطور الذى يمكن أن نسميه عصر فصحت فيه الأمة عن ذاتها وبدأت في صورة ثقافة عصر المأمون» [١٧٠ ٢١٨ هـ = ٧٨٦ ٨٣٣م] والآن » عدت «العربية» هي الصورة العصرية التى تفصح بها الأمة العربية عن ذاتها وعن نزوعها الدائم وبدأت تجدد

نعبر هيكل عقب عن هذه الفكرة عندما يقول: «لقد أفصحت عن نفسها وعن شعورها بالوحدة قصائد متعددة في تشريع حضارى وشعر جاهلية وفي ثقافة عصر المأمون فيها شعراء تعرفوا في مختلف الأقطار العربية وتجاوبوا مع تيارات الأنماط والأشواق التى عصفت بالروح في أقاصي عالم العروبة الذى يمتد على مساحة واسعة من الأرض التى يتعذر على هذه الوسائل الحديثة أن تقيم عليها نيابة تزوع وشعار كثيرة تكون لها في نفسه صورة واحدة

ويذهب عقب على أن تلك الصورة التى رسمها الإسلام في هذه الأرض والبشرية ثمرة لعبقرية الأمة العربية وليس ثمرة للوحى الإلهى «الوضع يرى عند محمد موكل حلول بعوضه محمد عبد الله كمحرك الأول والموحد للأمة العربية في هذا العصر الذى تعيش فيه وتستكشف هي القصد بقدرته لكل أمة في مرحلة تجتاز من خلالها تطورا تاريخيا يغير أعماقها ويفجر فيها ينابيع النشاط والحيوية والخصب ويفتح لها أفقا وهو بمثابة بعث جديد تستأنف الأمة وتكون مفصحة عن عبقرية جديدة في مرحلة من المراحل التى تمر في تاريخ الإنسانية كما في ظروف عند ظهور الإسلام هو الذى وحد وحدة تاريخية كما من الخلود في نفس تجربته وتستوعب الجهد المتجدد والخصب والملهم المتجاوب ويفتح أفقه ويحقق لها في تلك اللحظة وعي البعد الذى لا يدانى بالله وبالحق وبالكون وبالإنسان وتحقق الأمة لأول الأخلاقى الاقتصادى الذى كانوا بحاجة إليه لأصلاح الأحوال على كل مرة وتشبع بالإيمان العميق بالدين

[illegible] اليوم [illegible] المحرك الأساسي للعرب [illegible] القومية التي هي كلمة السر التي يستطيع [illegible] العرب [illegible] قلوبهم [illegible] نفوسهم [illegible] الحقيقة الأصيلة [illegible] لا يمكنهم [illegible] وكما استجابوا في [illegible] فاستطاعوا [illegible] الاصلاح الاجتماعي، فإنهم يستطيعون اليوم تحقيق العدالة الاجتماعية [illegible] بين المواطنين وضمان الحرية بين العرب جميعاً [illegible] الإيمان القومي [illegible]

[illegible] الإيمان القومي [illegible] هو المحرك الوحيد للأمة في عصرنا [illegible] وهو [illegible] المحرك للأمة على عهد ظهور الإسلام [illegible] في المشروع القومي للنهوض المنشود.

وقد [illegible] هذه الأفكار [illegible] اخترت الإسلام [illegible] القومي واستبدلته كمحرك تاريخي [illegible] المحرك القومي [illegible] الأفكار [illegible] فكرة [illegible] «الإسلام [illegible] مكونات القومية [illegible] وحدة الأمة [illegible] «الإسلام [illegible] الصرف» [illegible] الأخرى في [illegible] «توحيد»، فكتب [illegible] في سنوات ١٩٥٠، ١٩٥٥، ١٩٥٧م [illegible] الإسلام [illegible] «ناحية [illegible]» بدعوى أنها عامل «تفريق لا توحيد» [illegible] الإسلام [illegible] حكم الكنيسة في العصور الأوربية الوسطى والمظلمة

١٠٩ عن العروبة والإسلام (٤)

في حقبة خمسينيات القرن العشرين، كتب ميشيل عفلق، داعيًا إلى استبدال القومية بالدين والاقتصار من الدين الإسلامي على تراثه الموحد لثقافة الأمة لأن هذا هو الإسهام الإسلامي في القومية التي غابت الصورة العصرية للرسالة الخالدة للأمة العربية. وعن ذلك كتب فقال: «إن البعث العربي حركة قومية تتوجه إلى العرب كافة على اختلاف أديانهم ومذاهبهم وتقدس حرية الاعتقاد وتنظر إلى الأديان نظرة متساوية في التقديس والاحترام ولكنها ترى إلى جانب ذلك في الإسلام ناحية قومية لها مكانتها الخطيرة في تكوين التاريخ العربي والقومية العربية، وتعتبر هذه الناحية ذات صلة وثيقة بتراث العرب الروحي وبمميزات عبقريتهم. فالإسلام من حيث هو دين صرف مساو لغيره من الأديان في الدولة العربية التي تساوي بين جميع مواطنيها وتحترم حرية معتقدهم. والإسلام من حيث هو حركة روحية مترجمة بتاريخ العرب واصطبغت بعبقريتهم وأتاحت ظهور نهضتهم الكبرى - له مكانة خاصة في روح القومية العربية وثقافتها وحركة انبعاثها. وبهذا المعنى تستلهم حركة البعث العربي من الإسلام تجدده وثورته على القيم الاصطلاحية. تستقي من نبعه قصائد الإيمان والمثالية والتجرد عن المنافع الشخصية والمغريات الدنيوية في سبيل نشر المبادئ التي تنقذ العرب في هذا العصر من ضعفهم وتفككهم وانخفاض مستواهم الروحي والاجتماعي».

فموقف عفلق هنا من الإسلام موقف انتقائي يأخذ منه فقط «الناحية القومية»، دون غيرها من نواحيه التي تعطي جميع المبادئ.

وهذه الناحية القومية من الإسلام والتي هي من مكونات العروبة ومتضمنة فيها، هي «عامل التوحيد القومي» في الإسلام - بينما في رأي عفلق

تكون «المواطن الدنيا» وكذلك «العالمية غير العربية» هي عوامل «تفريق» لا توحيد «فالإسلام الذي هو أقرب ما يكون إلى الواقع وإلى الماضي وإلى المستقبل هو العروبة، وما خلا الإسلام فمنحط مع عدم حل يصطدم مع العلم ويصبح في الغرفة المظلمة وسط مجتمعات عربية تتطلع بها لا سيما أمام الغرب هي وسط بعالم الإسلامي ان أحب الأقليات العنصرية مدينة ثم تعرض الإسلامي نجدها كثيرة. فالعرب اليوم لا يريدون تكون موضع سخرية لأن ... هو ولبس هو ان يتعلامة بل هو على العكس قد يعرض بين حوم التوحد وقد يثور ... حتى لو لم يكن هناك فرقة ... بين الأمة منعصبة وغير واعية والدولة الدينية التي كانت تجربة في الغرب لوسطى انتهت بالفشل وكلفت تضحيات كثيرة من الجهد ومن الدماء ومن الاضطهاد وحتى نقرب في أوقات متقاربة في البلاد الإسلامية وفي أوربا المسيحية.

هكذا وعلى هذا النحو رأى مبشر عفيف طيبة «الإسلام والعروبة في مرحلة الخمسينات من القرن العشرين» فرغم تعصبه للإسلام ... يعتبره الا ... ه قد عد فقط إلى استيهام الإسلام «ثورة لإسلام الحضارة الإسلام التراث لأن هذا الجانب من الإسلام هو المحركة العربية التي تصحح عن عبقرية الأمة ورسالتها الخالدة ... ي عن بروعها واستعدادها الدائم لتجدد الصحيح عن هذه الرسالة في «صورة سلامية» ولأن هذا «الجانب الثوري من الإسلام قد عن مكون قومي في تومية العربية وتتصف في العروبة التي هي صورة العصرية لرسالة الأمة، معبرة عن عبقريتها وتحرك لأمر والوحدة، في عصرنا، للعرب كي ينهضوا لأداء رسالتهم الخالدة». وأحب لا هذا «الجانب القومي» في الإسلام هو «عامل التوحيد» للأمة، بينما ... في رأي عفيف – يمثل «الإسلام الذي نصرف» عامل تفريق بين العرب أنفسهم، وبين العرب وغيرهم من القوميات التي اعتنقت الإسلام.

تلك هي صورة الإسلام وعلاقته والعروبة في المشروع النهضوي لعفيف منذ الأربعينيات وحتى منتصف السبعينيات.

وأصبح هذه هي الصورة التي وقف عندها قراؤه ورواده من القوميين والإسلاميين على السواء ... من بهذه هي صورة الإسلام وعبقريته التي ستعرب في مجمل الفكر البعثي الحركي بوجه عام.

١١٠ عن العروبة والإسلام (٥)

[illegible] ميشيل عفلق بالعراق في منتصف [illegible] العشرين وتحرر من [illegible] وحساسيته [illegible] في مشروعه الفكري [illegible] الحديث بتوسع عن الإسلام [illegible] الأضواء على [illegible] والمصيري [illegible] الإسلام [illegible] الفكرية [illegible] خصوصية العلاقة بين الإسلام والعروبة [illegible] في تمييز صيغة البعث عن [illegible] في ساحة الفكر والسياسة العربية في عقد الأربعينيات [illegible] صيغ «القومية المجردة من الدين» كرد فعل ضد الدولة العثمانية أو تقليداً للقوميات العربية اللادينية [illegible] من ليبرالية أو ماركسية مادية.

[illegible] على أن هذه [illegible] الإسلام [illegible] في المشروع [illegible] من [illegible] وإلى جانب [illegible] في كتاباته وخطبه ومحاضراته في مدارس الإعداد الحزبي [illegible] الأحيان البعثية [illegible] ضرورة بذل المزيد من العناية [illegible] وتطوير الرؤية [illegible] لهذه المنطلقات.

[illegible] على دور الإسلام في تحديد الاختيار [illegible] عن الخيارات الأخرى التي أهملت الإسلام أو [illegible] بين الإسلام [illegible] والإسلام [illegible] من الإسلام [illegible] الإسلام [illegible] يطور فكره [illegible] هذه القضية [illegible] من كتاباته [illegible] «الإسلام الدين الصرف» بأنه مفرق للأمة، وليس جامعاً لها [illegible] عقائدها الدينية.

وحد يوكد أن نظرية العرب الإسلامية فيها سيء معنوي وحد اكتسبته من الاسلام الذي تميزت به عن مجموع الامم الاخرى وعلى داخل نفسه و« لارض» في نزعة الأمة وثوريتها وخصوصيتها ورد فيها الانسانية ففي ذلك كله مشروع النظرية في السموية من وطلع برحى رحمة الفضل «ان الامة العربية لا تستطيب شيئاً أقل من الوحي الإلهي بشيء السماوي»

وبعد أن كان الإسلام عنده مجرد مكوّن من مكونات القومية وترنا روحية بعدها وهو متضمن فيها اصبح الاسلام في كتاباته الاخيرة لا يشرعي بقومية العربية و العروبة ولكنه عنده ومتميزة

وبعد أن كان الإسلام عنده فيما قبل «مرحلة الحضارة» مجرد «مفصح» عن عبقرية الأمة ورسالتها التي هي سابقة عنه ومنبعثة عنه – ورائحة معه وبعده – عدا الإسلام في كتاباته لأخيرة كل شيء.. فهو العروبة وهو الوطن وهو نقائه وهو القومية وهو الحرية وهو الحضارة وهو اقص شيء في العروبة

وبعد ان كان حبه للإسلام تابعا من حبه لأمة العربية عدا الحب «الإسلام» واصبح الحب للعرب تابعا من انهم امة الإسلام

لقد كانت العروبة ولا في فكر عفيف قديم وهي في حد ذاتها مجرد الاسلام كمجرد وحدة لنهوض فلما اقترب برحى الاسلام كثر واكثر في مرحلة لأخيرة قال « الإسلام اولا»

تلك هي خلفية الوضوح و تصور الذي حدث فكر عفيف عقلي رغم أن لاسلام بحسب وحتم مرجعيته في مشروع عروبي لنهضة لأمة العربية وهذا وضوح وتطور قد سيتبع من ذلك في ما وراء حدود الوعي بالعربي و لأمة العربية فاختفت نظرية السنية بعلاقة لأمة بعربية و مستمدة من العروبة وبرز حديثه عن السعوب لإسلامية» وعن بعلاقة المتميزة بين الأمة العربية وهذه الشعوب الاسلامية بل و عن بعد الحوار مع الاسلاميين هذا الحب و بعقل بعد أن كانت عوته بحوار قاصرة على القوميين واليساريين

كل ذلك حدث في فكر منير عفلق بعد عقد لسبعينات مصاحب لتضخم المد لاسلامي و تعاظم شعبية لعربية على وعي بعروبة وبعالم لاسلام وبعد

سبق هذا التطور في فكر مبتنين عقيق قيام الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩م والحرب العراقية - الإيرانية» فبرئ من شبهة المزايدة بشعارات الإسلام

نعم لقد صاحب هذا التطور في اتجاه تبني الإسلام تعاظم مد الصحوة الإسلامية الأمر الذي يوحي بالعلاقة بينهما لكنه سبق الثورة الإيرانية بخمس سنوات

ما نصوص الرجل وعباراته التي كشفت وقدمت هذا التطور تحديدا فإنها تحتاج إلى حديث جديد

١١١ عن العروبة والاسلام (٦)

في سنة ١٩٧٦ [illegible] الأهمية لإلقاء الأضواء على دور الإسلام في [illegible] وعلى [illegible] في التجربة العربية [illegible] والأرض في هذه «التجربة» فكتب [illegible] في نص طويل وهام [illegible] يقول:

«قراءة جديدة للإسلام كشفت لنا عن حقائق [illegible] في [illegible] ونفسيته، [illegible] طريق العمل الثوري [illegible] نفسه تعبيرا عن واقع موضوعي [illegible] تكوين [illegible] اكتشفت الإسلام [illegible] اكتشفت ولا أعني [illegible] الإسلام [illegible] اكتشفت الإسلام كثورة [illegible] ثورية هائلة [illegible] قراءة جديدة [illegible] في سبيلها. وقضية، هي قضية أمة، وقضية إنسانية [illegible] قضية أمة [illegible] إنساني أوسع [illegible] على [illegible] مراجعة [illegible] وتثقيف [illegible] فهو تجربة ثورية [illegible] متداخلة مع الأرض.

ولولا هذا الاكتشاف لما كان مستبعدًا أن يأخذ تفكيرنا [illegible] مخلص لبلده، يريد أن يعمل شيئًا بإحدى الصيغ إما بالتحرر [illegible] وهذه كانت معروفة عند الكثيرين، ولم تكن [illegible] وما صيغة أخرى [illegible] وفيها نزعة تقدمية [illegible] وهي صيغة [illegible] والشيوعية، وفيها النقد للمجتمع والاستغلال [illegible] كل هذا [illegible] عشرات المثقفين العرب في هذا [illegible]

المطلوب فيه [illegible] العقل البشري أو تحالف العصر والقوانين [illegible] ضمن قوانين العقل و[illegible] هذا [illegible] حركة [illegible] خصوصية [illegible] مستوى [illegible] وكونية .. يعطيها اتساعاً وشمولاً

[illegible] الأفكار [illegible] في [illegible] كيفية [illegible]

الأمة العربية [illegible] البشري [illegible] الحضارات الإنسانية الثلاث [illegible]

[illegible] الأمة [illegible] ليس فيه الخلود

[illegible] الأوضاع الإنسانية عامة أي [illegible] بالنسبة للعرب وغيرهم»

هكذا [illegible] سنة ١٩٧٦م يفسح المكان للحديث عن دور الإسلام في [illegible] بالنسبة لفكره القومي والاجتماعي [illegible] من فكره حيال الإسلام وعلاقة العروبة بالإسلام

١١٢ عن العروبة والإسلام (٧)

في سنة ١٩٧٧م عاد ميشيل عفلق فأفسح الحديث عن اكتشاف الإسلام وعن دور الإسلام في تحديد توجهاته الفكرية وعن حجم الإسلام في مرجعية المشروع الحضاري البعثي مبنيا على أن هذه القضية الهامة لم تعط في أدبيات البعث وفكره القدر الواحد لإيضاحها وتطويرها فكتب عن الموقف من «التراث والإسلام» يقول:

«لقد كانت اللحظة التاريخية في حياة الثورة العربية المعاصرة إسلامية الاختيار ولم يكن الاختيار بين روح ومادة بل بين مادة مستقلة مستطرة ومادة نابعة من الروح ونابعة لها والروح في تفكيرنا ليست شيئا غيبيا ولا سحريا يناقض منهجنا العلمي وإنما هي الوعي وهي الإرادة والأخلاق وكل النزعات التي تشدنا إلى الخير والحق والتضحية والبطولة وهي الإيمان بالحقيقة والعدالة والحرية.

وقد كان الموقف من التراث القومي وعلاقته بمرحلة الانبعاث القومي المعاصرة معبرا عن أحد الاختبارات الكبرى للفكر المعاصر وقد قام من أثر على تصور ثوري للإسلام لذلك لم يكن غريبا أن يعود الفرد بين الحين والآخر ليؤكد منطلقاته الأساسية التي لم تعط الاهتمام الذي يستحقه ولم يستخرج منها كل الغير الكامنة فيها كالموقف من التراث والإسلام».

وعندما سئل ميشيل عفلق في مدرسة الأعلام الحربي عقب إحدى محاضراته عن نطاق حديثه حول صلة العروبة بالإسلام هل هو النطاق التراثي الذي يحيي فيه صلة ذكريات أم أنها هذه الصلة لا تزال قائمة وحية ومتجددة؟ فإني حاليا لتؤكد دوام وتجدد الصلات بين العروبة النسبية وبين الإسلام المطلق على النحو الذي يميز عروبتنا عن غيرها من القوميات. لقد سئل

توكدون [illegible] استمرار صلة العروبة [illegible] بالإسلام فهل هي صلة [illegible] أو متدنية؟ أو تجديد؟

فكان جوابه «الصلة» كما نراها ونؤمن بها، هي صلة عضوية بين العروبة والإسلام، لا يمكن أن تنفصم، صلة تاريخ، وهي مستمرة منذ القدم، حية لا تموت، وهي أيضا صلة تجديد. أي إننا لنفهم ثوري للإسلام، ونرى أيضًا ونعتقد بأن [illegible]

الأمة عندما تنهض [illegible] في طور الإبداع، إنها تنهض وتبدع في كل [illegible] والحياة الروحية في الإنسان لها أهميتها الكبيرة

[illegible]

[illegible] الإسلام ما لم ينس لأي أمة أخرى أن تعرفه .. عرفت تجربة [illegible] من هذه الذكريات في نفس كل عربي حتى الآن، وسنبقى ذلك [illegible] نحن كعرب، عندنا هذا الرصيد الروحي [illegible]

[illegible] المطلق، أي من الضوابط الأخلاقية الرفيعة»

١١٣ عن العروبة والإسلام (٨)

لا نغالي إذا قلنا إن المرحلة الأخيرة من فكر ميشيل عفلق - مرحلة الحقبة العراقية التي تحرر فيها من العمل الحزبي ومشكلاته ومقتضياته - قد شهدت تطورا قارب الانقلاب في رؤيته لعلاقة العروبة بالإسلام، وهذه حقيقة أهملت فلم يدرسها القوميون والإسلاميون على حد سواء!

فبعد أن كان الرجل يرى في الإسلام الحضاري مجرد ثمرة ونتيجة أفصحت عن عبقرية الأمة العربية وعبرت عن رسالتها الخالدة وبروعها واستعدادها للعطاء المتجدد وتحقيق الذات في مرحلة تاريخية بعينها، ولقد حلت القومية - باعتبارها المفصح عن رسالة الأمة وعبقريتها - محل الإسلام في العصر الحديث، فهي - أي القومية - المحرك المعاصر للثورة والنهضة وليس الإسلام، بعد أن كان يرى ذلك قبل سبعينيات القرن العشرين وصل تطوره الفكري إلى أقصى هذه المعادلة فتحدث عن الإسلام الحضاري باعتباره «المكون للأمة» وقال: «فالشعب العربي شعب واسع رحب لا تكتنفه العقد وهو منفتح متسامح مستقر على أرضه غير مشرد وغير بابه مؤمن بالمستقبل وواثق بهذا المستقبل مهما حدث، فهو إنساني بعقيدته وبتكوينه أيضا وبامتداد رقعة وطنه».

وكل هذا الذي اكتسبه الشعب العربي، وتميزت به الأمة العربية هو من ثمرات الإسلام وبفضله، وبعبارات ميشيل عفلق: «إذا بدون الإسلام كان يمكن لهذا الشعب العربي أن يبقى بعقلية قبلية».

ورغم سبق العروبة للإسلام في الزمان، فإن النهضة العربية الأولى التي اقترنت برسالة الإسلام الرسمية هي التي كونتهم كأمة

علامة بعربيه قد عبت في تطور الفكري - عملق شره للإسلام بعد
ك لاسلام في فكره القديم محرر مقصه عن عبقريه هذه لامه

وبعد ال كل لاسلام الحضاري محور مكون من مكونات شخصيه
العربيه وتراثها بحيث يتبين شخصيه العربيه وهو متضمن فيها وهي التي
تعبر عنه بل تقدم صفة عنه لانها هي وحدها تحرك علامة في مشروع
نهضتها معاصرة كما كان هو المحرك لها في نهضتها الاولى اي
ظهور الإسلام

بعد أن كل هذا هو فكر ميشل عفلق وكتاباته هي صناعه علاقة
العروبة والاسلام في الوحدة بفكريه السابقة على عقد مستفيضة اصبح
يتحدث عن الاسلام باعتباره مفهوم و عمق حقيقه في تكوين شخصيه العربية
فهو جوهر العروبة و محور وانبثاق للمشروع حضاري ومحور الهام نهضه
استعاده امه العربية ومستقبلها، وبكي يكون مختلف صحيح سنه اكب
ضروره الدين وبه حاجه ملازمة لنفس لانسانيه التي تبقى عطشا عميقا
ولا تستقيم ولا تدوم جدا وهكذا كان مفهوم لانسانية بشكل اسي
كرهت الحرب عند دانيه في وقت كان الفكر الغربي لاساسي يعزو عقول انسانيه
بعربيه مستغلا ظمأها لانسانية لى التحرر والانعتاق وبني بشوره و عد

ومن أجل قوميتنا، وبكي تكون صحيحة وصادقة ومكتملة الجوانب والأبعاد
الروحية والأخلاقية و تحضرية نصر لى عمق هذه القومية وفي جوهر
والتي تميز عنها فوجب لاسلام اهد وعمق حقيقه في تكوين شخصيه
روحها وافقها الاخلاقي و لإنساني

عد عبر فكر البعث ذلك في وقت سعت فيه لدعوة لى تكوين
القومية والدين وتشابههما وتستغلهما وفي وقت كان فيه لاستركيه
مصروحه كتفيض لقومية وبدور بشوره وانبعاثه تعبيرا لاستقلاليه
والأصالة والتراث الروحي.

قد صنع عفلق بين لإسلام هو الذي يكون اور مقوما اساسيا
العربيه وبنسبه لثورة بعربيه قد هو الذي يكون روحها وقلبها لانسانيه
وأفقها الحضاري .. إنه جوهر العروبة، ومنهم ثورتها الحديثة و ... فإن من
المستحيل ان يحدد لاسلام كمكون عربيه فكرة اد لاقته انتماء ذات أبعاد

[illegible] مركز المحور [illegible] في هذا المشروع الحضاري [illegible] لأمة [illegible]
[illegible] تاريخ عميق ورسالة حضارية إنسانية

هكذا تطور منشيل عفلق – كمفكر قومي [illegible] من الموقع [illegible] الإسلام الحضاري مجرد مكوّن من مكونات القومية العربية [illegible] عن عبقرية الأمة إبان نهضتها الأولى، إلى الموقع [illegible] رأى فيه هذا الإسلام مكون الأمة [illegible] مقومات [illegible] وفقها الحضاري

١١٤ عن العروبة والإسلام (٩)

نحن نقول إن الثقافة العربية إسلامية المحتوى عربية [illegible] إسلامية هذه الثقافة العربية رباط جامع وموحد لكل الأمة على اختلاف شرائعها الدينية.

تلك حقيقة لا يختلف عليها الإسلاميون [illegible] وبعد [illegible] على [illegible] الأرض المشتركة [illegible] الإسلام عنده هو [illegible] على اختلاف أديانهم ومذاهبهم [illegible] هي روح العروبة ومصدر [illegible] بالحب «حب العروبة وحب الإسلام».

وهذا الارتباط بين العروبة والإسلام [illegible] عفيف [illegible] الأمة [illegible] كل شيء [illegible] لكلام [illegible] عفيف هو [illegible] الحياة العربية [illegible] الإسلامية غير العربية [illegible] خدمة الإسلام [illegible] ليس إلا ضرب لمصلحة الإسلام في الصميم.

هذا وفي هذه المرحلة الأخيرة من تطور فكر ميشيل عفيف [illegible] عن الشعوب الإسلامية غير العربية [illegible] القومية العربية «خادمة للإسلام».

ويعلن ميشيل عفيف [illegible] صيغة [illegible] الإسلام الحضاري كمرجع لقوميتنا ومشروعنا الحضاري [illegible] هذه الصيغة في [illegible] موضوعي [illegible] الحضاري [illegible]

العربية فالعرب لا يمكن تصور صبغة العروبة مجردة عن الإسلام كما صبغوا به أنفسهم بصرف النظر عن الخصائص الذاتية والموضوعية الإسلامية والعربية. أما المرحلة التي أعقبت ذلك والتي مست كيان الأمة العربية بعمق، وصراعها الحضاري ضد أعتى، بسبب تبنيها وتحصينها بالإسلام، هي هوية الأمة وسلاحها الحضاري في هذا الصراع. ومن ثم كان لها دور هام ومكانة مرجعية في هذا المشروع القومي الجديد. وفي ذلك يقول مالك بن نبي: "حركة بعث وجدت في فترة تاريخية فاصلة بين مرحلة استعمار أعراضها ومرحلة مصطرعة جمعة وراءها استعمار في صدد

المرحلة التي استنفدت أغراضها كانت مرحلة الاستعمار الغربي للعالم ولتي اقتضاها الصراع لتحرري ضد الهيمنة الغربية. وقد كان المحتوى الرمز للإسلام في كل قومية إسلامية مهيمنة، ومستمر حتى يومنا هذا، رالت الظروف التي استوجبت ذلك

وسنحت ظروف هيمنة الاستعمار الغربي على الأقطار العربية هذه الفرصة التي عادت لتجد الجزائر إلى نفسها حين اعتبر الإسلام والعروبة في تقوقعها الغربي بصورة المرجعية الخصائصية مع الاستعمار الغربي الجديد ولذلك فهي تعتبر الإسلام وسيلة نظرية مساندة للإسلام كثورة عربية إنسانية حضارية قائمة للتجدد والانبعاث في كل مرحلة تاريخية مصيرية من حياة الأمة العربية

وهكذا بدأ طريق المستقبل العربي يزداد وضوحاً فهو لا يبدأ من خلال البعد الواحد للعالم وبكل مفاهيمه الغربية التي تحاصره به، بل الإسلام بالمفهوم العربي لجوهره الإنساني وبعده الحضاري الذي يجعل من الممكن أن يكون الإسلام بمفهومه الثوري، مصدر إلهامه

هكذا حدد مالك بعمق الظرف الموضوعي الذي استدعى مرجعية الإسلام في المشروع الحضاري القومي بعد أن تحدد عند عروبة الصراع الجزائري التحرري. وفي هذا الظرف كان الصراع الحضاري ضد الغزو الاستعماري وبين الأمة العربية هو الأساس. وكان الإسلام في تركيبته التاريخية

وإذا كانت هذه الحقيقة التي سار عليها مالك بن نبي حقيقة ساطعة بالنسبة للدور المرجعي للإسلام في المشروع الحضاري القومي الجزائري، فإنها بالنسبة للأمة العربية

كامل الإسلام إلى مرجعية المشروع القومي؟

١١٥ عن العروبة والإسلام (١٠)

في المرحلة الأولى من الحياة الفكرية [illegible] الإسلام [illegible] عن المشروع القومي [illegible] التراث [illegible] الثقافة القومية للأمة [illegible] القومية [illegible] في عصرنا [illegible] عن عبقرية الأمة [illegible] ووجود الإسلام في المشروع القومي لا يعدو أن يكون في حيز مكوّن من مكونات القومية العربية.

[illegible] في المرحلة الأخيرة [illegible] الإسلام [illegible] الدين والقومية والوطن والوطنية والثقافة القومية [illegible] العروبة والحضارة والحرية.

[illegible] العروبة والإسلام [illegible] الإسلام [illegible] الإسلام [illegible] الإسلام [illegible] الإسلام.

ولأن كثيرين - من القوميين والإسلاميين - يدهشون [illegible] الرجل في سنة ١٩٨٣م وسنة ١٩٨٤م وسنة ١٩٨٦م

«وعندما أقول عروبة، يعرفون بأنني أقول: الإسلام أيضًا لا بل أولا

[illegible] الإسلام [illegible] الإسلام هو الذي [illegible]

[illegible]

[illegible] في العروبة بعينها، والعروبة هي الإسلام في جوهره

[illegible]

ورفع لوائه وتحسين قيمه في نهضتهم الحديثة

[illegible] الإسلام لا تتعارض مع [illegible] الحقائق وتشرق [illegible]

ونعتقد أن أية أمة من الأمم معرضة لأن تحتاج إلى [illegible] الأمة العربية التي [illegible] الإسلام في [illegible] شخصيتها [illegible] الإسلام [illegible] إليها هو دين، وقومية، وحضارة، وهل يستطيع شعب [illegible] شخصيته ويتمرد على قوميته، ويتنكر لحضارته؟

ولئن وجدت شعوب تنشد الحرية بالانعتاق من الدين فالأمة العربية تجد حريتها في الفهم المتجدد للإسلام ولذلك فإن الدفاع عن الإسلام هو مهمة القوميين الذين يريدون أن تبقى للأمة العربية سبب وجيه للبقاء.

إن الإسلام هو وطن الأمة العربية الروحي والمادي بكل ما تحمل كلمة وطن من معاني حب الأرض والأهل وحب اللغة والتاريخ.

هكذا تحدث مفسر عميق عن الإسلام وأبوته للعروبة والأمة والوطن والوطنية والحضارة والهوية والتاريخ. وتلك هي نصوص عبارته تصدر إعادة القراءة والفهم والعدالة في التقويم!

حياته الفكرية في هذه العلاقة عدم «تفويق»

لما كان بهذه الامه مبرر لبقاء

علمانية مصرية ... [illegible]

القومي ... [illegible]

هكذا ... [illegible] مفكري ومثقفي ... [illegible]

... [illegible] علاقة ... بالإسلام ... [illegible] والتأسيس

[illegible]

القوميين والإسلاميين في البلاد العربية ... [illegible]

[illegible]

بها إلى الشام نفر من مثقفي الموارنة المتغربين العلمانيين

هذه الحصيلة الفكرية التي ... [illegible]

مفكري ... القومي - للمثقف ... جديرة بأن تكون موضوعًا للدرس والحوار بين

القوميين والإسلاميين على حد سواء ... فيها ... وقواعد لكلمة السواء ... [illegible]

[illegible] ... الأمة ... [illegible]

وعالم الإسلام

١١٧ عن العروبة والإسلام (١٢)

الإسلام دين الفطرة، والفطرة الإنسانية تشهد على تعدد وتدرج دوائر الانتماء والولاء لدى الإنسان، فللإنسان ولاء وانتماء إلى أهله وعشيرته لا يتناقض مع ولائه وانتمائه إلى شعبه، وهاتان الدائرتان لا تناقض بينهما وبين ولاء الإنسان وانتمائه إلى قومه الذين يتكلم وإياهم لغته القومية، ثم إن كل هذه الدوائر لا تتناقض مع الانتماء إلى الدائرة الأعظم وهي الدائرة العقدية والحضارية، دائرة الجامعة الإسلامية، والانتماء إلى الإسلام. وأخيرا فهذا الإنسان الجامع لدوائر الانتماء الأهلي والوطني والقومي والإسلامي هو في النهاية جزء من الدائرة الإنسانية بحكم الخلق الإلهي للناس من نفس واحدة، وبحكم ما بين الأمم والحضارات من مشترك إنساني في المنافع والقيم والعلوم والأفكار.

تلك هي الفطرة الإنسانية السوية التي اعتمدها الإسلام في دوائر الانتماء، فعاشت الأمة الإسلامية مختلطا يختصين حرز الأقاليم والأوطان والأجناس والقوميات، دونما تناقض بين هذه الانتماءات الفرعية وبين الانتماء الأول إلى جامعة وأمة الإسلام.

لكن غزو المفاهيم الغربية – ذات الطابع العنصري والعلماني – المصطلحات الوطنية والقومية، وخاصة بعد سقوط الخلافة والدولة الإسلامية الجامعة سنة ١٩٢٤م، طرح في الساحة الفكرية مفاهيم توهم التناقض بين هذه الدوائر في الانتماء، فعرفت بلادنا دعوات وطنية تسوي بين العروبة والإسلامية وبين الاستعمار، ودعوات قومية تدير ظهرها للدائرة الإسلامية، وبعض من شأن الانتماء الوطني، الأمر الذي أوجد مشكلات فكرية طارئة في المفاهيم الإسلامية في ميدان الانتماء.

غير أن الدعوات الإسلامية التي قامت عقب سقوط الخلافة وزعماء الإصلاح الإسلامي صبوا على رؤوسهم بهذا الموقف الإسلامي الجامع غير هذه الأوساط المنحرفة والمتزحلقة وامتد خطه في سلم الانتماء

فمن تلاميذ الشيخ محمد عبده [١٣٥٧هـ ١٩٣٨م] الشيخ السيد حسين عفيفي [١٣٢٤ ١٣٦٨هـ = ١٩٠٦ ١٩٤٩م] فقد كتب مشروع ميثاق الجامعة في هذه الوحي بالدار الوحدة الإسلامية أي الوطنية الوحدة العربية والوحدة الإسلامية ثم ينطق الألسنة بتحريره بينها وليشرع لتعضيد أو البعض الآخر في موقف الإخوة من الإسلام والمسلمين

إن الإخوان المسلمين يحترمون جنسيتهم الخاصة ويعتزون بها ويدينون بالشعوب ويعيشون ولاءهم لها ويعملون كل شيء لوطنهم ويعدونه في العمل على سيادته ثم هم بعد ذلك يؤمنون بالوحدة العربية ويعملون لها ويعتقدون الجامعة في الشعوب ثم هم يعتبرون الجامعة الإسلامية ويعتزون بها لكن فوق الوطن الإسلامي العام، وبعد أن قلت هذا إن الإخوان المسلمين يحبون العالم كله فهم يؤمنون بالوحدة العالمية لأن هذا هو مرمى الإسلام وهدفه ومعنى قوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء ١٠٧]

وبعد أن ساق الأستاذ البنا على رحمه الله الحجج الإسلامية والتاريخية والمنطقية لدعمه لهذا الموقف، ختم حديثه فقال «وأنا في غنى بعد هذا عن أن أقول إنه لا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار وبين كل منها من الدوائر الأخرى ويحقق كل منها ما أراد أقوام أن يتحدوا لتحقيقه بالنسبة لوطنه [الوطنية] فلا خوف منها ولا تعارض معها ولعل هذا هو الفارق بيننا وبين كثير من الناس»

وكان نفس الاتجاه في جريدة الفتح حين تبنى موقف الأخوان هذه القضية كان الأستاذ الشيخ محمد بن إدريس [١٣٠٥ ١٣٥٩هـ ١٨٨٠ ١٩٤٠م] رئيس جمعية العلماء المشهور في الجزائر - تكلم بعبارة وطنية حرة قوية «والإسلام فيتحدث عن صفحاته الناصعة ويتغنى العرب برسالة الإسلام العامة كما يتغنى رسوله بالعرب ولغتهم ويؤثر العرب برسالة الإسلام العامة كما اختار لها العرب للرسالة العامة وكما اختارهم للنهوض بأعبائها لما فيهم بكل أجناسهم من هذه الاستعداد

[illegible]
ابدا بهذه النهضة العالمية مهما اتسعت افاقها وزخرت علومها.

فترى ابن باديس لا يجمع فقط بين الانتماء العربي والانتماء الإسلامي، [illegible] في المحيط الإسلامي [illegible] لا عصبية عرقية [illegible] العرب برسالة الإسلام إلى العالمين

وهذا هو نفس موقف الإمام الشهيد حسن البنا الذي تحدث عن هذه القضية [illegible] مكانة العرب والعروبة في الإسلام - فقال: إن هذا الإسلام نشأ عربياً، ووصل [illegible] الأمم عن طريق العرب [illegible] كتاب الكريم [illegible] عربي [illegible] الأمم [illegible] الإسلام [illegible] العرب [illegible] عصبية الإسلام وحراسته. ومن هنا كانت وحدة العرب أمراً لابد منه لإعادة مجد الإسلام [illegible]

بل لقد كتب [illegible] عنوانه «محمد - صلى الله عليه وسلم - رجل القومية العربية». قال فيه [illegible] رسول الإنسانية، ورجل القومية العربية، الذي يهتدي [illegible]

هذا هو موقف المشروع الإسلامي من قضية [illegible] في سلم الانتماء

فى المشروع الحضارى الإسلامى (١)

على مدار وصل لأمة الاسلامية من عمره في قرنه وهو خاص بغير لقد في حتوى حد لاسوء وفي موص الاقليم الاسلامية مرة ا لاسلام ا نظر ساحث منصف الى صوهر وحركار ومشروع نهضه و تعثر والاصلاح فسيجد صاهرة الصحوه لاسلامية ومشروعه حصري اقوى واحطر واكبر و عمق صوهر ومسرعه حصر ندى يعتز فيه يسعى في د انقسم اد حثون حوبون و شاوبون بهذا لمشروع

و لحقيقه ندنيه ني ر نعب عنه حلاف بين لمحقين وداس حركات وتيار ت هدد لصحوه لاسلامية هي لابوه و لامه وابوه . فالبي سنهم لأد د الشهيد حسن سا [١٣٢٤ ١٣٦٨ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩م] نلسبة نهد اند هره بكبرى البي تمثل امر النهضة ندى لاسلامين و نعمو منصف لاعد الإسلاميين

د لحقيقه ندنيه في هذا نعام فهي ن نوده صاه وريد د حسن البنا هد لإحيء لاسلامي المعاصر نه نصر الحقيقه لمقصوده في سنه لأحياء لاسلامي الحديث نبيا ه هنه مسنده في ، كم و نكف وشم مصر منصور بمرحلة نشد و ، البنوي البي نعمل في حركة د معة لاسلامية في رئاد عدنها ورفه علاقها نم لاحياء إسلامي في لعصر لحديث حمد الدين لافغا ني [١٢٥٤ ١٣١٤ هـ = ١٨٣٨ ١٨٩٧ م و ندى لك لامام محمد عده [١٢٦٦ ١٣٢٣هـ = ١٨٤٩ ١٩٠٥م] اسيدس لاو. لحديث هفكرين كما مثل بشيخ محمد رسد رضا [١٢٨٢ ١٣٥٤هـ ١٨٦٥ ١٩٣٥م] لامتداد ندى حمل فكرف عبر محله الحدر إلى العالم عبى عتب. ربعض عا نم سم صاحبه بي حسن البنا ندى نقل نهد بي هذا نكفه

معاصر الذي يعتبر فيه بعد المشروع الحضاري الإسلامي على أنه الأفغاني حركة تجديد واجتهاد وجاء بتسهيل تحرير العقل المسلم، بواجهه وتحذيره مخلفات العصور عن حقيقة المرجع الحضاري لسلوكه "بمقتضياته" وتشكل من مواجهة التحدي الحضاري الاستعماري الغربي فتحتم حينها الفكرة وواقعت الإسلامي على ركاب العروة الاستعمارية الجديدة ويعبارة محمد عبده فلقد "وجه الأفغاني عنايته نحو عقد الأوهام عن فوائد العقول" ... ب مقصده الأساسي "فهو تقاص دولة سلامية من ضعفها وتسهيم تقدم على شؤونها حتى تحتل أمامه الأمم الغربية، وتبوأ بالدين مكانه الذي للإسلام شأنه وبالدين الحنيفي مجده".

وفي هذا المشروع الحضاري ربط محمد عبده على تعدد الفكر وجاهد في سبيل تحرير عطيته حتى جعلته جهاده التهيئة لأعظم فكر هذا المشروع وتعبيرته هو الذي تحدث فيه عن "نهضة فكرية التي ربط عبقه محمد ومجتهد ومجاهد" يكون قد رفع صوتي الدعوة إلى مرين عظيمين

الأول تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلفه الأمة في عهود الخلاف والخروج في كل معرفة من تبعيتها الأولى وتحرير من سلطان موروث العقل البشري الذي وصفه به "يعود من شخصه" ... تحكمه في حفظ نظام العلم الإنساني وآلته على هذا الوجه بعد صدمة العلم وغلبته على البحث في أسراره لكون وعد الله الحق الذي تكفل بحفظ كتابه "وتشويه عنه في دين النفس وصلاح العمل كل هذه أمور واحدا وقد جاهد في سبيله أبيه رأى تلميذه يعطشون نفس يتركب منهجهم فهم الأمة صلاح عهد الأول ومن شاكلهم، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم

أما الأمر الثاني فهو إصلاح ... بيد الأمة لغربية في التحرير

وعلى امتداد ما يقرب من أربعين عامًا [١٣١٥ هـ = ١٨٩٨ - ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥م] كتب مدرسة المنار في ذروة أصبح محمد رشيد رضا هو ترجمان هذا الدور الأعظم الذي شخصيته التي وضع أسس وسعى لمشروع الحضاري الإسلامي والتي كون "تعبير الفكر الصحوة الإسلامية الحديثة ... الذي يمثل في الصفوة والعامة من أبناء الأمة الذين اخترقتهم موكبة وحدة في نصيبه ثم ما من حرب وطني حر الذي كون الأمة في

سبعينيات القرن التاسع عشر بمصر، إلى «العروة الوثقى» التي كونها الأفغاني ومحمد عبده في ثمانينيات ذلك القرن، تنضم إسلامياً ممتداً من الهند إلى المغرب، وحتى أم القرى الذي أقامه عبد الرحمن الكواكبي (١٢٧٠ - ١٣٢٠هـ / ١٨٥٤ - ١٩٠٢م) لدراسة وإزالة أسباب الفتور في أمة الإسلام.

ففي هذه الحقبة تكون العقل، تنتشر اليقظة الإسلامية الحديثة، وتتبورت معالم المشروع الحضاري الإسلامي الذي تقدم البديل الإسلامي للنهوض بديلاً عن المشروع الغربي الذي كان قد بدأ التبشير به نفر من المثقفين، عليهم من غير المسلمين الذين صنعهم الاستعمار، على عينه في مدارس إرساليات التبشير. تبورت معالم مشروع «الإصلاح بالإسلام» الذي عبرت عن تميزه كلمات محمد عبده التي قال فيها: «أنفس المبشرين شرير الانقياد إلى الدين حتى صار صنعاً فيها، فكل من طلب إصلاحها من غير طريق الدين فقد بذر بذراً غير صالح لتربته التي أودعه فيها، فلا تنبت، وتضيع تعبه، وتخفق سعيه». فسبيل الإصلاح في المسلمين هو الإسلام.

فى المشروع الحضارى الإسلامى (٢)

فى أوائل القرن العشرين، حذر الإمام محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] من عدة مشاريع الغرب مع «الأتراك» لهدم الشعبين هما قوى سعوب الإسلام ولأن الغرب وقف لهما بالمرصاد وهبت عوبهما فى المشروع الحضارى وتبنى الغرب، فاستولى على الأرنؤط وعلى اصعفهما فتكون النتيجة ضعف الإسلام، وهذه الصورة على حدته

وبعد خمسة عشر عامًا من هذا «التحذير» ستولد فكرة «تحضير» وبدأ عموم المسلمين يحلم على يد الزعيم الإسلامى الشريف حسين بن على [١٢٧٢ - ١٣٥٠ هـ = ١٨٥٦ - ١٩٣١م] تثور على الدولة العثمانية [١٣٣٤ هـ = ١٩١٦م] استخدمته القوى الأجنبية مدفوعًا بالغرور بالحرية فضحى فى حساب فكرة الإسلام الكبرى الفكرة التى قضى على تقدم الغرب تعقيدها وتسكن فكرة القومية التى عرفوها [١٣٣٤ هـ = ١٩١٦م] لتقسيم تركة الدولة العثمانية فى الحلف الاستعمارى الغربى وبعد سفور [١٣٣٥هـ = ١٩١٧م] بدأت الكشف الصهيونى قاعدة عربية على أرض فلسطين واحتل الجنرال «اللنبى» دمشق وقال قائدهم «جورو» أمام قبر صلاح الدين الأيوبى بدمشق «ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين» بعد أن احتل الإنجليز فلسطين، وقال قائدهم «اللنبى» عندما دخل القدس «اليوم انتهت الحروب الصليبية» بشر بعض المسلمين الجنرال «اللنبى» بأنه سيكون صلاح الدين الأيوبى وهو يقول فى الرسم - «الآن، تحقق حلمى»

وبعد أن فرغت يد الاستعمار الغربى على أوصال الدولة العثمانية فى فترة الاستعمار المباشر [١٣٤٢هـ = ١٩٢٤م] وعلى رموزه وتكسر وعلوف الأزهر فى ضربة الإسلام بعض المسلمين التى قد

صدق منار بقصته الإسلامية بقرية حصن البرى الأقصى [١٢٥٤ - ١٣١٥هـ = ١٨٣٨ - ١٨٩٧م] وحد صنهم محمد عبده وتيار الإحياء والإصلاح الإسلامي لأكثر من نصف قرن من الزمان

ن بعد حدث ما شهه خطر من خلال الأرض والعرض والدين والوحدة والتصور العربي حيث الاجتراء الفكري والثقافي والغزو الفكري الغربي والتنصير وبدء صوت التغريب على لسان نفر من أبناء الأمة يبشرون بخلاص لن يتحقق إلا عبر تبني مشروع الحضاري الغربي بخيره وشره بحلوه ومره بما يحب منه وما يكره بما يحمد فيه وما يعاب ووفق عبارة الدكتور محمد حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٨٩ - ١٩٧٣م] وذلك بدعوى أن عصر يوناني هو العقل الأوربي كله كذلك عندهم وهو الليبرالي يوناني ثم يعبر الإسلام بالعقل اليوناني كما أن الإنجيل لم يعبر عن يونانية العقل الأوربي فالقرآن ليس أكثر من مصدق للإنجيل!

ورغم دعوة التغريب اللساني الشيخ علي عبد الرازق [١٣٠٥ - ١٣٨٦هـ = ١٨٨٧ - ١٩٦٦م] أن الإسلام دين لا دولة ورسالة لا حكم ورسول الإسلام لم يقم دولة، ولم يؤسس ملكًا ولم يسس مجتمعا ولم يقرر وحدة سياسية ولا كان يحلم في لرسالته بملك بل دعوته انتهت بموته وانتهى عمله بالتبليغ والدين!

ودعوة التغريب اللساني طه حسين في كتاب [في الشعر الجاهلي] أن للموسيقا الموضوعات ونظم الأنصاب يخصص القرآن الكريم ووقائعه التي وردت فيه كل الباحثين اعتبارها منهجه التاريخي لا يتسع مجال للشك في هذه القصص والتاريخ القرآني

ودعا التغريب اللساني سلامة موسى [١٣٠٥ - ١٣٧٧ هـ = ١٨٨٨ - ١٩٥٨م] إلى الروح من الشرق والانتماء للتغريب وتبني الحضارة الغربية بكل ما تعنيه من العلمانية والمادية والتغريب حتى في اللغة ليس اللغة يساعد على حسن التفكير والإبداع! ولأن الرابطة الشرعية الإسلامية كانت سجاجه فإن الرابطة الدينية وقحة لا تليق بأبناء القرن العشرين

نعم حدث هذا الاجتراء، وصدرت الكتب التغريبية التي كتبها عرب ومسلمون خدمة لهذه «الأفكار» ومثلها، التغريب علمانية الفكر الغربي في

[illegible] العشرين، الأمر الذي [illegible]

[illegible]

[illegible] عسكرية [illegible]

[illegible]

[illegible] الإسلامية [illegible] الفكر [illegible]

[illegible]

وجدان المسلمين.

[illegible]

[illegible] الإسلامية [illegible]

[illegible] [البقرة ٢٥١] [illegible] العسكري

والاحتساب على مدى [illegible] السلطة الإسلامية و[illegible] الإسلامي [illegible] مرحلة

«الصفوة» إلى مرحلة «الجماهير».

١٢٠ في المشروع الحضاري الاسلامي (٣)

[illegible] الإسلام [illegible] هي [illegible] وجماهيرها

[illegible] الإسلام [illegible] الإسلام [illegible] الأولى [illegible] على الاستشراق والمستشرقين [illegible] عرب ومسلمون [illegible] الإسلامي بغرائز وملكات وقوى المقاومة في الأمة

ففي [١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م] [illegible] لعاملين بالكتاب والسنة

وفي [illegible] [١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م] [illegible] مثلث «التطور النوعي لإنجاز الشيخ حسن البنا» [١٣٢٤ - ١٣٦٨هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩م] [illegible] «العروة الوثقى» وحتى «الشبان المسلمين» إلى الدائرة التي تشترك فيها [illegible] في مواجهة التحديات

يعتبر [illegible] نصف قرن مضى من عمر الصحوة الإسلامية وحركة الجماعة الإسلامية تأسست بمشروع لنهضة الإسلامية وتكوين الجيل الذي يحمل هذا المشروع وهدفه تصدر والآخرة للحصول من الداخل كل الأمة على نهوض وتكوين وتنمية حتى تهيأ لها [illegible] فكل الأخبار التي تحكي الجد الذي في سياق الاحياء الإسلامي الانتشار [illegible] يتأسس بمشروع النهضة الإسلامي الى مفهوم أكثر وضوح وأكثر تفصيلاً حتى للقارئ بها هو برنامج المفهوم الجماهير والالتفاف العظيم حوله لرسالة عن قدر الصحوة [illegible] كما كان الحال في جماعة العروة الوثقى بين الجماهير كما نحس في «جماعة الإخوان المسلمين»

تلك هي الجماعة التي تحمل اسم [illegible] ورائدها المفكر عوني الأصالة الكبيرة لأنجاده في سياق [illegible] حركة ومشروع لاحياء الإسلامي بحيث وتلك هي عظمته الخالدة في ظاهره الصحوة الإسلامية المعاصرة

وإذا كان العلم لا ينسى جهد [illegible] مفكر عزمه عن مشروع الإسلامي النهضة الحضارية كما صاغه الإمام الشهيد حسن البنا لحركة الصحوة الإسلامية المعاصرة، ممثلة في «جماعة الإخوان المسلمين» فإننا نقف هنا عند «عناوين أمهات المسائل» في هذا المشروع وفي جهود مؤسسه على مستوى المشروع للاحياء الإسلامية على أيدي أتباعه وعلماء الأمة فهم بحدوث وعلاجات الأسقام من أبرز العلل والمخاطر والتحديات

في هذه [illegible] يتعرض الدارس لفكر حسن البنا وجهاده المبكر من بدايتها، يقف مشروع الأستاذ البنا ليقول «إن الحضارة الغربية بقيمها المادية، قد انتصرت في هذا العصر، لأنها تملك على الحضارة الأمة بمقدراتها الهائلة الجامحة للروح وإمارته معًا، في أرض الإسلام نفسه، وفي حرب صروس مسلحها نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقيدتهم [illegible] في الميدان السياسي والعسكري وكما كان ذلك الغزو العسكري [illegible] سلاح الحضارة [illegible] الحقيقي الذي [illegible] الحركة الإسلامية [illegible] الذي [illegible] حتى [illegible] وجميع العالم كله يتذوق هذا العلم لدوله وأمته، تملس لا [illegible] سياسته [illegible] الكتابة [illegible]

فى المشروع الحضارى الإسلامى (٤)

لقد كان [illegible] فى مشروع فكرى لنشر حسن [illegible] [١٣٢٤ ١٣٦٨هـ ١٩٠٦ ١٩٤٩م] رفض [illegible] والتبعية، بغرب [illegible] حضارى واستغلال [illegible] وهم يكن رفضه [illegible] على الصحى [illegible] من الحضارة والدعوة للعزلة [illegible] والانطواء والانكفاء الذاتى». فهو نفسه الذى يقول عن الحضارة الإسلامية، وامتنا الإسلامية: «لقد اتصلت بغيرها من الأمم وتعلمت كثيرا من الحضارات وتكيفت بعض الشىء بمقتضاها وخلقت بعد ذلك حضارتها الخاصة فغربلتها أو كدت وسطعت [illegible] تصنعها وأن تحملها على الطريق [illegible] فيجب أن روحه وخصوبته وجمال ولم تصنعها أن تحدد ما تقتبس من هذه الحضارات المختلفة غير أن تؤثر ذلك فى وحدتها الاجتماعية أو السياسية».

■ ولم تكن المعركة مع الغرب، حسن البنا الحضارى [illegible] الحضور، بل [illegible] والتخلف للغرب [illegible] هو الذى يؤدى إلى «الحضارة التى» والفرع الذى يتفرد فيه الغرب [illegible] فيجب وجهان لعملة واحدة ولذلك [illegible] حسن البنا إلى [illegible] تحديث [illegible] وتجديد فى صراحة ووضوح أن دعوته هى بالتحديد «الدعوة التجديدية لحياة الأمم والشعوب» وتضع فى مقدمة ما يجب أن يترك وللتخلص من التأخير بين «الفكر المتطور» و«الفكر المتأخر» و«الفكر المتطرف» [illegible] الأمة، ذلك الأساس المتمثل فى الإسلام وتعاليمه هو كتاب الله [illegible] وتعالى [illegible] وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهى كما أمر الله [illegible] وعلوم شتى المتصلة بالإسلام وبلغته بحيث تكون المعاصر الذى وجدنا [illegible] نتعامل فى عصرنا وهى [illegible] أن نسعى لنعلم الإسلام التى تحتاج إليها الأمة فى هذا المعين الصافى غير المشوبة لأننا إذا نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية المحمودة، حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا به الله ولا نرهق عصرنا لون عصر لا يتفق معه، والإسلام دين البشرية جمعاء».

كيف وقف الأستاذ محمد عبده رحمه الله موقفا يقف من تاريخ الدولة الإسلامية عند هذه العوامل التسعة التي ذكرناها آنفا وهي

١ الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه

٢ - والخلافات الدينية والمذهبية

٣ - والانغماس في ألوان الترف والنعيم

٤ وانتقال السلطة والرئاسة إلى غير العرب من الفرس والترك وأسبغوا عليها من الفضائل والمصالح والادراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن، لصعوبة إدراكهم معانيه

٥ وإهمال علوم العصمة والمعارف الكونية وصرف الأوقات وتضييعها في بحوث في فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية سقيمة

٦ وغرور الحكام بسلطانهم والانخداع بقوتهم وقهر العنصر على التطور الاجتماعي للأمم من غيرهم حتى سبقتهم في الاستعداد والأهبة وأخذتهم على غرة

٧ والانخداع بدسائس المنطلقين من خصومهم والاغترار بخداعهم ومخادعهم في حياتهم، والاندفاع في تيارهم فكانوا نصرا ولا ينفع

وفي موجهة هذين الكفرين من مقاصد الاستعمار والاستغلال الساسي الذي وقف عند الغزو والتشويه وحبس التيار الإسلامي الذي يحقق سيادة الأمة على أن الإسلام لا يرضى من أتباعه بأقل من الحرية والاستقلال فضلا عن السيادة وإعلان الحق في تحكيمهم بكل الدم والمال وإلى الاستعمار الاقتصادي للأمة وليس لقطر واحد من أقطارها. فالهدف هو تحقيق المصالح الاقتصادية لشعوب أوروبة والغرب وبعبارة أخرى ربط هذه الشعوب بالأمم الغربية والإسلام يحقق لها الاكتفاء الذاتي والاستقلال الاقتصادي وبعد من هذا يتحكم الغربي في المصدر والمستورد وما يتبعهما كما يدعي الاستعمار الحضاري الذي يعد لأمة الإسلام وحضارته مكانه لإبعاده ليتربع ويوقع بشهوة على الجالسين فبعد أن قضى على الدولة العربية بحجة ثم صار بعد ظهور البترول والبترودولار عربية ثم بقيتها العثمانية إلى السرو وهزيمة ثانية ثم على الشرق العربي الكبير، وبقص العرب بمقصلة الحدود الغربية

[illegible]

إنه استقلال الحضارة «المتميزة» لا [illegible] الإسلام – وفق [illegible]

[illegible]

[illegible] الحضاري [illegible] هي بعض من المشروع الحضاري لحسن البنا، عليه رحمة الله

١٢٢ فى المشروع الحضارى الاسلامى (٥)

كانت قضية «الانتماء» [illegible] الإمام الشهيد حسن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٤٩م] [illegible] فى المشروع الحضارى الذى قدمه للصحوة الإسلامية

■ [illegible] أن تقوم فى مصر دولة مسلمة تحتضن الاسلام، وتجمع كلمة العرب [illegible] لخيرهم وتحمى المسلمين فى أكناف الأرض من عدوان كل ذى عدو [illegible] العالم كله»

■ وفى مواجهة [illegible] المسلمين المعاصرين إلا شوائب الكفر والجهل [illegible] «لا يكفّر مسلمٌ أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما، وأدى الفرائض [illegible] أو معصية [illegible] أو أنكر معلوماً من الدين [illegible] العربية [illegible] أو عمل عملاً [illegible] عن الكفر

«وعندما دخل مصر بكتيبته في الإسلام بكيانه، عقيدته وعلمه وحضارته وداعبه عبقه وذابت عن جيشه وردت عنه عادية المعتدين .. ومن هنا بدت مصر الإسلام قوية قاهرة باقية في كثير من جوانب الحياة المصرية فتسموا بإسلامه، وتعلقت عروقه وهذه المساجد تعطيك بكل فخر واعتزاز أنها بنيت للإسلام وعلو منه بناء لحق صامد مستمر وهذه مشاعر لا يعبر شيء عنها للإسلام وبه تنفس الإسلام

والمعركة قائمة بين الشوائب التي وفدت إلينا من الحضارة الغربية تلك الحضارة التي غزت غزواً قوياً فاجتاحت بفكره الإسلامية في الحياة الاجتماعية المصرية في كثير من شئونها الهامة وبرفعة تعبير وصناعة الحياة وتصنع متعلمها بالصنعة الأوربية، وحصرت سلطان الإسلام في حفنة على تقلوب والمحاريب، وفصلت عنه شئون الحياة بعملية واعية وبخبث ومكر ساعدة شديدة وبهذا أصبحت الحياة حياة مادية وثنية

لقد كانت معركة حسن البنا هي معركة تنقية المجتمعات الإسلامية من الرجس الذي قام عليها بعدائه وتجسس من روح الإسلام ومن الروح الصادقة الإيجابية روح الله والشهود الذي تضرب به الحضارة الغربية ولم تكن معركته مع المجتمعات الإسلامية عن الإسلام وسوء وتصوراته إلى الجاهلية وظلماتها – كما قال «الغزالي»

■ وفي مواجهة المتغربين تقطف الثمار ... نفس نرسوس انفجر سريعاً إلى نفوس على صوت الحكم والموعظة في مواجهة هؤلاء تؤكد مشروع الأستاذ حسن البنا ضرورة اعتماد طريق المراحل ومنهج التربية وسنة الله الطويل فتنادى الرجل قائلاً

أيها الأخوة المسلمون ونحن نعتقد المتغربون منكم يسمعوننا في كلمة عابرة ونظرة في طريقكم هذا مرسومة محفوظة، موضوعة جيداً ونحن نحتفظ هذه الجذور التي تتبع كل الأفراد باسم طريق الوصول

أخيراً قد تكون طريقاً طويلة وشاقاً لكنها تصبر برجوعه بالصبر وبمثابرة والجد وبعمر الذي نفس في نفوسكم أن يستغل ثمرة في نضجها وتقطف زهرة في أوانها فنسلم معه في ذلك نجاح وخيرته لا ينصرف عن هذا الدعوة إلى غيرها من الدعوات ومن صبر ظفر حتى تنمو

البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة وتحين القطاف فاجرة في ذلك على الله ولن يفوتوا وإياه آخر المحسنين إما النصر والسيادة وإما الشهادة والسعادة

تحمو ثروات العواطف بنظرات العقول، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها علانية، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها، واستعينوا ببعضكم على بعض، وترقبوا ساعة النصر، وما هي منكم ببعيد

أريد أن أكون صريحاً معكم لبقائه فلم يعد ينفعنا إلا المصارحة، اعدوا أنفسكم، وفي الوقت الذي تكون فيه منكم ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها، روحياً بالإيمان والعقيدة، وفكرياً بالعلم والثقافة، وجسمياً بالتدريب والرياضة في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل جبار عنيد، فإني فاعل إن شاء الله

هكذا فكر، وكتب، وعمل حسن البنا، فكانت حياته ودعوته معالم مشروع إسلامي للنهضة الحضارية، كما كانت بذرة مباركة أدرك الله في غراسها كما لم يبارك في غراس آخر على امتداد القرن العشرين

١٢٣ الشيخ البشير الإبراهيمى(١)

لقد احتفلت «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» سنة ٢٠٠٥م بمرور أربعين عامًا على وفاة الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمى الذى اشتهر هو والإمام عبد الحميد بن باديس «الدين والوطن» لهضة الإسلامية فى الجزائر فى الحروب والإسلام، واستحقا بجدارة من صفحة الاستعمارية الجزائرية فمن هو هذا الإمام البشير «الإبراهيمى»؟

■ هو محمد البشير بن محمد السعيد بن عمر بن محمد المكى بن عبد الله بن عمر الإبراهيمى [١٣٠٦ - ١٣٨٥ هـ / ١٨٨٩ - ١٩٦٥م] من قسنطينة والأسرة «آل إبراهيم» العربية التى استوطنت مقاطعة قسنطينة - بالجزائر.

■ وقد عرف الجزائر فى يوم الخميس [١٤ شوال سنة ١٣٠٦ هـ / ١٣ يونية سنة ١٨٨٩م] فى أسرة تهتم بعلوم الإسلام والعربية على مدار أجيال عديدة.

■ وتربى وتعلم فى كنف عمه «الشيخ محمد المكى الإبراهيمى»، ودرس على يديه الكتب التى كانت تدرس بالأزهر الشريف فى ذلك الحين، وكان لا يفارق عمه ليلا ولا نهارا - يعلمه عمه، ويتعلم من عمه، حتى فى لحظات إسلام عمه الروح إلى بارئها.

■ وكان له ذاكرة خارقة للعادة، حفظ القرآن الكريم فى سنتين من عمره مع فهم مقروءاته وعمره ثمانى سنوات، ثم بلغ أربعة عشر من عمره لا وقد حفظ الكثير من المتون العلمية، منها «ألفية ابن مالك» [٦٠٠ - ٦٧٢ هـ / ١٢٠٣ - ١٢٧٤م] و«مختصر خليل» لابن إسحاق المالكى أيضا و«غيث النفع» فى [٧٢٥ - ٨٠٦ هـ / ١٣٢٥ - ١٤٠٤م] فى «الأثر والسير» و«مختصر رسالة ابن أبى زيد» فى كتابه «ريحانة الكتاب» و«كفاية المحتفظ» للأحمدى فى تونس «المتوفى فى ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣م] و«كتاب الأشباه والنظائر» لابن بقى [٣٢٠ هـ / ٩٢٢م]

وكتب [illegible] لبعض [٢٠٠ - ٢٩١ هـ = ٨١٦ - ٩٠٤م] وكتاب [illegible] [illegible] [١٨٦ - ٢٤٤هـ = ٨٠٢ - ٨٥٨م] [illegible] في الأصول [illegible] العروضي [illegible] [٣٥٦هـ - ٩٦٧م] [illegible] لابن الخطيب [٧١٣ - ٧٧٦ هـ = ١٣١٣ - ١٣٧٤م] [illegible] [٣٨٢ - ٤٣٦ هـ = ٩٩٢ - ١٠٣٥م] وابن أبي الخصال [٤٦٥ - ٥٤٠ هـ = ١٠٧٤ - ١١٤٦م] وأبي المطرف بن أبي عميرة [٥٨٢ - ٦٥٨ هـ = ١١٨٦ - ١٢٦١م]. ومعظم [illegible] [٤٨٠ هـ = ١٠٨٧م] [illegible] [٣٥٨ - ٣٩٨هـ = ٩٦٩ - ٩٩٨م] [illegible] [٣٠٣ - ٣٥٤هـ = ٩١٥ - ٩٦٥م] كله وشعر [illegible] الرضي [٣٥٩ - ٤٠٦ هـ = ٩٧٠ - ١٠١٥م]. وابن الرومي [٢٢١ - ٢٨٣هـ = ٨٣٦ - ٨٩٦م] [illegible] [١٩٠ - ٢٣١هـ = ٨٠٦ - ٨٤٦م] [illegible] [٢٠٦ - ٢٨٤ هـ = ٨٢١ - ٨٩٧م] وأبي نواس [١٤٥ - ١٩٦ م = ٧٦٢ - ٨١٢ م] كما [illegible] من شعر جرير [٢٨ - ١١٠ هـ = ٦٤٠ - ٧٢٨م] و[illegible] [١٩ - ٩٠هـ = ٦٤٠ - ٧٠٨م] والفرزدق [١١٠هـ - ٧٢٨م] كما حفظ كثيرًا [illegible] «نفح الطيب»، وأخبارهم، وكثيرًا من أشعارهم.

ولقد بلغت قوة حافظته لحد لدى كان يحفظ فيه عشرات الأبيات [illegible] سماع واحد.

■ [illegible] له حفظها.

■ وقد مات عمه سنة [١٣٢١ هـ - ١٩٠٣م] وعمر البشير أربع عشرة سنة [illegible] فأصبح شيخًا وهو في سن الصبا.

١٢٤ الشيخ البشير الإبراهيمى (٢)

فى سنة [١٣٢٩هـ - وآخر سنة ١٩١١م] رحل الشيخ البشير متحفزا من الجزائر إلى الحجاز وعمره إحدى وعشرون سنة، فالتحق بوالده الذى كان قد استقر بالمدينة المنورة منذ سنة [١٣٢٦هـ - سنة ١٩٠٨م] وفى طريقه إلى الحجاز قام بالقاهرة ثلاثة أشهر طاف فيها بحلقات دروس العلم فى الأزهر الشريف، دروس الشيخ سليم البشرى [١٢٤٨ - ١٣٣٥هـ = ١٨٣٢ - ١٩١٧م] والشيخ محمد بخيت المطيعى [١٢٧١ - ١٣٥٤هـ = ١٨٥٤ - ١٩٣٥م] والشيخ يوسف الدجوى [١٢٨٣ - ١٣٦٥هـ = ١٨٧٠ - ١٩٤٦م] والشيخ عبد الغنى محمود والشيخ السمالوطى والشيخ سعيد الموجى [١٢٦٧ - ١٣٥٤هـ = ١٨٥١ - ١٩٣٥م] وزار العديد من العلماء والشعراء من مثل الشيخ محمد رشيد رضا [١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ = ١٨٦٥ - ١٩٣٥م] وأحمد شوقى [١٢٨٥ - ١٣٥١هـ = ١٨٦٨ - ١٩٣٢م] وحافظ إبراهيم [١٢٨٧ - ١٣٥١هـ = ١٨٧١ - ١٩٣٢م] وغيرهم من العلماء والشعراء والأدباء.

■ وفى المدينة المنورة، وعلى امتداد خمس سنوات، واصل الشيخ البشير التعلم والتعليم، فحضر العديد من دروس العلم، وخاصة دروس الشيخ العزيز الوزير التونسى، والشيخ حسين أحمد الفيض آبادى الهندى، كما أخذ التفسير عن الشيخ الحبيب إبراهيم الاسكوبى، والجرح والتعديل وأسماء الرجال عن الشيخ أحمد البرزنجى الشهرزورى، وأنساب العرب وأدبهم الجاهلى والسيرة النبوية عن الشيخ محمد عبدالله زيدان الشنقيطى، وعلم المنطق عن الشيخ عبدالباقى الأفغانى.

وفى المدينة - أيضًا - استفاد من المكتبات العلمية الموجودة فيها

■ وخلال سنوات قامت بالتنسيق الثورة بفتح مكتب الإصلاحية والتنسيق بالشيخ الإبراهيمي وتأسيس فصائل الخلافة الإسلامية وحل الدولة العثمانية ووضع لائحة الجريدة ومستقبلها والجمعية الاستعمارية وخاصة مع الشيخة عبد الحميد بن باديس الذي التقى به في مدينة تونس سنة ١٣٣١هـ ١٩١٣م وعلى امتداد ثلاثة أشهر تذاكر السيد وتدارس وتعمق معه للتوصل به لصيغ الحزب وتبرعه من أجل الاستعماري الصليبي الفرنسي وأعدائه في العروبة والإسلام. وكان التعليم و لإصلاح الديني هما السبل إلى تحقيق هذه المقاصد التي قامت لإنجازها «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» سنة [١٣٤٩هـ - ميلادية ١٩٣١م]

■ وبعد ثورة الشريف حسين بن علي [١٢٧٠ - ١٣٥٠ هـ = ١٨٥٤ - ١٩٣١م] حاكم المدينة المنورة بتوجيه من عبد الوهاب العثمانية وعبد العزيز وكان يسمح لسير صفوف الحجاج الكثير من سكان المدينة إلى الشام ومنهم الشيخ بشير ولد في النصف الأخير من سنة ١٩١٦م سنة ١٣٣٤ هـ فاستقر بدمشق قرابة ربع سنوات

■ وفي دمشق طلب منه الشيخ تركي حضور درس [١٢٨٩ - ١٣٤٠ هـ ١٨٧٢ - ١٩٢٢م] بالمسجد الذي عرف به بعد مع عساكر وكان في وقت الاستعمار بالمدرس قصر بمدرسة المعلمين في مدرسة العلمي

■ وعندما حكم الأمير فيصل بن الحسين [١٣٠٠ - ١٣٥٢ هـ ١٨٨٣ - ١٩٣٣م] دمشق .. قامت علاقات صداقة بين الشيخ بشير وبين الأمير فيصل

■ وفي دمشق، تزوج وفيها توفي والده، وحد أولاده

■ وعندما بدأت الحرب بين بشير بتحسن نحو العمل الإصلاحي عاد إلى الجزائر سنة ١٣٣٨ هـ - ١٩٢٠م على عزم القيام بالعمل العلمي ثم السياسي فتعاون مع بعثة التي كانت قد سبقت على رأسها هو والشيخ ابن باديس - وتواصل العمل التمهيدي لحركة الإصلاحية بالجزائر عشر سنوات

١٢٥ الشيخ البشير الإبراهيمي (٣)

في سنة [١٣٤٩هـ - ١٩٣١م] أقامت فرنسا الاستعمارية - بالجزائر - احتفالات صاخبة بمنوبة استعمارها للجزائر، واستفزت هذه الاحتفالات ضمير الأمة وفجرت فيها روح الإصلاح وطاقات المقاومة. ففي أثناء الاحتفالات خطب أحد كبار الساسة الاستعماريين الفرنسيين فقال: «إننا لن ننتصر على الجزائريين ما لم يقرؤون القرآن ويتكلمون العربية فيجب أن نزيل القرآن من وجودهم وأن نقتلع العربية من ألسنتهم».

وخطب سياسي آخر فقال: «لا تظنوا أن هذه المهرجانات من أجل تلوعيد مائة سنة في هذا الوطن، فلقد قام الرومان فيه ثلاثة قرون، ومع ذلك خرجوا منه، ألا فليعلموا أن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار».

كما خطب أحد كرادلة الكنيسة الكاثوليكية الفرنسية بهذه المهرجانات فقال: «إن عهد الهلال في الجزائر قد عبر، وإن عهد الصليب قد بدا، وإنه سيستمر إلى الأبد، وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهدًا لدولة مسيحية مضاءة أخاوها بنور مدنية منبع وحيها الإنجيل!».

■ وفي مواجهة هذا الفجور الاستعماري الصليبي تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة [١٣٤٩هـ - ١٩٣١م]، وكان رئيسها الإمام ابن باديس، ووكيلها ونائب رئيسها الإمام البشير، وبدأت بدأت الثورة الإصلاحية والإحيائية في الجزائر، سالكة طريق المنهاج الإسلامي في الإصلاح، وبواسطة المؤسسات الإصلاحية، والعمل المؤسسي المنظم، حدث المدارس والخطب والدروس في تكوين الجيل العربي المسلم والوطني العامل على استعادة الجزائر إلى حصون العروبة والإسلام والاستقلال.

■ وفي ٣ ربيع الأول سنة [١٣٥٩هـ ١٠ يونيو سنة ١٩٤٠م] اعتقل المستعمرون الفرنسيون الإمام المفسر الأديب الشيخ وتقدير في غرب سنة في الحدود الوهرانية

■ وفي ربيع الأول سنة [١٣٥٩ هـ ١٦ مايو سنة ١٩٤٠م] توفي الإمام عبد الحميد بن باديس والإمام البشير الإبراهيمي يقيمان في مدينة قسنطينة بعد خروجهما من سجن وهران وقد أمرت سلطات الاحتلال بنقلهما إلى مدينة قسنطينة ووضعهما تحت مراقبة الإدارة الفرنسية لأنه

■ وما هي إلا أشهر حتى سيق الإمام البشير الإبراهيمي مع مجموعة من العلماء في أواخر سنة [١٣٦٣ هـ ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٤٥م] عند صلاح فجر يوم في ٨ مايو سنة ١٩٤٥م إلى مدينة سطيف ٦٠ كم شرق قسنطينة وصل الإمام البشير إلى ثكنات الجيش الفرنسي بسطيف وبعد يومين من سجن العسكري بالجزائر بسبب سوء حالته الصحية نقلوه إلى السجن العسكري بقسنطينة فمكث فيه حوالي عشر شهرًا وقد دخل إلى السجون معه حوالي ٧٠٠ من أعضاء جمعية العلماء

■ وبعد الإفراج عنه عاد إلى قريته سطيف لاصلاحي لا يزال هناك يزاول أعماله ويكون عونًا

■ وفي أواخر سنة [١٣٧١ هـ ٢٧ فبراير سنة ١٩٥٢م] قام الشيخ البشير رحلته الثانية إلى المشرق فأقام بالقاهرة أسبوعًا، وفي مكة المكرمة ثلاثة أشهر في قبة المحكمة من مكتب يجتمع فيه بالعلماء والأدباء والقراء والأصدقاء ثم ذهب إلى المدينة فأقام بها أيضًا ثلاثة أشهر يقرأ فيها ويحاضر ثم رجع إلى جدة فوصلها في أواسط سنة ١٣٧١هـ ١٩٥٢م، وأقام في حرم السيدة المكرمة أيامًا يقرأ ويحاضر ثم رجع إلى القاهرة في [٢٤ أكتوبر من نفس العام سنة أول سنة ١٣٧٢ هـ] ومنها عاد الشيخ إلى الجزائر وجد وسرور وغبطة واحتفاء العديد من المحاضرات في معهد الإصلاح ومدرسة جمعية التربية والتعليم بعلوم الإسلام واللغة العربية وتعرف بالجمعية الخيرية ومعهد في محاضرة شعبية وبورصة الجزائر في عام سنة ١٩٥٤م ومرافعة عن القضية الفلسطينية، وسائر قضايا الأمة الإسلامية

■ وفي القاهرة أقام الإمام البشير مكتبًا باسم «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» للإشراف على تعليم طلاب الجمعية بأحياء شمال غرب العربي.

■ وفي القاهرة أيضًا أسس بالتعاون مع أعضاء الجمعية المقيمين بمصر عاصمة للجمعية باسم «جمعية التربية واللغة العربية» سنة [١٣٨٠هـ - ١٩٦١م].

■ وعندما استقلت الجزائر سنة [١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م] عاد الإمام البشير إلى الجزائر وخصص خطبة الجمعة في الجامع الكبير بالجزائر العاصمة التي عاد فيها بعد أن كانت العاصمة الاستعمارية فرنسية قد حولتها إلى كاتدرائية كاثوليكية طوال قرن وثلث قرن!

■ وكان أول عمل قام به الإمام البشير قبل وفاته بأيام قليلة هو هذا الذي نراه في ٣ من ربيع الثاني سنة [١٣٨٣هـ - ١٦ من أغسطس سنة ١٩٦٤م] أي قبل وفاته بأيام قلائل حيث دعا في هذا اليوم إلى تعاون الجزائريين جميعًا على إعادة الجزائر المستقلة إلى منهاج الإسلام في الإصلاح.

■ وعلى الرغم من أن هذا الإمام العظيم لم يتفرغ للتأليف لأنه كان مشغولًا بالعمل والكفاح، إلا أنه مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلًا ولكنه لم يقف للشعب رجلًا واحدًا يعمل للجزائر غيره، شهدَ للجزائر أحفاده وصحبه الذين عاشوا معه وعاصروه عشرات السنين، وصحبت به جوانب إقامته، فسجل أبناؤه وحفدته ما عرفوه عن رحلة أبيهم وجده إلى الشعب.

على الرغم من انشغاله بهذه الجمعية بشقيها التربوي والديني، فقد ترك من الآثار العلمية «عيون البصائر» و«الآثار» و«أشواق المنافع في أسرار الصنائع» بالعربية، و«الشعب والإسلام» و«كفاحنا» و«أين هو الإسلام؟» و«خطب الجمعة» بالفرنسية، و«مذكراته» و«أشعاره» في ٣٦ ألف سطر، بخلاف أشعار أخرى لم تجمع بعد، وما زالت في حوزة أبنائه وأحفاده.

★ ★ ★

■ هذا هو الإمام محمد البشير الإبراهيمي الذي لم يرثه لا ولم يستعر هولا ولم يعش مع سرته على مرتفع شاهق هو وأصحابه وجمعيته بعيدًا عن مسلمي الجزائر، وبدلًا من أن يصدر بيانه الشهير الذي حدد فيه مختصر

بالحرية والاستقلال عن أصحاب النفوذ والسلطان، سالكاً في ذلك طريق العلماء الأعلام، الذين لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، مكتفين بالعلم والجهاد، سوى بالنبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقاً.

وهو الذي قال فيه صديقه ورفيق دربه الإمام عبد الحميد بن باديس، بعد إقرار لائحة جمعية العلماء التي كتبها الشيخ البشير سنة [١٣٤٩هـ - ١٩٣١م]:

«عجبت لشعب أنجب مثل الشيخ البشير أن يضل في دين أو يخزى في دنيا، أو يذل لاستعمار!»

عليه رحمة الله

الشيخ الغزالى
قلب تقىّ .. وعقل ذكىّ (١)

هو الفقيه - علامة المحدث - الشيخ محمد الغزالى السقا [١٣٣٥ - ١٤١١ هـ / ١٩١٧ - ١٩٩٦م]

مصرى السحاة والأسرة الفقيرة والبيئة المتوسطة فى قرية «العش» مركز «إيتاى البارود» محافظة «البحيرة» بدلتا مصر يوم السبت ٥ من ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ - ٢٢ من سبتمبر ١٩١٧م ولقد اختار له والده اسم محمد بقى فى بيئة الإسلام يوم ولد فى الغزالى شرعة حق فقد أراد له

ذكى بسنة الغزالى كبير حجة السنة ولقد نشأ وأثر فيه الغزالى تعلق عليه الأمل

وقد حفظ القرآن الكريم وهو فى العاشرة من عمره وتخرج فى المعهد الإسلامى الشيخ محمد الدسوقى التابع للأزهر الشريف بدمنهور فحصل على شهادته الابتدائية سنة ١٩٣٢م ومن نفس المعهد تخرج بالثانوى - حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية سنة ١٩٣٧م

وفى سنة ١٩٣٧ التحق بالتعليم العالى الأزهرى كلية «أصول الدين» بالقاهرة وسبب شغف العلم على كوكبة من كبار العلماء فى عصر التنوير والانفتاح الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى والشيخ الأكبر الشيخ محمد شلتوت والشيخ على السايس وغيرهم فى نفس الكلية على أيدى هؤلاء العلماء الأجلاء حصل على الإجازة العالية «العالمية» سنة ١٩٤١م كما حصل من نفس الكلية على الإجازة التخصصية «العالمية» فى الدعوة والإرشاد سنة ١٩٤٣م

وفى نفس العام الذى تخرج فيه الشيخ الغزالى من كلية أصول الدين سنة ١٩٤١م التحق بمدرسة جماعة الإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا [١٣٢٤ - ١٣٦٨ هـ / ١٩٠٦ - ١٩٤٩م] وأصبح عضوا بمكتب الجماعة العام وتدرب على يديه فى الحياة الفكرية والعملية

[illegible] الشيخ [illegible] وهو [illegible] الأولاد تسعة ، بحثا منهم ولدان – صباء وعلاء – وخمس سيدات.

[illegible] ١٩٤١م [illegible] سنة ١٩٤٢ [illegible] بمسجد «العتبة الخضراء» بوسط القاهرة . ولقد تدرج في مناصب الدعوة والوعظ والإرشاد [illegible] ٢ يوليو سنة ١٩٧١م [illegible] مارس سنة ١٩٨٢م

[illegible] مواهبه الأدبية والفكرية على يد الشيخ حسن البنا وفي صحافة جماعة الإخوان التي أصبح من كتابها حتى أطلق عليه لقب أديب الدعوة. وكتب إليه الأستاذ البنا خطابا – في سنة ١٩٤٥م – يقول له فيه «أخي [illegible] المسلمون والأحزاب» في العدد الأخير من مجلة «الإخوان [illegible] لعبارته الجزلة ومعانيه الدقيقة وأدبه العف الرصين.

هكذا يجب أن تكتبوا، أيها الإخوان المسلمون، اكتب دائما [illegible] يؤيدك والله معك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. حسن البنا

الشيخ الغزالى
قلبٌ تقىٌّ .. وعقلٌ ذكىٌّ (٢)

ولقد تحمل الشيخ الغزالى نصيبه من المحن والمكاره التى أصابت جماعة «الإخوان المسلمين» فقضى فى معتقل الطور - بشبه جزيرة سيناء - قرابة العام سنة ١٩٤٩م وأقل من عام فى سجن «طره» إبان التحقيقات مع الشهيد سيد قطب سنة ١٩٦٥م

ولما شارك فى «المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية» سنة ١٩٦٢م كانت له مواقف أثارت ضده حملة صحفية قادها عدد من الصحفيين الليبراليين واليساريين وانتصرت له فيها جماهير المساجد وكان يخطب الجمعة بمسجد عمرو بن العاص فيحتشد لسماعه عشرات الألوف وعندما كانت تثير انتقاداته الدولة فيهم بتقييد حريته، كانت تتحرك لنصرته مظاهرات جماهير المساجد وفى سنة ١٩٧٤م كان له - هو والشيخ محمد أبو زهرة - موقف معارض للتعديلات التى أدخلت على قانون الأحوال الشخصية فكان يرى أن مشكلة مصر هى فى عجز شبابها عن تكاليف الزواج وليست المشكلة فى تعدد الزوجات فضاقت الدولة بمعارضته، ومنعته من الخطابة بجامع عمرو بن العاص وسحبوا منه اختصاصاته فى وظائف الدعوة حتى لقد ألغوا المنصب الذى كان يشغله مدير عام الدعوة فوجد نفسه على «حصير» دون مكتب فى «سندرة» ملحقة بمسجد صلاح الدين بالقاهرة فجلس على «الحصير» يشتغل بالتأليف

ولما أحس بافتراق المخاطر منه إبان التحقيقات مع صالح سرية المتهم الأول فيما عرف بقضية «الفنية العسكرية» الذى ذكر أنه زار الشيخ الغزالى مرة سعى إلى الخروج من مصر، فسافر إلى المملكة العربية السعودية أستاذاً بجامعة أم القرى بمكة المكرمة فأمضى بالجامعات السعودية ما بين سنة ١٩٧٤م وسنة ١٩٨١م وفى سنة ١٩٨١م الذى رقى فيه إلى منصب وكيل وزارة

الأوقاف لشئون الدعوة – قدم استقالته من الوزارة عندما اختلف مع سياسة الدولة في الصلح مع إسرائيل.

وكان تعرّف الشيخ الغزالي على الواقع العربي والإسلامي، خارج مصر، قد بدأ مبكرًا، ففي سنة ١٩٥٢ – ١٩٥٣م شغل وظيفة رئيس «التكية المصرية» بمكة المكرمة، وفي الأعوام من سنة ١٩٦٨م إلى ١٩٧٣م أمضى شهور رمضان في دول الكويت وقطر والسودان والمغرب، وشارك في ملتقيات الفكر الإسلامي بالجزائر – بالتصام- سنوات عديدة، وسنة ١٩٨٠م وعمل في قطر أستاذًا زائرًا ما بين سنة ١٩٨٢م، وسنة ١٩٨٥م، وعاش بالجزائر ما بين سنة ١٩٨٥م وسنة ١٩٨٨م مشرفًا ورعيًا لجامعتها الإسلامية – جامعة الأمير عبدالقادر ومشرفًا على مجلتها العلمية، وفي صدر هذه الأعوام الخمسة عشر ١٩٧٤ – ١٩٨٨م عاش واقع أمته واستوعب مشكلاتها وأعطى لجماهيرها، وعلمائها، وفقهاء الدعوة والتجديد والإصلاح والاستنارة على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام.

ولقد امتلك الشيخ الغزالي حرية الفكر واستقلالية الرأي منذ بداية عهد الجمعيات، عندما انشق عن تنظيم جماعة الإخوان المسلمين لخلافه مع مرشدها العام الأستاذ حسن الهضيبي، فكان تفرغه للدعوة والتأليف والتدريس محافظًا على استقلالية الفكر حتى بعد أن عادت العودة والصلات والعلاقات مع جماعة الإخوان في سنوات عمره الأخيرة.

★ ★ ★

وإذا كان الشيخ الغزالي قد تتلمذ على حسن البنا، وتتلمذ على رشيد رضا، وتلمذ محمد عبده، أحب تلاميذ جمال الدين الأفغاني، فقد جدد الشيخ الغزالي منهاج هذه المدرسة، التي ينتمي إليها مشروعه الفكري التجديدي في مقابل حديثه عن مدارس الفكر الإسلامي: مدرسة الرأي والأثر، والموازنة بينهما كما هو الحال عند ابن تيمية، مع ميل للأثر، ومدرسة الاختيار والتلخيص والتنسيق بين وجهات النظر المختلفة، وحدد منهاج مدرسته التي وازنت بين «الرأي» و«الأثر» على نحو مغاير عن موازنة مدرسة ابن تيمية، وأسس منهجه للعرض، وتقديم دليله، واعتبرها الأعقل أصلًا للنقل، وهي تقدم الكتاب على السنة، وتجعل إيماءات الكتاب ولي بالأخذ من أحاديث الآحاد، وهي ترفض مبدأ النسخ، وتنكر إنكارًا حاسمًا أن يكون في القرآن بعض انتهى أمده، وترى صرفية

فكرا إسلامياً قد ينتفع به ولكنه غير ملزم ومن ثم فهي تنكر التقليد المذهبي وتحترم علم الأئمة وتعمل على أن تسود الإسلام العالم بعقائده وقيمه الأساسية ولا تلقي بالاً إلى مقالات الفرق والمذاهب القديمة أو الحديثة «دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين» ص ٦٩ - ٧٧ طبعة دار الوفاء - القاهرة سنة ١٤١٣ هـ - سنة ١٩٩٣م

فهو علم متميز من أعلام هذه المدرسة التي تمايزت اجتهادات وتحديدات أعلامها في هذا الإطار

الشيخ الغزالي
قلبٌ تقيٌّ .. وعقلٌ ذكيٌّ (٣)

ولقد كان الشيخ الغزالي يوجز الحديث عن الإسلام عندما يقول إنه «قلب تقي وعقل ذكي» معبرًا بذلك عن منهاج الوسطية الإسلامية الجامع، في مصادر المعرفة بين كتابي الله كتاب الوحي المسطور وكتاب الكون المنظور، وفي سبل المعرفة، بين العقل والنقل والتجربة والوجدان، ولذلك كان عطاء الشيخ الغزالي في «القدوة» منافسًا لعطائه في «الفكر» كما نرى مشروعه الفكري من القضاء بين العقل والقلب، وامتزجت فيه الرؤية لمشكلات الأمة والإنسانية، والماضي والحاضر والمستقبل جميعًا.

ففي مواجهة الاستبداد المالي والمظالم الاجتماعية قدم عدة الإسلام في العديد من الآثار الفكرية من مثل «الإسلام والأوضاع الاقتصادية» و«الإسلام والمناهج الاشتراكية» و«الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين» و«الإسلام في وجه الزحف الأحمر» . إلخ

وفي مواجهة الاستبداد السياسي دافع عن الشورى الإسلامية، في كتبه «الإسلام والاستبداد السياسي» و«حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة» . إلخ

وفي مواجهة الهيمنة الغربية وتيارات العلمانية والمادية والإلحاد والتغريب، قدم «من هنا نعلم» و«دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين» و«الغزو الثقافي يمتد في فراغنا» و«مستقبل الإسلام خارج أرضه وكيف نفكر فيه» و«صيحة تحذير من دعاة التنصير» . إلخ

وفي مواجهة الجمود والحرفية والتقليد قدم «دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين» و«تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل» و«قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة» و«السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» . إلخ

ولتجديد الآداب الإسلامية قدم عشرات الكتب من مثل «خلق المسلم» و«عقيدة المسلم» و«جدد حياتك» و«فقه السيرة» و«كيف نفهم الإسلام؟» و«الجانب العاطفي من الإسلام» و«سر تأخر العرب والمسلمين»... إلخ

★ ★ ★

ولقد كانت رسالة الشيخ الغزالي في حياته الفكرية والدعوية والتعليمية والعملية هي إحياء الأمة بالإسلام، وتحريكها بطاقاته الإحيائية: «فالجهد الأول المطلوب هو تحريك قافلة الإسلام، التي توقفت في وقت تقدم فيه حتى عبيد البقر، وسوف تتلاشى التحديات التي تواجهنا يوم يعتنق المسلمون الإسلام ويدخلون فيه أفواجاً حكاماً وشعوباً» (دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ص ١٩ و«هموم داعية» ص ١٧ طبعة سنة ١٩٨٣م)

وكان داعية لتحرير العقل الإسلامي من قيود الجمود والتقليد وذلك بالتمييز بين مصادر الإسلام المعصومة وبين الفكر الإسلامي غير المعصوم، ورفض الادعاء بأن الأولين لم يدعوا للآخرين مجالاً في الاجتهاد والتجديد: فالإسلام هو صانع الأئمة المجتهدين وهم لم يصوغوه، ومصادر الإسلام معصومة لأنها من عند الله، ولكن التفكير فيها والاستنباط منها غير معصوم لأنه من عند الناس، والأئمة الأوائل كانوا رواداً في تأسيس الفقه الإسلامي، والرائد قد يشغله الاكتشاف عن الموازنة والتقدير، ولعل من يجيء بعده يكون أقدر على التنظيم والمراجعة والموازنة والاختيار» (دستور الوحدة الثقافية، ص ٨٥ - ٩٣)

وكان يرى أن صلاح دنيا الناس بالعدالة الاجتماعية شرط لعلاج قلوبهم بدين الإسلام، فعدالة الإسلام هي الطريق إلى فضائل الإسلام وتقوى القلوب «إذ من العسير أن تملأ قلب إنسان بالهدى إذا كانت معدته خالية، أو أن تكسوه لباس التقوى إذا كان جسده عارياً، فلابد من التمهيد الاقتصادي الواسع والإصلاح العمراني الشامل، إذا كنا مخلصين حقاً في محاربة الرذائل باسم الدين، أو راغبين حقاً في هداية الناس لرب العالمين» (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) ص ٦١، ٦٢ طبعة سنة ١٩٨٧م

وكان يدعو في فهم المصدر الأول للإسلام القرآن الكريم إلى تدبر محاوره الجامعة التوحيد الذي هو قانون الوجود ونظام الحياة وطريق تحرير الإنسان وملكاته من العبودية للطواغيت، وآيات الله الكونية المبثوثة في الأنفس

والآفاق، والتي على بعقلها ترتفع أركان الدين وأعلام الإيمان، والقصص القرآني كأداة للتربية والتزكية ومعالم على طريق الاعتقاد الديني، وبناء العيد والتعب والجزاء ودوره في بناء الأخلاق، والتربية والتشريع لصلاح الدنيا الذي يتأسس عليه صلاح يوم الدين. (المحاور الخمسة للقرآن الكريم، طبعة سنة ١٩٩٤م)

وكان مدافعًا عن سنة رسول الله ﷺ، فهي مع القرآن «قوام الإسلام» وهي الامتداد لسنة القرآن والتفسير لمعناه والتحقيق لأهدافه ووصاياه، وكما أنه لا فقه إلا بسنة، فلا سنة بغير فقه، والحكم الديني لا يؤخذ من حديث واحد مفصول عن غيره، وإنما يضم الحديث إلى الحديث، ثم يقارن الأحاديث المجموعة بما دل عليه القرآن الكريم، فإن القرآن هو الإطار الذي تعمل الأحاديث في نطاقه لا تعدوه، والأحكام في الأحاديث الصحيحة مأخوذة ومستنبطة من القرآن، «سنستنبطها النبي ﷺ من القرآن بتأييد إلهي وبيان رباني»، فهي بيان نبوي للبلاغ القرآني وإرادة من الله لنبيه لتفصيل ما أجمله القرآن. «دستور الوحدة الثقافية» ص ٣٣، ٣٤، ٣٦، ٣٨، و«السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» ص ١١٨، ١١٩ طبعة سنة ١٩٨٩م، و«هذا ديننا» ص ١٩٧ طبعة سنة ١٩٦٥م

الشيخ الغزالى
قلب تقىٌ .. وعقلٌ ذكىٌ (٤)

ولقد عاش الشيخ الغزالى حياته وقلبه معلق بالمساجد، وكان حلم حياته الذى حققه عندما كان مسئولاً عن الدعوة بوزارة الأوقاف، أن تصبح المساجد جامعات إسلامية حرة لشباب الأمة وجماهيرها، تلقى فيها الدروس المنظمة فى علوم الدين والحضارة الإسلامية، حتى لقد كانت آخر الأوراق التى كتبها إلى الندوة التى عقدت بجامعة الأزهر يوم ٥ مارس سنة ١٩٩١م، حول المساجد والدعوة الإسلامية، والتى حال سفره دون حضوره لها، كانت بمثابة «الوصية» كتبها لتحويل المساجد إلى جامعات الثقافة الإسلامية، ولقد تحدثها «الندوة» «توصيات» لمداولاتها.. وكان ذلك قبل وفاته بأربعة أيام!

★ ★ ★

ولقد شرفت بعضوية الشيخ الغزالى العديد من المجامع الفكرية والمؤسسات العلمية، من مثل: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، و«المجمع الملكى للبحوث الحضارة الإسلامية» بالأردن، و«المعهد العالمى للفكر الإسلامى» بواشنطن، و«الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» بالكويت.. إلخ.

كما حصل على العديد من الأوسمة والجوائز.. من مثل:

١ - وسام الأسير، وهو أعلى وسام بالجزائر سنة ١٩٨٨م

٢ - جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٩٨٩م

٣ - جائزة الامتياز من باكستان سنة ١٩٩١م

٤ - جائزة الدولة التقديرية من مصر سنة ١٩٩١م

٥ - جائزة على وعثمان حافظ للمفكر العام سنة ١٩٩١م

★ ★ ★

ولقد عاد الشيخ الغزالي للإقامة الدائمة بمصر في منزله رقم ١٠ بمنزل الدكتور سليمان يحيى الباقي بالقاهرة منذ سنة ١٩٨٨م وكانت أسفاره إسهاماً في المنتقيات العلمية والفكرية وكان من أواخرها رحلته إلى الأمم المتحدة حيث خطب في عيدها الخمسين ممثلاً للأزهر الشريف سنة ١٩٩٦م وأمضى بين مسلمي أمريكا في تلك الرحلة ثلاثة أسابيع

وبعد أسابيع من عودته سافر إلى المملكة العربية السعودية للمشاركة في المهرجان الوطني للثقافة والتراث حيث لبى نداء ربه فصعدت روحه إلى ربها في قاعة الملك فيصل، وتقدم في يده يدور نقاطاً للدفاع عن الإسلام مساء يوم الجمعة [١٧ شوال سنة ١٤١٦ هـ = ٩ مارس سنة ١٩٩٦م] فدفن في البقيع في المدينة المنورة، عاصمة النبوة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

مؤلفات الشيخ الغزالي:

١ الإسلام والأوضاع الاقتصادية طبعة نهضة مصر القاهرة سنة ١٩٩٦م

٢ الإسلام والمناهج الاشتراكية

٣ الإسلام والاستبداد السياسي

٤ الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٧م

٥ من هنا نعلم – طبعة نهضة مصر – سنة ١٩٩٦م

٦ تأملات في الدين والحياة طبعة دار الدعوة الإسكندرية سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

٧ خلق المسلم – طبعة دار الدعوة سنة ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م

٨ عقيدة المسلم – طبعة دار الدعوة – سنة ١٤١١هـ ١٩٩٠م

٩ – التعصب والتسامح

١٠- فقه السيرة طبعة دار الدعوة سنة ١٩٨٨م

١١ في موكب الدعوة

١٢- ظلام من الغرب

١٣- جدد حياتك طبعة نهضة مصر – ١٩٩٦م

١٤ لبس من الإسلام

١٥ من معالم الحق

١٦ كيف نفهم الإسلام؟ طبعة دار الدعوة سنه ١٤١١هـ ١٩٩١م

١٧ الاستعمار أحقاد وأطماع

١٨- نظرات في القرآن طبعة نهضة مصر سنة ١٩٩٦م

١٩- مع الله - دراسات في الدعوة والدعاة

٢٠ معركة المصحف - طبعه نهضه مصر سنة ١٩٩٦م

٢١ كفاح دين طبعة مكتبة وهبه القاهره سنة ١٤١١هـ ١٩٩١م

٢٢- الإسلام والطاقات المعطلة

٢٣ حقوق الانسان بين تعاليم الاسلام وإعلان الأمم المتحده طبعة دار الدعوة - سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م

٢٤ هذا ديننا طبعه دار الشروق القاهره سنه ١٤١٦هـ ١٩٩٦م

٢٥ حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي

٢٦ الجانب العاطفي من الإسلام

٢٧ دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين طبعة نهضة مصر - سنة ١٩٩٦م

٢٨ ركيزة الإيمان بين العقل والعلم - طبعه مكتبه وهبه سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م

٢٩ - حصاد الغرور - مكتبة وهبة - سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م

٣٠ الإسلام في وجه الزحف الأحمر

٣١- مدافع الحق

٣٢- الدعوة الإسلامية تستقبل القرن الخامس عشر - طبعه مكتبه وهبة سنة ١٤١٠هـ سنة ١٩٩٠م

٣٣ في الذكر والدعاء عند ختم الأنبياء طبعه دار الاعتصام القاهره سنه ١٩٨٠م

٣٤ دستور الوحده الثقافية بين المسلمين طبعه دار الوفاء القاهرة سنه ١٤١٣هـ ١٩٩٣م

٣٥- واقع العالم الإسلامي في مطالع القرن الخامس عشر
٣٦- مشكلات في طريق الحضارة الإسلامية - طبعة نهضة مصر - سنة ١٩٩٦م
٣٧- هموم داعية - طبعة نهضة مصر - سنة ١٩٩٦م
٣٨- مائة سؤال عن الإسلام - طبعة دار ثابت - القاهرة - سنة ١٩٨١م
٣٩- علل وأدوية - طبعة دار الدعوة - سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م
٤٠ مستقبل الإسلام خارج أرضه وكيف نفكر فيه - طبعة الأردن - عمان - سنة ١٩٨٤م.
٤١ قصة حياة
٤٢- سر تأخر العرب والمسلمين - طبعة نهضة مصر - سنة ١٩٩٦م
٤٣- الطريق من هنا
٤٤ جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج
٤٥ الحق المر - جـ١ : جـ٦ - طبعة نهضة مصر - سنة ١٩٩٦م
٤٦ من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث.
٤٧ الغزو الثقافي يمتد في قراءاتنا - طبعة الأردن - عمان - سنة ١٩٨٥
٤٨ المحاور الخمسة للقرآن الكريم - طبعة دار الصحوة ودار الوفاء - القاهرة - سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م
٤٩ السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث - طبعة دار الشروق - سنة ١٩٩٦م
٥٠ قضايا المرأة بين التقاليد الموروثة والوافد - طبعة دار الشروق - سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م
٥١ التراث الفكري في مواريث الشرق والغرب - طبعة دار الشروق - سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م
٥٢ كيف نتعامل مع القرآن الكريم؟ - طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي وشتوتجارت - سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م
٥٣ صيحة تحذير من بدعة التنصير - طبعة دار الصحوة
٥٤ نحو تفسير موضوعي للقرآن الكريم - طبعة دار الشروق - سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م
٥٥- كنوز من السنة

١٣٠ أمانة الشيخ الغزالى

فى آخر لقاء لى بشيخنا الإمام محمد الغزالى [١٣٣٥-١٤١٦هـ/١٩١٧-١٩٩٦م] عليه رحمة الله، كان ذلك بمنزله لتسجيل حلقات شاركته فيها لبرنامج «روضة الإسلام» الذى بثته «التلفاز المصرى». وبعد أن فرغنا من التسجيل مددت يدى إليه مصافحا ومودعا، فطلب منى الانتظار حتى يجمع عمال «التلفاز» وفنيوه أجهزتهم، ويغادروا، وفهمت أنه يريدنى - على انفراد - لأمر خاص، فجلست معه حتى غادر فريق «التلفاز» المنزل. وعند ذلك نهض الشيخ إلى خزانة كتبه وأحضر نسخة محددة من آخر مؤلفاته «نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم»، وكتب عليها آخر إهداء لآخر كتاب فى آخر لقاء، فإذا كلمات هذا الإهداء تحملنى أمانة، شعرت - ولا أزال - بخطرها وثقلها حتى هذه اللحظات. كتب فى الإهداء:

إلى أخى الحبيب «داعية الإسلام وحارس تعاليمه الدكتور محمد عمارة مع الدعوات. محمد الغزالى».

وبعد ظل التواصل بيننا - عبر الهاتف - منتظما يتكرر عدة مرات كل أسبوع حتى علمت أنه قد قبل دعوة بزيارة «الرياض» بالمملكة العربية السعودية. فاندهشت وأشفقت لأننا كنا نخشى على صحته بسبب فرط حساسيته ومن أن يتعرض لاستقرار الذين أساءوا به الظن. غفر الله لهم وهاجموه وأصدروا ضده أربعة عشر كتابا مليئة بالافتراءات بعد صدور كتابه «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث» سنة ١٩٨٩م. وكنا معشر المقربين منه من محبيه - قد اتفقنا معه على تجنب مصادر ومواطن الاستقرار بل عدم قراءة ما يكتبه عنه هؤلاء.

ولم أكن أدري ولا أحد يدري أن بقاءه لربه قد اقترب وأنه مسافر في بهجة غير مسبوقة إلى الأرض المقدسة التي كتب الله له الخلود فيها وعمرها وصدق الله العظيم ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [لقمان: ٣٤]

وقد سافرت أنا محمود ت الحاج إلى مكة المكرمة للمشاركة في ندوة علمية وقد سمعت وفرات نبأ انتقال الشيخ البعرني إلى مدرسة فقد صعقت وجمت في مكاني وهو يمسك القلم والورقة مدافعًا عن الإسلام في قاعة المحاضرات بالرباط ثم كان دفنه بمدينة حبيبه ومصطفاه رسول الله ﷺ ليقبع إلى جوار من مثوى إمام دار الهجرة «مالك بن أنس» [٩٣ ١٧٩هـ ١١١٣ ١٧٩٥م] رضي الله عن الجميع

وقد تذكرت عند سماع نبأ وفاته لحصت استئذانه لي في سفره في آخر لقاء بيننا وحرصه على كتابة الإهداء لي وكلمات الإهداء والأمنية التي حباني بها في هذا اللقاء الأخير

وبعد أن تم من وقائع سفراء وتأبين، شهادة علني عن قراءة صحيفة «السعد» ومن مستولين عن إصدارها الصديق الصحفي على غير المعتاد من الصديق أن أكتب للكبير الصغير الذي كان يكنه سخيا تعالى في عداد الأحياء مع صحيفة «السعد» بحب عنوان هذا السفر وقد حرص على استمرار هذا الصفاء الذي كان يغمره سخيا على القراء كل أسبوع

وحرصًا مني على بلسمة هذا المطلب الذي شعرت أنه أوان تطلبه عمني بلاغة بي حملني أن أضع لسفر القراء بركة على أنه وكنت عددا من مقالات وأرسلتها إلى «السعد» ساخذ مكانها في هذا الباب وأن يعنون بعنوان من «هذا السفر» بي هذا السلام الخير من بركة بناء السفر لأن العنوان الأول هو عنوان لأحد كتبه

ثم علمت من صحيفة «السعد» أن الشيخ رحمه الله - قد ترك عددًا من المقالات التي ستتوالى بنشرها وأن مقالاتي ستأخذ دورها بعد الانتهاء من مقالات الشيخ الخير فسعدت بذلك كل السعادة ولم أسأل عن عدد هذه المقالات ولا عن الدور الذي سيأتي فيه نشر مقالاتي، فلقد كنت مع كل قراء «السعد» بعين بعمة رؤية صوره الشيخ وقراءة مقالاته صباح كل ثلاثاء

وفي ليلة الجمعة الثانية عشر آخر مقالات الشيخ. ولم أكن أدري أن ذلك هو آخر مقالاته في هذا الزوار. رأيت فيما يرى النائم شيخنا الغزالي في أبهى حلته، وأجمل صور تألقه، يزورني في منزلي وأنا أجلس إلى جواره ومن حولنا الكتب التي تغطي الجدران والبوحة المعدنية الصغيرة المكتوب فيها سورة الفلق التي أهداها لي عندما زارني بمستشفى النزهة يوم أخرجت إلى جراحة الغضروف. وكان معه ابننا الحبيب محمد عبدالقدوس.

رأيت الشيخ الغزالي في هذه الرؤيا وإذا به يناولني ملفا مليئا بالأوراق وصحوت من نومي متذكرا الأمانة التي حملني إياها في إهداء آخر كتبه، بآخر لقاء.

وبعد أيام من هذه الرؤيا وعلى غير علم مني بالتوقيت بدأت نشر مقالاتي في الباب الذي كان يحرره الشيخ الحبيب وكأنما بدأت أواصل الأوراق وتواليها مع «ملف» الرؤيا التي رأيت فيها شيخنا الغزالي، عليه رحمة الله.

لقد توفي في ٩ مارس نفس اليوم الذي توفي فيه جمال الدين الأفغاني قبل مائة عام. ولقد كتبت هذه الكلمات تقديما للكتاب الذي جمعه فيه الباحث الجاد الشيخ أحمد فضيلة ما كتبه العلماء والمفكرون عن الشيخ الغزالي عقب وفاته. وهو الكتاب الذي أصدرته هذا العام دار الدعوة بعنوان «الإمام محمد الغزالي وشهادة التاريخ». رحم الله شيخنا الغزالي الذي عاش ومات نموذجا عظيما من نماذج العلماء المجاهدين المرابطين على ثغور الإسلام.

التطور الفكرى للدكتور طه حسين (١)

كان الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣ هـ = ١٨٨٩ - ١٩٧٣م] أحد أعظم أبناء النهضة العربية في امتداد العصر الذي عاش فيه. اختلف على ذلك كل من كتب عنه أو تحدث عنه سواء من الذين اتفقوا معه أو كانوا ضده في خلاف أو اختلاف. وقد توحدت الأمة على اعتباره أحد أعلامها، وخلاف شخوص عصر النهضة الأدبي حتى لقد اشتهر بلقب «الأستاذ العميد» كما اشتهر من قبله الشيخ محمد عبده بلقب «الأستاذ الإمام».

لكن الناس قد اختلفوا خلافاً شديداً وحاداً حول بعض كتابات طه حسين عن الإسلام.

ولم يكن الاختلاف مع طه حسين في بعض كتاباته عن الإسلام بسبب ثقافته الغربية الشهيرة وتمكنه على العقلية الأزهرية وبعد دراسته في الأزهر الذي درس فيه، فكثيرون من شيوخ الأزهر وخريجيه قد انتقدوا مناهج الدراسة الأزهرية وحاصروا المعارك بتطوير هذه المناهج حتى نجحوا في ذلك إلى حد كبير. وبعد ثورة ١٩٥٢ في حياة الفكرية بدأ عريض لإصلاح الأزهر مع بروز نجوم لأساتذة الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٥ - ١٣٢٣ هـ = ١٨٤٩ - ١٩٠٥م] وشعر عن تلاميذه العظام الذين شغلوا الأزهر على مدى ربع قرن من الإصلاح والتطوير مثل الشيخ محمد مصطفى المراغي [١٢٩٨ - ١٣٦٤هـ = ١٨٨١ - ١٩٤٥م] ومصطفى عبد الرازق [١٣٠٢ - ١٣٦٦ هـ = ١٨٨٥ - ١٩٤٦م] وعبد اللطيف السبكي [١٢٩٩ - ١٣٣٦هـ = ١٨٨٢ - ١٩٥٤م] ومحمود شلتوت [١٣١٠ - ١٣٨٣هـ = ١٨٩٣ - ١٩٦٣م].

ثم لم يكن نقد الأزهر من قبل طه حسين رغم حدته هو سبب في خلاف عنيف مع الدكتور طه حسين كما أن هذا الاختلاف لم يقف عند علماء الأزهر ومن قد اعتبار ساحات الإسلام وصدارة الفكر الإسلامي

■ ولعل أولى الأفكار التي حملت فيها الكثيرون من علماء الإسلام ومفكريه مع صفه حسين في حفل الإسلاميات كتب كتبه التي حاولت علمنة الإسلام، والدعوة إلى فصل الدين عن الدولة وذلك من المعركة الفكرية الكبرى التي دارت حول كتاب الشيخ علي عبدالرازق [١٣٠٥ - ١٣٨٦ هـ / ١٨٨٧ - ١٩٦٦م] الإسلام وأصول الحكم» سنة ١٩٢٥م. فقد جاء في هذا الكتاب تحت عنوان رسالة الحكم، وبين الرسول أن محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالصة لدين لا شؤونا لدنيا نرعه ملك ولا حكومة ولم يقم بتأسيس مملكة، بالمعنى الذي يفهم سياسةً من هذه الكلمة، ومرادفتها، ما كان إلا رسولاً كخوانه الخالين من الرسل وما كان ملكًا ولا مؤسس دولة ولا راعيا إلى ملك وظواهر لقرار لمحمد يؤيد بقوة أنه لم يكن له شأن في النظم السياسي، وآياته متضافرة على أن عمله السماوي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرد من كل معنى السلطة. لم يكن الرسول قد خلت من قبله الرسل ولم يكن من عمله شيء غير إبلاغ رسالة ربه تعالى إلى الناس وليس عليه أن يحمل الناس بما جاءهم به ولا أن يجعلهم عليه. كانت ولاية محمد على المؤمنين ولاية الرسالة غير مشوبة بشيء من حكم فيها سلطان، لم يكن ثمة حكومة ولا دولة ولا شيء من نرعات السياسة ولا أغراض الملوك والأمراء»[1].

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يكتب فيها شيخ أزهري وقاض شرعي مثل هذا الكلام بعد أن كانت المستشرقين أنفسهم قد اجمعوا على نعت الإسلام على النصرانية بأنه دين ودولة وعبادات ومعاملات وأخلاق وشريعة وقضاء وقانون. وأنه كما قال الإمام محمد عبده «جاء للإسلام دولة فجاء دين وشرع كل شخص، وثقف في سنن وتصرفات وضع حدود ورسم حقوق ولا تكتمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود وتنفيذ الأحكام والإسلام لم يدع ما تقصر الفضيلة بل كل من سلبه ما يحتاج فيصبر على ما ناله، ويأخذ على يده في عنفه»[2].

بل إن التحقيق العلمي لمؤلف كتاب «الإسلام وأصول الحكم» قد أثبت أن الشيخ حسين الخضر قد ألف كتابه هذا بأكمله، فقد اعترف بعد وفاته على

(١) علي عبدالرازق - الإسلام وأصول الحكم - ص ٦٤ - ٨٠ - طبعة القاهرة - سنة ١٩٢٥م

(٢) الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده - جـ ٣ - ص ٢٨٧، ٢٢٥، ٢٢٦ - دراسة وتحقيق د. محمد عمارة - طبعة القاهرة - سنة ١٩٩٣م

عبد الرزاق، فقال: لقد قرأت أصول كتاب الشيخ علي عبد الرزاق قبل طبعه ثلاث مرات، وعدلت فيه كثيرًا»[1]

وهكذا مثلت هذه المعركة الفكرية الكبرى حول العلمانية وعلمية الإسلام أولى محطات الخلاف الحاد مع طه حسين في كتاباته حول الإسلام

★ ★ ★

وفي العام التالي لقيام هذه المعركة الفكرية أي سنة ١٩٢٦م أصدر الدكتور طه حسين كتابه (في الشعر الجاهلي) الذي استخدم فيه منهج الشك الديكارتي في تحقيق نسبة كثير من الشعر الجاهلي إلى الشعراء الذين نسبت إليهم قصائده. وما كان لهذه القضية أن تثير جدلاً يذكر، ولا أن تمس الجدل حولها الدراسات الإسلامية مسًّا مباشرًا. ولكن الدكتور طه حسين ذهب فشكك في عقائد ووقائع وردت في القرآن الكريم، من مثل الرحلة الحجازية لأبي الأنبياء الخليل إبراهيم وولده إسماعيل - عليهما السلام - وإقامتهما قواعد البيت الحرام.

ولقد اعترف الدكتور طه حسين نفسه بهذا التشكيك فقال: «لقد انتهيت إلى رفض قدر كبير من هذا الشعر الجاهلي. وفي إطار ذلك المنهج شككت في بعض المعتقدات التي ذكرت في القرآن أو في الأحاديث النبوية وكانت الصدمة قاسية والاستنكار واسع النطاق»[2]

وبعد معركة فكرية حامية الوطيس صدر فيها العديد من المؤلفات التي ترد على طه حسين أفكاره، وتشكيكه، والتي شارك فيها أعلام من أمثال الشيخ محمد الخضر حسين [١٢٩٣ - ١٣٧٧هـ = ١٨٧٦ - ١٩٥٨م] ومحمد فريد وجدي [١٢٩٥ - ١٣٧٣هـ = ١٨٧٨ - ١٩٥٤م] بل أسهم فيها زعيم الأمة ابن الأزهر الشريف سعد زغلول باشا [١٢٧٣ - ١٣٤٦هـ = ١٨٥٧ - ١٩٢٧م] الذي علق على هذا الذي كتبه طه حسين بقوله: «وماذا عنينا إذا لم يفهم البقر؟»

(١) د. محمد الدسوقي: طه حسين يتحدث عن أعلام عصره - ص ٧٠ - ٧١، طبعة دار المعارف - سلسلة اقرأ - القاهرة ١٩٩٢م

(٢) د. طه حسين: من الشاطئ الآخر - ص ٦٣، ترجمة عبد الرشيد الصادق محمودي، طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م

بعد هذه المعركة الفكرية الحامية والخصبة خرج طه حسين بسطور السماني والعشرين التي أثارت هذه الصدمة النفاسية والاستنكار واسع النطاق وعنوان الكتاب قصد معدلاً ومزيد بعنوان «في الأدب الجاهلي».

وكانت تلك هي المحطة الثانية في الاختلاف مع طه حسين حول ما كتب عن الإسلام

★ ★ ★

■ أن المحطة الثالثة في معارك هذا الخلاف فكانت سنة ١٩٣٨م عندما أصدر طه حسين كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» وهو الذي تحدث فيه حديثاً طويلاً وعميقاً عن انتماء مصر الحضاري وخلاف عندما أنس وبطرس وفلسفة التغريب والنزعة الفكرية للغرب والحضارة الأوربية، وذلك بحديثه عن أن الثقافة المصرية هي كما كان ولا يزال وسيظل عقلاً يونانياً وإن الإسلام والعروبة لم يغيرا من يونانية العقل المتوسطي، كما لم يغير المصرانية والقبطية من يونانية العقل الأوروبي" ثم ذهب الدكتور طه في هذا الكتاب إلى أن طريق النهوض بمسيرة العرب في الحكم والإدارة والتشريع والثقافة لا بد أن يتجه نحو المشروع الحضاري الغربي، بحلوه ومره، بخيره وشره، بما يحب منه وما يكره وما يحمد منه وما يعاب" وجاءت عبارته هذه لتقول إن العقل المتوسطي هو كالعقل الأوربي مرده إلى عناصر ثلاثة

١ - الحضارة اليونانية وما فيها من علم وفلسفة وفن

٢ - والحضارة الرومانية وما فيها من سياسة وقانون

٣ - والمسيحية، وما فيها من دعوة إلى الخير وحث على الإحسان

وإن السبيل الواضح بينه مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهي وحدة واحدة ليس فيها تعدد، وهي أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم في الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها، ما يحب منها وما يكره ما يحمد منها وما يعاب" وإذا الإسلام قد نقل الحضارة اليونانية فنحن لا ننفي الحضارة الفرنسية" والحضارة العربية والفرنسية قائمتان على أساس واحد هو الحضارة اليونانية للأسبقية بعد أن ترجمنا أمم وأن نأخذ منها في الحكم ونسير سيرتها في الإدارة ونسلك طريقها في التشريع ولو أنها تحمد أن نعود إلى حد

وأن نحيي النظم العتيقة لما وجدنا إلى ذلك سبيلا ولوجدنا عاصما عقابا لا تجار ولا تذلل عقابا نقيمها نحن لأننا حرص على التقدم والرقي، وعقابا تقيمها أوربا لأننا عاهدناها أن نسايرها ونجاريها في طريق الحضارة الحديثة.

وفي نص آخر بالفرنسية ترجم بعد وفاة الدكتور طه حسين أحد نسقه من الجهود التي بذلها الإمام محمد عبده في الإصلاح الديني والتوفيق بين العلم والدين الإسلامي ذهب إلى أننا نتجه نحو الغرب في سرعة وابتهاج دونما التفات إلى الدين فقال: إن العالم الإسلامي قد أصابه التغيير ولم يعد محمد عبده مواكبا للعصر قد صارت كل أفكاره بشأن العلم والدين دائبة متخلفة وغير صالحة للبقاء وقليلون هم المسلمون الذين يهتمون بالتوفيق بين أيمانهم والمعارف التي حصلوها وهم يندفعون بابتهاج نحو الحضارة الغربية ويتخذونها مثلا أعلى[2]

★ ★ ★

كانت تلك هي المحطات الثلاث التي أثمرت أهم المعارك الفكرية الكبرى بين الإسلاميين وبين الدكتور طه حسين حول ما كتبه عن الإسلام علاقته بالدولة ومرجعيته لمشاريع النهضة والتقدم والإصلاح والتي بدأت بعدها تدريجيا وفي صمت استدعاه الكبرياء الذي كان عليه عميد الأدب العربي بدأت التحولات الفكرية الكبرى في عقل ووجدان طه حسين والتي أثمرت توافق فكرية تجهلها مع الأسف الشديد كثير من الإسلاميين وتتجاهلها مع أسف شديد كثير من العلمانيين الأمر الذي يستدعي تتبع التطور الفكري لهذا العلم من أعلام الأدب وفكرنا الحديث والمعاصر وذلك لإنصاف الحقيقة ولإنصاف الرجل من أنصاره وخصومه على السواء

(١) د. طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، جـ١ - ص ٣٩ : ٣٦، ٣٧ طبعة القاهرة ١٩٣٨ م

(٢) من الشاطئ الآخر: ص ٣٦، ٣٧

١٣٢ التطور الفكرى للدكتور طه حسين (٢)

لقد كان الدكتور طه حسين [١٣٠٦ - ١٣٩٣هـ / ١٨٨٩ - ١٩٧٣م] نبتاً بارًا من أبناء هذه الأمة، وكان عقلاً مجتهدًا يلتمس طريق التجديد لحياة هذه الأمة وفكرها، وكان واحدًا من جيل الرواد الذين حسبوا أن «التخلف العثماني» هو «الإسلام» فبحثوا في النموذج الغربي عن سبيل التقدم والنهوض، لم يكن الرجل، وكثيرون من الذين انبهروا بالغرب، وكان يومها مزدهرًا، لم ينكشف بعد أغلب عورات حضارته، عميلاً للغرب، وإنما كان باحثًا عن الحق، يصيبه حينًا ويخطئه حينًا آخر، وكان مسلمًا يؤمن بأن من اجتهد فأخطأ فله أجر، ومن اجتهد فأصاب فله أجران.

■ ولأن دعوى طه حسين حول يونانية العقل الشرقي، وعدم تغيير القرآن والإسلام لهذه اليونانية، ومن ثم حتمية أن يكون غربًا في حاضرنا ومستقبلنا، في الإدارة والحكم والتشريع، دونما التفات إلى الدين الإسلامي، ولا إلى التمايز الحضاري، لأن هذه الدعوى كانت أخطر الادعاءات التي خالف فيها الرجل ثوابت الحضارة الإسلامية وقسماتها المتميزة، فلقد بدا قلق الرجل إزاء صحة هذه الدعوى منذ وقت مبكر في مسيرة تحولاته الفكرية، فكتابه «مستقبل الثقافة في مصر» الذي ادعى فيه هذه الدعوى، قد صدر ونفد سنة ١٩٣٨م، لكن طه حسين لم يعد طبع هذا الكتاب طوال حياته، كما كان يعيد طبع جميع كتبه الأخرى فور نفاد طبعاتها، وكان هذا الموقف من إعادة طبع هذا الكتاب وحده إشارة غير معلنة إلى مراجعته، وربما تراجعه عن هذه الدعوى التي جاءت فيه.

حتى إذا كانت سنة ١٩٧١م، فسئل الدكتور طه حسين - في حديث معه نشره «الأهرام» في أول مارس سنة ١٩٧١م عن رأيه في هذا الكتاب، فإذا به

يقول: «... وقد كتب سنة ١٩٣٦م قدم قوي، غير متحمس، ونحن عودته وصلة فيه بعض حاجات، وأصيف»

فكانت هذه أولى محطات متواضعة في مسيرة الدكتور طه حسين

★ ★ ★

■ أما المحطة الثانية في هذه المرحلة الفكرية فهي ما كتبه عن الفرا في كتابه «نقدية بكرى» في النصف الثاني من عقد الأربعينات في حوا العشرين - فبعد الحرب والخروج التي حدث منه إزاء الفكر في كتاب «في الشعر الجاهلي» سنة ١٩٢٦م هاهو طه حسين يقول عن القرآن الكريم بعد فترة في بعض الحالات التي عن نشأة الشعر عند العرب إن القرآن ليس شعرا ولا نثرا وإنما هو قرآن له مذهبه وأساليبه الخاصة في التعبير والتصوير والأداء

فيه من عنوان يمكن أن يسقي ما يحمل إلى أصحاب السماحة به شعر وفيه من فيوض الفكرة ما يحس لهم أنه سجع وفيه من الخرافة والأضاليل والشعر ما يخيل إلى بعض أصحاب السماحة الآخرين أنه نثر

وفي أثر هذا خدع المشركون من قريش وكذبوا في بدء تكذيبهم شيئا وفي أثر هذا خدع كثير من المتتبعين لتاريخ النثر فظنوا أنه و النثر العربي وكذبهم الحقيقي بواقعة تكذيب شيئا فلو قد حاول بعض المكذبين وقد حاول بعضهم ذلك أن يأتوا بمثله لما استطاعوا إلا أن يأتوا بما يضحك ويثير لسخريته

نعم كذب طه حسين ذلك وهو حد بلغاء العصر والخبير بأسرار التركيب والإعجاز في أساليب العربية فكانت محطته الثانية في مرحلته الفكرية

★ ★ ★

■ أما المحطة الثالثة في مراحل الفكرية للدكتور طه حسين فقد كانت سنة ١٩٥٣م

فبعد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م، ألغى الثورة دستور سنة ١٩٢٣م وكونت لجنة من خمسين عضوًا لوضع دستور جديد وكان طه حسين واحدا من هؤلاء الخمسين وفي اجتماع من الاجتماعات التي كانت تدرس فيها أسرة

(١) د. طه حسين الفتنة الكبرى - عثمان - ص ٣٣ - طبعة القاهرة سنة ١٩٨٤م

يعد الدكتور عبد الرحمن بدوي [١٣٣٥ ١٤٢٣ هـ ١٩١٧ ٢٠٠٢م] ي النص في الدستور على المساواة بحرية والعدالة بين الرجال والنساء فيرد الدكتور طه حسين الذي سلوكه وسلك في بعض ما جاء بالقرآن الكريم واختار إلى الجاهلية ويدعو إلى نبذ الإسلام جملة من مكونات الهوية ومرجعيته الأساسية والحضارية والإصلاح المطلوب هو الذي يتصدى لدعوة الدكتور عبد الرحمن بدوي، فيقول: "إنه من المقطوع به أن الأغلبية لن تقبل أن تخرج عند وضع الدستور على ما أمرت به الإسلام، وإنه ليس هناك مقتض يسمح بأن يعدل عن نص القرآن وإنه إذا وجد نص ديني صريح فالحكمة والواجب يقتضيان ألا نعارض النص، وأن يكون من الحكمة ومن الاحتياط بحيث لا نحس الناس في شعورهم، ولا في ضمائرهم ولا في دينهم وربما احترامنا لدولة الإسلام فلابد أن تحترمه جملة وتفصيلا. ولا يكون الإيمان إلا ببعض الكتاب وكفر ببعضه الآخر"[1].

يعد الدكتور طه حسين أبي دكتاتورية القرار في الإسلام وشريعته على الدستور والقانون، ويرى بعض الباحثين أن السياسة شيء، والدين شيء آخر، وأن نظام الحكم ويكون أمرا يخوض فيه المجتمع على ضوء المصلحة دون أن يخوض في أي شيء آخر، وهذا أصل من أصول العلمانية الحديثة التي وحدة الدين ووحدة الدين ووحدة الجماعة لا تصدق إلا إذا سوت هذه السياسية ولا غرابة أن يكون الدين وأن جوهر الإسلام ومصدره هما جوهر المسيحية ومصدرها، وأن القرآن لم ينظم أمور السياسة بتنظيم مجملا أو مفصلا وأن النبي لم يرسم لسنته مناهج للحكم ولا للسياسة، فليس بين الإسلام والمسيحية فرق من هذه الناحية، ولا أمر ما قال عيسى عليه السلام: "أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله"[2].

هكذا بلغ الدكتور طه حسين قمة المرجعية الفكرية، والتطور إن لم نقل الانقلاب في الالتزام بالكتاب والسنة والقرآن في الدستور والقانون. بعد أن كان يدعو إلى الانفلات من حاكميتهما

★ ★ ★

١ [illegible] ص ٩ ١٢١ - طبعة [illegible]

٢ [illegible] ص ١٠ ١ ٢٣ [illegible] ج١ عثمان ص٢٣ ٢٧ ٢٥

■ أما المحطة التي بلغ فيها ومنها الدكتور طه حسين عمله، ومارسه الأدب في الاختصاص الحنين والرءوم والعطوف واسمه الروحانية الإسلام وليس فقط عقلانيته المؤسسة فلقد كانت هي محطته الوصول الكامل وصول العاشق للمعشوق بعد طول تطواف وذلك بعد أن قام برحلته الحجازية حيث عمر وعاش تحولت من الروحانية بمتصوفه الراقية في ضوء الوحي وضوع نور الإسلام فعادت به إلى الأصول نقية وغسلت عنه كل الأدران

ففي شهر جمادى الأولى سنة ١٣٧٤ هـ يناير ١٩٥٥م زار الدكتور طه حسين المملكة العربية السعودية رئيسا للجنة الثقافية للجامعة العربية التي عقدت دورتها التاسعة في جدة وذلك على رأس كوكبة من المفكرين والأدباء العرب وكنت يصحبه في هذه الرحلة صديقه العلامة الشيخ محمد الخضر حسين [١٣١٣ ١٣٨٥ هـ = ١٨٩٥ ١٩٦٦م]، وفي خضم هذا المؤتمر تحدث عن مهبط الوحي ومسرى الإسلام فأثار دهشتي لقد سبق لي أن عشت بمكة وقضيت في هذه الأماكن المقدسة زهاء عشرين عاما متتالية كنت على هامش أسرة حتى الآن . ولما زرت مكة والمدينة أحسست بي أعيش بفكري وعقلي وحسي جميعا عشت بعقلي الباطن وعقلي الواعي استعدت كل ذكرياتي القديمة وصهرتها هو من صميم تاريخه وحياته هو من صميم بعقيدته وكانت الذكريات تختلط أو تأتي على وجه السرعة وتمور في أعماقي وكنت أشعر بالغثيان وبضيق حوانح نفسي

ولا أريد أن أقول لكم الحق الذي لا يحتمل الشرف فيه أن أحد يغيب لكم جسمه وصدر لا يستحيي أن يشك قلبه وضعف وطنه الذي نشأ فيه، وهذا الوطن المقدس الذي أنشأ أمته وكون عقله وقلبه وروحه وعواطفه جميعا هذا الوطن بمقدساته هذه التي يهفو إليها كل مسلم في الدنيا والذي عرفه نفسه وجعله عصوا صالحا مصلحا في هذا العالم الذي يعيش فيه

يعترف أنه يسترد الذي حين شرفني مجلس الجامعة بعضويته لأحمد لم أشارك في أعماله الثقافية للجامعة، وربما في قرارة هذا شعرت لا أريد عناء لا ينهض به إلا ذو عزم، ولكني حاولت أن أسعى إلى هذا الوطن الكريم بعزم حتى أحس غير مجرد ولا مجحم، بل أحس بأني في هذا الوطن الطبيعي الذي تنتمي به قلوب المسلمين جميعا مهما تكن وطنيتهم وجنسيتهم

صورهم فهذا البوصير العزيز الكريم وهذه العروبة وهذا الإسلام بعد الوصول أقدم على قبورهم أشرف وأبعث أمله على أن يتسع لي أن أتفحص بعضه وهي أعد نفسي لأبدأ في تعلمه.

■ وبعد الفراغ من الوضوء في حدة ركعتين وبصحبته لشيخ حسن لجوبي السيرة فحصل أنسب لحرام بمكة المكرمة لأداء العمرة وسهد مرفقوه صوا لصوبو كيف كان يرجو متمثلا بين تلاوة سور من القرآن الكريم وبين أستمع لبيك اللهم بيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لبيك وكيف كان يقطع هذا الاستغراق الصوفي ليسأل عن مكان أي تمرة أسبوعية أو يحدثه ليعيش كرب غربة الإسلام حتى يراه بوادره أنهم بمحياه الحديثة حيث مر الرسول ﷺ وصديقه سبعة أيام معتمرين صلى الله حسن مر لسبوع الوقوف ثم يرجو ويغتسل من تراب الحديبية غصة فمه، ثم يمتلئ وبموعه تنساب على التراب قائلاً «والله إني لأشم رائحة محمد ﷺ في هذا التراب الطاهر» وعلى مدى نصف ساعة مر مرافقوه جهدهم كله في تهدئة روعه، ثم وصل تركه سيره في مكة المكرمة حتى دخلوا بحرم من باب السلام وظل حسن لا يكاد يخفي ربرة انه عن رفيقه فتوجهوا إلى الكعبة فاستلم الحجر وقبله ومع بعد مكانه عن الحجر يبصر ويبكي ويقبل الحجر حتى وقفت موكب المعتمرين بصورة لا يعرفها الأربعة بكبير المكوف مكانه ولكنه كف يقول بسحة اسم يحولي ص بكاء وتشهيب وتقبيل ويسي نفسه فتركه المعتمرون في مكانه وأجهشوا معه في البكاء والتنهيد»[1]

هكذا كانت رحلة بكسور طه حسين مع الإسلام والعرب ومع رسول الإسلام ﷺ ومع روضة الأنبياء وكما يقولون في العمرة بالحرف «تم ولله الحمد رسول الله ﷺ يقول «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها» رواه البخاري ومسلم

١) مجلة الحج والعمرة - مكة المكرمة - حسين محمد بافقيه - شوال الأضاحي - عدد ١، ٢ - محرم وصفر سنة ١٤٢٦هـ

وإذا كان الدكتور طه حسين في أحرجت حياته لم يكن يسمع بسيرته إلا المصحف المرتل من إذاعة القرآن الكريم فإن على ذريته من العلمانيين والإسلاميين أن يكونوا أمناء مع حقائق هذا التطور الفكري فلا يقفون عند مرحلة الأولى عاقلين أو متغافلين عن التطورات التي صعد الرجل ورجات سلمها وصعدت به نحو الاختصار الحتمي لكامل الإسلام فهذا المنهج المعيد في دراسة العظماء والفلاسفة والمفكرين والعلماء الواصلين على أعتب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قاموا الدين وبنوا الدولة وأسسوا الحضارة وأورثوا أعظم نعم الله نعمة الإسلام توقفت دراسته لهم عند مرحلة العبادة «ثلاث» و«العزى» و«مناة» الثالثة الأخرى.

وتلك كارثة في دراسة المفكرين والأفكار حرام أن يقع فيها ويجتمع عليها كثير من غلاة العلمانيين ونفر من الإسلاميين على السواء!

إن من يقول «إن مهبط الوحي هو الوطن المقدس الذي يشد الأمة وكون العقل والقلب والذوق والعواطف جميعًا» لابد أن نُقرأ من جديد

١٣٣ تهنئة بالعيد الدامي!!

إلى من نتوجه بالتهنئة في هذا العيد

- الذي سبقه صيام لم تتوقف فيه آلة الحرب العالمية الأمريكية الغربية عن سفك الدماء الإسلامية، وإشاعة الدمار على أرض فلسطين وأفغانستان والعراق، وكشمير والشيشان!
- عيد تطل فيه على شاشات «التلفاز» مواكب جنازات الشهداء على أرض عالم الإسلام، دون غيره من بقاع العالم الذي نعيش فيه!
- عيد يشهد قتل وإحراق الأسرى المكبلين بالأغلال في قلاع أفغانستان أمام سمع وبصر وبتدبير وتنفيذ الذين وضعوا مواثيق واتفاقات «جنيف» وحقوق الإنسان!
- عيد يمنع الحصار الصهيوني فيه المسلمين من الصلاة في المسجد الأقصى ويمنع أبناء الشهداء وأمهاتهم وزوجاتهم من الخروج حتى يزيارة مقابر الشهداء!
- عيد يشهد تحالف الغرب الإمبريالي الصليبي والعنصرية الصهيونية مع الروس الأرثوذكس وبمباركة من الصين الكنفوشيوسية والهند الهندوسية ضد الإسلام والمسلمين!

إلى من نتوجه بالتهنئة في مثل هذا العيد؟!

- إن أحق من نتوجه إليهم بالتهنئة في هذا العيد الدامي هم أرواح الشهداء الأحياء عند ربهم يرزقون ومواكب الفداء والاستشهاد الساعين على طريق الجهاد، محققين قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما﴾ [النساء: ١٠٤] وقوله سبحانه: ﴿إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون﴾ [الأنفال: ٣٦].

وكذلك إلى قدرات وأعصاب منصات المقاومة والفداء الحماس والجهاد وفتح وحزب الله والمجاهدين في كشمير والشيشان وبغداد والصومال وإلى روح الصمود والمقاومة في الشعب الأفغاني الذي سيدفع أمريكا وحلفاءها بإذن الله من الرقوم الذي أدخله من قبل للإنجليز والروس

كما نهنئ العلماء والمفكرين والدعاة والكتاب الذين يشيعون في عقول أمتنا ووجدانها الوعي بسنن قوانين التدافع بين الحق والباطل عبر سريع والتي تزيح اليأس والقنوط، وأوهام الهزيمة النفسية وذلك عندما تذكر بالذكرى التي تنفع المؤمنين تذكر بأن الأمة قد فتحت فتح تحرير على ثمانين عامًا اوسع مما فتح الرومان في خمسة قرون وأن المسلمين قد قهروا الكفر الذين لم يعلموا من قبل وطهروا أرض فلسطين من الكيانات الصليبية التي امتد عمرها أربعة أضعاف عمر الكيان الصهيوني وأن صلاح الدين الأيوبي قد حرر القدس بعد احتلال دام تسعين عامًا، تحول فيها المسجد الأقصى إلى إصطبل خيل وإلى كنيسة لا تشبه وأن بونابرت قد فر من مصر بلس وهو الذي حول الأزهر الشريف إلى إصطبل خيل فنعى الإسلام وتحرر المسلمون وذهب كل تعداه إلى «مزبلة التاريخ» وأن الإمبراطوريات الأوربية الاستعمارية التي لم تكن تغرب عنها الشمس والتي تسعى أمريكا إلى وراثتها قد هزمتها مقاومة الإسلام والمسلمين.

إلى هؤلاء جميعًا نتوجه بالتهنئة في هذا العيد

نتوجه بالتهنئة إلى أرواح الشهداء الأبرار وإلى منصات الفداء والاستشهاد وإلى الكتابات الإسلامية الواعية المجاهدة بالكشف عن سنن التدافع بين الحق والباطل عبر التدريج

مع دعاء الله سبحانه وتعالى، أن يهيئ لأمتنا من أمرها رشدًا وأن يجعل يومها خيرًا من أمسها، وغدها أكثر إشراقًا وأخف قيودًا من يومها وأن يرزقنا شرف السعي على درب الشهادة والفداء

ولنذكر جيدًا ودائمًا أن اشتداد الضربات الموجهة إلى الإسلام هو الدليل على سريان روح اليقظة والمقاومة في هذه الأمة ولا فلو كف الله هذه الأمة عن الجهاد وأعانها وسددها لتيسر لكل هذه الضربات «فالضرب في الميت حرام» كما يقولون

واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفهرس

صفحة

تقديم	٣
١ – الأسرة النجيبة العربية تتصير المسلمين ودور الكوارث المحلية في التنصير	٧
٢ – لماذا دستور الأسرة المسلمة؟	١٧
٣ – الأيديولوجيات في خدمة المصالح	٢٦
٤ – علاقة المسلم بالآخر الديني	٢٨
٥ – المباهلة	٣١
٦ – في العدل مع الآخر الديني	٣٤
٧ – وشهد شاهد من أهلها	٣٦
٨ – عقد الذمة	٣٨
٩ – الحكومات غير الشرعية والأقليات	٤١
١٠ – اللعب بورقة الأقليات (١)	٤٤
١١ – اللعب بورقة الأقليات (٢)	٤٧
١٢ – اللعب بورقة الأقليات (٣)	٥٠
١٣ – اللعب بورقة الأقليات (٤)	٥٢
١٤ – اللعب بورقة الأقليات (٥)	٥٥
١٥ – اللعب بورقة الأقليات (٦)	٦٨
١٦ – اللعب بورقة الأقليات (٧)	٦٣
١٧ – اللعب بورقة الأقليات (٨)	٦٥
١٨ – قانون الاحتكاك بين الحضارات	٦٩
١٩ – الوعي بالآخر شرط للوعي بالذات	٧٣
٢٠ – الوعي بالذات والواقع المحيط	٧٠
٢١ – الاهتمام بـ«بضاعة» الآخرين	٧٨
٢٢ – الوسطية الإسلامية (١)	٨١
٢٣ – الوسطية الإسلامية (٢)	٨٤
٢٤ – الوسطية الإسلامية (٣)	٨٦
٢٥ – وسطية التجديد والاجتهاد	٨٩
٢٦ – للإسلام عقلانية مؤمنة	٩٢

٢٧- تكامل دوائر الانتماء الوطني والقومي والإسلامي ٩٥
٢٨ فلسفة السياسة بين الغرب والإسلام ٩٧
٢٩ - السياسة والدولة من الفروع ٩٩
٣٠ - الإسلام والسياسة (١) ١٠١
٣١ الإسلام والسياسة (٢) ١٠٤
٣٢ - الإسلام والسياسة (٣) ١٠٨
٣٣ الإسلام والسياسة (٤) ١١٢
٣٤ - الإسلام والسياسة (٥) ١١٥
٣٥ الإسلام والسياسة (٦) ١١٨
٣٦ - كيفما تكونوا يُوَلَّ عليكم ١٢٠
٣٧ المساجد والسياسة ١٢٣
٣٨ - قانون التنوع والاختلاف ١٢٦
٣٩ وحدة الحق وتعددية الخلق ١٢٩
٤٠ - الإسلام والتعددية (١) ١٣٢
٤١ الإسلام والتعددية (٢) ١٣٤
٤٢ عن الشريعة الإسلامية ١٤٠
٤٣ الشريعة الإسلامية والتجديد ١٤٣
٤٤ وحدة الأمة الإسلامية (١) ١٤٦
٤٥ وحدة الأمة الإسلامية (٢) ١٤٨
٤٦ - وحدة الأمة الإسلامية (٣) ١٥٠
٤٧ - وحدة الأمة الإسلامية (٤) ١٥٣
٤٨ وحدة الأمة الإسلامية (٥) ١٥٦
٤٩ - إشكالية الحضارة الإسلامية ١٦٠
٥٠ صنعة الاجتهاد الإسلامي الجديد ١٦٤
٥١ - عن النموذج الثقافي ١٦٨
٥٢ النموذج الثقافي ماذا يعني؟ ١٧٠
٥٣ - من أين تأتي معارف الإنسان؟ ١٧٣
٥٤ علاقة المعارف بالإسلام ١٧٦
٥٥ - الإسلام وفلسفة العلوم ١٧٨
٥٦ عن إسلامية المعارف والعلوم (١) ١٨١

٥٧ – عن إسلامية المعارف والعلوم (٢) ١٨٤
٥٨ – عن إسلامية المعارف والعلوم (٣) ١٨٧
٥٩ – الاختلاف حول المرجعية الحضارية ١٩٠
٦٠ – المنهاج العلمي في القرآن الكريم ١٩٣
٦١ – المنهاج النصوصي ١٩٦
٦٢ – التوحيد الإسلامي ١٩٩
٦٣ – الخلافة والاستخلاف ٢٠٢
٦٤ – دعوى تاريخية أحكام القرآن الكريم ٢٠٥
٦٥ – في التزوير الفكري! ٢٠٨
٦٦ – جدل الإيجابيات والسلبيات في التاريخ ٢١٠
٦٧ – الرأسمالية ليست نهاية التاريخ ٢١٣
٦٨ – النهوض بالمرأة .. ووسطية الإسلام ٢١٦
٦٩ – شبهات حول مكانة المرأة في الإسلام ٢١٨
٧٠ – ميراث المرأة وتحريرها ٢٢١
٧١ – عن الجهاد والقتال والإرهاب ٢٢٤
٧٢ – أخلاقيات القتال ٢٢٦
٧٣ – من آداب القتال في الإسلام ٢٣٠
٧٤ – الجهاد في سبيل الله (١) ٢٣٢
٧٥ – الجهاد في سبيل الله (٢) ٢٣٤
٧٦ – الجهاد في سبيل الله (٣) ٢٣٦
٧٧ – الجهاد في سبيل الله (٤) ٢٣٩
٧٨ – عن الشهادة والاستشهاد (١) ٢٤١
٧٩ – عن الشهادة والاستشهاد (٢) ٢٤٣
٨٠ – عن الشهادة والاستشهاد (٣) ٢٤٦
٨١ – عن الشهادة والاستشهاد (٤) ٢٤٨
٨٢ – في التدافع بين الحق والباطل ٢٥٠
٨٣ – صراع له تاريخ (١) ٢٥٣
٨٤ – صراع له تاريخ (٢) ٢٥٦
٨٥ – صراع له تاريخ (٣) ٢٥٩
٨٦ – صراع له تاريخ (٤) ٢٦١

٨٧ – صراع له تاريخ (٥) ٢٦٣
٨٨ – صراع له تاريخ (٦) ٢٦٦
٨٩ – جوهر الصراع العربى – الصهيونى ٢٦٨
٩٠ – البعد الدينى فى الصراع العربى – الصهيونى ٢٧١
٩١ – من الملاحدة إلى المؤمنين بالأساطير!! ٢٧٤
٩٢ – الحلف الإمبريالى – الصهيونى: تراجع أم صعود؟ ٢٧٧
٩٣ – معاملة الأسرى بين الغرب والإسلام ٢٨٠
٩٤ – من هولاكو القديم إلى هولاكو الجديد ! ٢٨٢
٩٥ – النزعة الصليبية لكولمبس! ٢٨٥
٩٦ – من عبر التاريخ! ٢٨٨
٩٧ – ليسوا سواء ٢٩١
٩٨ – الإيمان العلمانى المنقوص ! ٢٩٤
٩٩ – خالق فقط أم خالق ومدبر للوجود؟ ٢٩٧
١٠٠ – تيار التغريب (١) ٣٠٠
١٠١ – تيار التغريب (٢) ٣٠٣
١٠٢ – تيار التقليد للموروث ٣٠٥
١٠٣ – الأزهر فى العصر العثمانى ٣٠٧
١٠٤ – مصطلح «الشرق الأوسط» ٣١٠
١٠٥ – مصطلحات ومفاهيم ٣١٢
١٠٦ – عن العروبة والإسلام (١) ٣١٥
١٠٧ – عن العروبة والإسلام (٢) ٣١٨
١٠٨ – عن العروبة والإسلام (٣) ٣٢١
١٠٩ – عن العروبة والإسلام (٤) ٣٢٤
١١٠ – عن العروبة والإسلام (٥) ٣٢٧
١١١ – عن العروبة والإسلام (٦) ٣٣٠
١١٢ – عن العروبة والإسلام (٧) ٣٣٣
١١٣ – عن العروبة والإسلام (٨) ٣٣٦
١١٤ – عن العروبة والإسلام (٩) ٣٣٩
١١٥ – عن العروبة والإسلام (١٠) ٣٤٢
١١٦ – عن العروبة والإسلام (١١) ٣٤٥

١١٧ – عن العروبة والإسلام (١٢) ٣٤٨
١١٨ – فى المشروع الحضارى الإسلامى (١) ٣٥١
١١٩ – فى المشروع الحضارى الإسلامى (٢) ٣٥٤
١٢٠ – فى المشروع الحضارى الإسلامى (٣) ٣٥٧
١٢١ – فى المشروع الحضارى الإسلامى (٤) ٣٦٠
١٢٢ – فى المشروع الحضارى الإسلامى (٥) ٣٦٣
١٢٣ – الشيخ البشير الإبراهيمى (١) ٣٦٦
١٢٤ – الشيخ البشير الإبراهيمى (٢) ٣٦٨
١٢٥ – الشيخ البشير الإبراهيمى (٣) ٣٧٠
١٢٦ – الشيخ الغزالى: قلب تقىٌّ .. وعقل ذكىٌّ (١) ٣٧٤
١٢٧ – الشيخ الغزالى: قلب تقىٌّ .. وعقل ذكىٌّ (٢) ٣٧٦
١٢٨ – الشيخ الغزالى: قلب تقىٌّ .. وعقل ذكىٌّ (٣) ٣٧٩
١٢٩ – الشيخ الغزالى: قلب تقىٌّ .. وعقل ذكىٌّ (٤) ٣٨٢
١٣٠ – أمانة الشيخ الغزالى ٣٨٦
١٣١ – التطور الفكرى للدكتور طه حسين (١) ٣٨٩
١٣٢ – التطور الفكرى للدكتور طه حسين (٢) ٣٩٤
١٣٣ – تهنئة بالعيد الدامى !! ٤٠٠

الإسلام في مواجهة التحديات

• في مواجهة التحديات انتصر الإسلام.

انتصر التوحيد على الشرك والوثنية والعنصرية وعبادة البشر من دون الله..

• وفي مواجهة القوى العظمى – الروم والفرس – الذين احتلوا الشرق وقهروه حضاريًا ودينيًا – عشرة قرون – انتصرت الفتوحات الإسلامية التي حررت الأرض..

وتركت الناس وما يدينون..

• وفي مواجهة التحديات الصليبية والتترية– التي دامت قرنين – قامت الفروسية الإسلامية، التي أعادت تحرير الشرق.. وأنقذت الحضارة من الدمار..

• وفي مواجهة التخلف، والغزوة الغربية الحديثة، قامت نهضتنا العربية الإسلامية، متسلحة بالإحياء الديني.. والتجديد الفكري.. وروح الجهاد ضد الغزاة..

• واليوم.. وشراسة التحديات قد كشفت عن الوجه الصليبي الكالح، الذي يريد العبث بمقدساتنا.. واحتلال أرضنا.. ونهب ثرواتنا .. وكسر شوكة عزتنا.. وتفجير التناقضات في صفوفنا..

في مواجهة هذه التحديات «الجديدة – القديمة» نحتاج إلى الكلمة الصادقة المجاهدة، التي تواجه هذا الطور الجديد من التحديات..

• وتلك هي الرسالة التي يصدر من أجلها هذا الكتاب.

الناشر

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع